سلسلة أعلام الفكر العالمي

ستندال

بقلمه

ترجمة: محمود سيّد رصاص

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

ستندال

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

بناية برج الكارلتون . ساقية الجنزير . ت ٨٠٧٩٠٠/١
برقياً : موكيالي بيروت . ص . ب . ١١/٥٤٦٠ بيروت

الطبعة الأولى ١٩٨٢

تقديم المعرِّب

لقد كتب بروسبر ميريميـه بعد سبع سنين من وفاة ستندال يقول: إنه لا بد أن يجد أحد النقاد في القرن الحادي والعشرين بين ركام الكتب ما كتبه ستندال في عصرنا فيعيد لهذا الرجل اعتباره؛ وقد تحققت النبوءة فقد انقضى قرن من الزمن حتى انقشعت ظلال الخرافات السمجة والمظاهر الغشاشة التي أحاطت بشخصية هذا الكاتب وكذلك بمنحى ومجمل أعماله.

وحقاً لقد بدا هذا الرجل وكأنه طالب متعة متخذاً وضعية خيَّال كما أنه بانَ كملحد يقذف نيرانه السامة ضد كل الأخلاقيات والقيم الدينية وكذلك ظهر كمراء مخفياً ألاعيبه وتعطشه للغطرسة وحب الظهور فاعتبر كائناً غريباً غير متكامل

وفظاً شديد القسوة. ويكفي لكي نثبت ذلك أن نذكر اللوائح الطويلة من متناقضاته وبادعائه إخفاء حياته وأنه يقضي حياته في الكتابة عن نفسه وأنه يسعى للوصول إلى الحقيقة فيعتمر قناعاً لذلك ثم نراه يعبد الرياضيات ويحب الأحلام ثم بعد ذلك نراه ينادي بالحب العاطفي ثم ينساق وراء لقاءات وضيعة. وأخيراً نراه يعلن احتقاره للعامة من البشر ومن ثم نراه يدعو إلى الديمقراطية.

أما تناقضاته ككاتب فلأنه أعطى انطباعاً بأنه يتسلى بنشر محاولات لم تكن إلا سرقات أدبية أو قصصاً سيئة التركيب وبعيدة عن الأخلاق.

وقد كان لا بد من أحقاب من السنين حتى ننتهي من هذه الآراء النقدية التي نُقلت من ناقد إلى آخر وكأنها منزّلة وحتى انجلت الحقيقة. وكان ذلك بسبب نضج الفكر والتماس الحقيقة وعندما سقطت الأوهام والخرافات حول ستندال بدت الروائع التي كانت تبدو قاتمة عقيمة فانكشفت بوجهها الحقيقي فإذا بها ذات غنى خصب وغير قابل للنضوب.

ولكم ردد ستندال عبارة أنه لا يكتب إلا للنخبة to the happy few فهل كان ذلك تواضعاً ؟ أم تكبراً مقنعاً ؟ أو احتقاراً لا متناهياً ؟ وإنني لأوقن بأنه لم يفعل شيئاً من ذلك قط حتى ولا في

تصريحاته المتفاخرة مثل قوله: «بأنني سأكون مقروءاً عام ١٨٨٠». و«سيفهمونني عام ١٩٣٥» التي قد تبدو وكأنها ثأر لما أصابه من فشل منادياً الأجيال القادمة كي تنصفه من ظلم معاصريه.

وإنني مؤمن بأن ستندال كان مؤمناً بفرادته وامتيازه وبجدة كتاباته ومخطوطاته سواء من الناحية النفسية أو الأدبية ذلك لأنه كان يعلم بأسبقيته على عصره بعدة أجيال ولذلك توجه إلى النخبة التي استطاعت وحدها فهمه. كما أنه كان موقناً بأنه لا بد أن يأتي يوم تصبح فيه لغته مفهومة فتمتع كافة الجماهير. ولذلك لم ينخدع ولم تحدث تناقضات لكنه كان على علم مسبق ومدهش لمقدرته في معرفة نفسه بعمق وقدرة على فهم الأجيال القادمة.

محمود سيد رصاص

مقدمة الكاتب

هنري بايل عرف بأسماء كثيرة منها لوي الكسندر بومبي، ليزيو فسكونتي كورنيشون، رئيس كتيبة الكوست، تيموليون دبوا، وليام كروكوديل ولقد اشتهر بستندال وقد ذاع صيته بقصتين تعتبران من أكثر الأعمال الرائعة التي بلغت الكمال في الأدب. وإنني لا أخفي بأن هذا الحكم الذي يعتبر كمُسلَّمة ستنتج عنها كافة ما سيأتي ويرتكز على شعور شخصي وقد لا تشاركني فيه نفوس أخرى (فإن كنت أقول أنا فذلك لأسباب مشابهة للأسباب التي دعت ستندال لقول أنا باعتباره قد درسته وأحببته). فستندال يقول: ليس بسبب التفخيم والتبجح أقول أنا بل لأنه لا توجد وسيلة أخرى للقصص السريع. وإن كمال

قِصَّتيَ «الأحمر والأسود» و«المنزل ريفي في بارم» يمكن البرهنة عليه بسهولة تامة. فيما يقدمانه من معطيات وحياكة المكائد وروعة وصفها إضافة إلى فضولية الكاتب وطيبته التي يمارسها فيهما بذكائه الواضح فنرى الكمال قد أصاب فيهما موضعاً قليلاً ما نراه إلا في الأعمال العظيمة. فمن المستحيل حذف صفحة أو خط أو كلمة من القصتين دون أن تتأثر المتعة التي يعطيانها (ومن الواضح أن ذلك لا ينطبق على قصص ماريفو أو فيلدنج أو بلزاك أو هوجو إلـخ) وإن اتقان العملين القصصيـين العظيمين لستندال يجعل التفريق وهمياً وباطلاً بين العمق والشكل وهذا التفريق كيفي كالذي نكوِّنه بين المادي والمعنوي «فهو ليس إلا بسبب سهولة التعبير» كما يقول ستندال «أن تقول مادي ومعنوي فعندما تحطم ساعة فأين تذهب حركتها ؟» ولم يكن نثر ستندال غطاء لاحتواء شيء ما بل كان وعاء لفكره إنه حركة تنتقل إلينا دون أي ضياع في الطاقة.

وعند نهاية عمره كان ستندال قادراً على أن يقص في أثنين وخمسين يوماً الصفحات الخمسمائة «للمنزل الريفي في بارم» فقد اختزل كاتم سره انسياق القصة وقدمت الينا كما أمليت. فنفهم من ذلك حقيقة هامة: وهي أن سعادة التعبير لم تكن إلا سعادة الروح نفسها. وإن لدي تصميم (طموح) بأن أبرهن هنا بأن سعادة الكاتب والإنسان هما من نفس الطبيعة وأن

الوسيلة الوحيدة لتشييد عمل رائع سواء كان جسراً أم لوحاً أم لوحة أم قانوناً رياضياً أم كتاباً) هي أن نجعل من وجودنا نفسه ومن حياتنا نفسها عملاً رائعاً، وإنني اقترح أن نُثْبت بأنه لا توجد وسيلة أخرى لخلق عمل رائع إلا أن نجعل من النفس الخلاقة عملاً رائعاً. وأن التكنيك والأخلاق والجمال والسياسة هي جميعاً كل واحد ونشاط واحد.

ويبرهن لنا ستندال عن وحدتها بشكل نموذجي. وإن المباديء التي سمحت لستندال بأن يصبح كاتباً عظيماً يمكن تطبيقها على أي كان وعلى أي شيء فتسمح بأن تخلق حِرفِياً عظيمًا أو جندياً عظيمًا أو عاملاً عظيمًا أو مناضلاً عظيمًا أو عالماً عظيمًا أو بالأحرى إنساناً جديراً بالعظمة.

المؤلف

كلودروا

حياته

ان من الضروري وبدون شك أن نذكر بالمهم في حياة هنري بايل وسأحاول أن اختصر ذلك ما أمكن معتمداً على المراجع والشهود والمعاصرين وعلى ستندال نفسه.

١٧٨٣ ـ «لقد عمدت ماري هنري الذي ولد البارحة في ٢٤ ك٢ ١٧٨٣ إبناً شرعياً للنبيل جوزيف بايل المحامي في البرلمان و«للسيدة» كارولين أدلاييد هنرييت جانيون.

١٧٩٣ ـ ولقد ظهر على هنري مزاجه الحاد منذ سن العاشرة الظاهر بشراسة متقدة فلقد كان في ثورة اعتيادية أمام أي اعتبار بالخضوع أو الانقياد للعادات المتبعة في المجتمع، ر. كولومب.

١٧٩٩ ـ وقد حصل على الجائزة الأولى في دروس الرياضيات العليا في مدرسة «سنترال جرينوبل» ووصل إلى باريس في ١٩ برومير(*) وهي ليلة الجنرال بونابرت

١٨٠٠ ـ فيذهب إلى إيطاليا عن طريق جنيف ـ سان برنارد ـ ميلانو ليلتحق بكوكبة الخيالة السادسة.

١٨٠١ ـ وقعت المعركة ـ ثم الى سكالا ـ ثم إلى الحامية ثم استقال. «إنه مصر على رأيه منذ أكثر من ستة اشهر فكل ما قلته له أو ما كتبت إليه حتى يعود فيلتحق بقطعته كان بلا جدوى وقد قام رفاقه بالخدمة مكانه ولم يروا لذلك التأخير موجباً. ب. دارو.

١٨٠٢ ـ جرنوبل ـ باريس ـ مرافقة الكوميديات (الإناث) ـ دراسة اللغات الحية ـ «بعض الأعمال الفكرية.

(عشرون عاماً)

١٨٠٣ ـ نفس الأعمال السابقة

١٨٠٤ ـ شكسبير «دراسة» ومرافقه كوميدية تسمى «ميلاني لوازون».

(*) شهر من أشهر الثورة الفرنسية كان يبدأ من ٢٣ ت[١] وينتهي في ٢١ ت[٢] المعرب

١٨٠٥ ـ بقال مفوض ـ في مرسيليا ـ وعشيقاً لميلاني.

١٨٠٦ ـ العمل في البقالة ـ ضجران ـ ميلاني ـ تعب. فيذهب إلى برلين ومن ثم إلى برنسويك: مشرف على أملاك الأمبراطور ـ رحلات

١٨٠٧ ـ برنسويك ـ علاقة مع «ميناد جريشهايم» «إنه فتى ذو ثقافة علمية تميزه حيوية فرنسية مصحوبة بطيبة لا تبارى» هكذا كتب عن «البارون دسترومبك»

(في الخامسة والعشرين)

١٨٠٨ ـ برفسويك ـ باريس

١٨٠٩ ـ باريس ثم إلى فيينا

١٨١٠ ـ باريس ـ مستمع في مجلس الدولة، ثم مفتش عام لممتلكات التاج

١٨١١ ـ باريس ـ اشترى عربة واتخذ خليلة تسمى «انجلينا باريتر» من «الأوبرا بوف» ميلانو ـ لا سكالا ـ خليلة أخرى تدعى «انجلينا بيتراجروا»

١٨١٢ ـ باريس ـ موسكو ـ ڤيينا ـ باريس.

(في الثلاثين)

١٨١٣ ـ أصبح معروفاً كمؤلف درامي ـ المانيا ـ بتزن ـ سليزيا ـ ساجان ـ درسدن ـ ميلانو ـ باريس.

١٨١٤ ـ الدفاع عن ولي العهد ـ «إنني سعيد من السيد د. بايل إنه يعمل كثيراً لكن صحته لا تواتيه» هكذا كتب السناتور «الكونت د سان فيلبيه»

سقوط نابوليون ـ العودة إلى باريس ـ إنه شاب سمين لا يرتاد الصالونات إلا قليلاً لكنه معتاد على المسرح ويعيش دوماً مع ممثلة ما، وهو يشتري من الكتب كثيراً ويعود كل مساء عند منتصف الليل «هكذا كان تقرير الشرطة عنه.

ثم إلى ميلانو ـ حيث كان يقضي الأمسيات مع انجلينا ويكتب في النهار ومن ثم ينشر كتبه «حياة هايدن وموزارت والانبئآت (الانتقال).

١٨١٥ ـ ميلانو ـ حيث تخدعه انجلينا فيقاطعها.

١٨١٦ ـ ميلانو ـ جرنوبل ـ روما ـ ميلانو ـ وتحدث مقابلاته مع مونتي ـ سيلفيو بليكو ـ بايرون «إنَّ بايل جدير بالثقة لكنني أرى قسوة في طريقته بالحديث ـ وتبدو عليه الصبغة المادية ولا بد أن يكون كذلك «لوردبراوتون.

١٨١٧ ـ ميلانو ـ چرنوبل ـ باريس ـ لندن ـ چرنوبل ـ ميلانو ـ وكتب «تاريخ الرسم في إيطاليا». «روما ـ نابولي وفلورنسا» ـ ـ «حياة نابوليون».

(في الخامسة والثلاثين)

١٨٢٣ ـ كتب «حياة روسيني». و«حياة راسين وشكسبير». «إن الدور الذي لعبه بايل في الرومانسية جدير بالدراسة لأنه أظهر بأنه يمكن بالمثابرة وبدون القناعة التامة وبمساعدة الرطانة الروحية يمكننا أن نقود النفوس الخيرة إلى الشر. دليكلوز.

١٨٢٤ ـ روما ـ باريس ـ جرنوبل ـ باريس «لقد أجاب بايل قائلاً نحن في مرحلة انتقالية فلننتظر تغير الأخلاق الدستورية وأن يعدل الأدب الرومانتيكي أذواقنا وعاداتنا وستروا ماذا سيحصل». وقد استقبل الجميع بالضحك هذه النبوءة للأستاذ الرومانتيكي» دليكلوز.

ـ وكانت لديه خليلة هي الكونتس كوريال.

١٨٢٥ ـ باريس ـ روما ـ باريس ـ كتب من «المؤامرة على الصناعيين» وكذلك الجزء الثاني من «راسين وشكسبير».

١٨٢٦ ـ باريس ـ انتهاء العلاقة مع الكونتيس كوريال ويبدأ بكتابة «ارمانس» ثم يذهب إلى لندن.

١٨٢٧ ـ باريس ـ ثم يذهب إلى إيطاليا في تموز ـ وتنشر «ارمانس» و«بصورة عامة يبدو أن هذا الرجل قد سخّر حياته للمتعة وهو يتعلق بالاستقلال في كل لحظة وفي كل مكان. ومع ذلك يجب أن أقول بأنني لن أفاجأ أن أراه يُتَّهَمُ بالأنانية» دليكلوز.

(في الخامسة والأربعين)

١٨٢٨ ـ يصل إلى باريس في الأول من كانون الثاني فيُبعد. «لقد أصبح بايل معروفاً باعتباره مؤلفاً للكتاب سيء السمعة «روما ـ نابولي ـ فلورنسا» وقد شرح في هذا الكتاب أكثر المباديء السياسية فساداً وتعرض بوقاحة مذمومة إلى الحكومة النمساوية وأصبح معروفاً بأنه عدو وغير متدين ولا أخلاقي وخطر على الشرعية». تقرير المدير العام للشرطة في ميلانو. أما خليلته فكانت تدعى «البرت دروبامبري».

١٨٢٩ ـ باريس ـ حيث نُشِر «نزهات في روما».

١٨٣٠ ـ يسمى قنصلاً لفرنسا في تريستا في أيلول وينشر «الأحمر والأسود» «إنه رجل يمتزج بالبساطة إنه تشهير حسب الأصول بالنفس الإنسانية» «مجلة باريس» «إن لديه رغبة محلة بأن يصبغ كل شيء بالبشاعة وأن يجسّم صوته حتى يصبح أكثر

تهويلاً إنه صانع مفارقات» «جول جانان»؛ إنه كتاب للأرستقراطي وسيكون نجاحه براقاً ولن يكون دائماً» «المجلة الموسوعية»؛ «لقد حان الوقت كي يغيرالسيدستندال اسمه مرة أخرى وللأبد وكذلك أن يغير طريقته وأسلوبه» «جازيت دفرانس»؛ «لقد حاولت أن أقرا هذا. هكذا قال لي فكتور هوجو فكيف استطعت أن تقرأ أكثر من أربعة صفحات» «هـ. روشفور».

١٨٣١ ـ تريستا. رفض مترنيخ أوراق اعتماده. فسمي قنصلاً في سفيتا ـ فيتشيا. «إنه يريدأن يتكلم بحرية ويرفض سكان روما بهلع أن يتورطوا لذلك فإنهم يصمون آذانهم ويهربون». «الآنسة دجونل».

١٨٣٢ ـ بين روما وسفيتا ـ فيتشيا ويكتب ذكريات التبجح. «لم يكن بايل محبوباً أبداً في قصر السفراء. فقد كانت طبيعته الشيطانية مكدرة ولم يتأقلم هذا الجمهوري المقنع إلا غصباً عنه بملكية تموز الذي كان بها عابراً. لقد كان يقول كم من الزمن تستطيعون ايقاف هذا السيل. «ل. سباتش»

(في الخمسين)

١٨٣٣ ـ سيفيتا ـ فيتشيا ـ يمضي عطلة آب في باريس «إنه

سمين ذو ملامح شديدة الدقة بالنسبة لسحنته المتعجنة إن بايل لا يزال هجّاء متهكمًا وتراه يوزع الاحتقار بكل غرور ويحاول أن يجد في كل محدِّثه نية في الانقضاض عليه وإنني لا أعتقد بأنه شرير وإن كان يحاول جهده كي يبدو كذلك». «جورج صاند».

١٨٣٤ ـ سفيتا ـ فيتشيا ثم روما ويبدأ بـ «لوسيان لووين»

١٨٣٥ ـ سفيتا ـ فيتشيا ثم روما ويبدأ بـ «هنري برولار».

١٨٣٦ ـ يبدأ بعطلة لينتهي في باريس.

(في الخامسة والخمسين)

١٨٣٨ ـ رحلة إلى انكلترا. وينشر «مذكرات سائح» ويكتب في خمسة وخمسين يوماً «المنزل الريفي في بارم».

١٨٣٩ ـ يعود إلى سفيتا ـ فيتشيا ويكتب «لاميبل» وينشر «المنزل الريفي في بارم» «لقد صنع السيد بايل كتاباً تنفجر الرفعة والجزالة من فصل لآخر فيه وأن الإسلوب هو نقطة ضعف هذا الكتاب إذ نظرنا إلى ذلك من حيث ترتيب الكلام «بلزاك».

١٨٤٠ ـ سفيتا ـ فيتشيا ـ يظهر التفرس ـ يقوم بحفريات

أثرية ويتعلق بها

١٨٤١ ـ أزمة قلبية ـ فيأخذ عطلة «وكان يتزين كفتى ويتخذ ذؤابة مستعارة ويصبغ شعره ولحيته بعناية باللون القاتم». ر. كولومب.

(في التاسعة والخمسين)

١٨٤٢ ـ موت ستندال. ـ «يا صاحب النيافة المبجل من واجبي أن أعلمكم بأن بايل عظيم الشهرة قد مات. ولقد انتقمت العناية الإلهية لمبادئنا العظيمة بموته بهذه الطريقة التي حُطِّم بها». المندوب الرسولي في سفيتا ـ فيتشيا؛ «إنه المغامر الذي لقي بعض الشهرة لكثرة وقاحته ودسائسه ولن يكون لستندال أية شهرة كما لن تكون لاسمه الجديد بايل. هكذا قلت إلى السيد «جيزو» فأجابني «إنه سوقي» وقد وصلني حقي. ولقد خلصتنا منه سكتة قلبية في ٢٤ آذار. «ج.ب فييني» «لقد تخلد مونتسكيو بما كتب أما مسيو ستندال فلم يكن ليبقى لأنه لم يفكر لحظة بأن يعرف ما هي الكتابة».

فكتور هوجو إلى هـ ـ روشفور.

إن الوسيلة الوحيدة لخداع الموت هي ألا تنخدع. وأن التسعة والخمسين عاماً التي قضاها ستندال والتي لم يحقق فيها إلا قليلاً من رغباته فكان ضجراً وفقيراً وتعيساً وبشعاً وخائب الظن ومخفقاً لكنها كانت كلها مشغولة فلم تحتوِ على دقيقة ضائعة أو وقتاً ميتاً. فقد كانت حياة ستندال تقدماً مستمراً لم يتراجع فيها مطلقاً لأنه لم يكن ليضل أي ليتوه. فعندما كان فتى يسمى هنري أو مراهقاً يسمى بايل أو رجلاً هو ستندال كان دوماً مسلحاً بمباديء وذوق وبأهداف لم تتغير إلا بتفاصيلها فقد كان انفعالياً، لا مبالياً وهمه المتعة. لكنه عقلاني وواضح عنيد وإن كان يبغي أن يصبح شاعراً غنائياً ومؤلفاً دراميا؛ وقد تمرس

بالنقد الفني والموسيقى وعمل صحافياً لكن ما يهمه هو أن يكون كاتباً. ففي عام ١٨٠٣ نراه يكتب «ما هو هدفي ؟ أن أكون أعظم شاعر ممكن. لذلك لا بد من معرفة الإنسان وليس الأسلوب إلا الجزء الثاني من الشاعر». ولقد نما وأنضج وأتقن رؤاه عن العالم لكنه لم يبدلها لأنه لم ينخدع. وعندما كان في العاشرة من عمره انفجر ضاحكاً عندما علم بموت الملك قد يبدو أنه كان مستعداً لتغيير رأيه عن نابوليون فقد أعجب به ثم أبغضه ليعود إلى الإعجاب به. فهو الذي ضحك لموت الملك في العاشرة واليعقوبي في العشرين والمناهض للبونابرتية في الأربعين والنابوليوني في الخمسين بقي جمهورياً دائماً ويجب ألا ننخدع. فلم يكن هو الذي تبدل بل إن بونابرت نفسه قد تبدل أو الصورة التي أعطاها هذا الأخير عن نفسه فلقد أعجب بالثورة العسكرية الداعسة وكره فيه الأتوقراطي. وقد اتخذ لنفسه أساتذة فكريين وهو في الخامسة عشر وبقي مخلصاً لهم في الخمسين إنهم معلمون جيدون ولقد جرب وعانى طريقتهم كل حياته. وقد كان حقده الهادىء يلاحق الأب «ريان» الذي علمه وهو في الثامنة النظام الفلكي كما تدرسه الكنيسة بمفهومها الخاطيء حينذاك كما كره الجزويت بعد ذلك بثلاثين عاماً لأنهم يستعملون الدين «ليحتووا غضب الشعب في لحظات انفجاره» وقد أعجب بنفس الطريقة الهادئة والتي لم يضعفها الزمن بـ مونتسكيو، كمونديا‌ك، هوب، هلفسيوس فوفنارج، شامفور،

باسكال، تراسي، سان سيمون (فللخمر لذة دائمة) بنتام، آدم سميث، روسو. فقد حلم حياته كلها بمقدمة لإحدى كتبه كان يتصورها على الشكل التالي:

فلنتابع ما كتبه الشيخ - ولننظر فيما كتبه الفتى.

ففي عام ١٨٤٢ مات فتى عن عمر ناهز التاسعة والخمسين لم ينقطع عن النظر فيما كتب.

فإذا عدنا إليه لنرى من أين أتت هذه المجموعة الواسعة من الخربشة عن نفسه والصحف والرسائل والهامشيات والوفيات والاعترافات والذكريات التي تمسك بالقارىء ولا تتركه يضجر ولو للحظة واحدة؟ ذلك لأن ستندال كان خالياً حقاً من كل تبجح وتفخيم. نعم إنني أعلم أنه هو من ابتكر هذه الكلمة في اللغة الفرنسية فمتى استعملها لأول مرة؟ كان ذلك عام ١٨٢٩ فتحدث عن شاتوبريان قائلاً: إنه ينضح بالتبجح وبالتكلف السطحي المتسطح» وعندما يسمي إحدى مخطوطاته «ذكريات التبجح» أفلا نرى في ذلك كل السخرية والتهكم على النفس؟ إنه لا شك كان شديد الاهتمام بنفسه لكن بلا مجاملة وقد كان ديكلوز على حق عندما قال إنني لا أفاجأ عندما يوصف بالتبجح». فعندما يعيد قراءة صحيفته ويكتب على هامشها متحدثاً عن نفسه! يجب أن يقذف هذا الرجل من النافذة».

ويدون ملاحظة أثناء الحملة على إيطاليا: وفي الليل كنت مشغولاً بأن أمشي متخذاً وضعية مهيبة ومزدرية بالنسبة لضباط الخيالة الفتيان الذين يمشون بطريقة وقحة. إنها لمسكنة كبرى. لكنني لم أكد أبلغ الثامنة والعشرين وأرجو أن ينقضي ذلك مع الزمن».

فكل ما لم يكن لديه منه الكثير أو القليل حاول أن يزيده أو ينقصه فلم يكن ليعامل إلا كما يعامل اخته «بولين» ففي المراسلات التي وجهها اليها نراه يذهل الفتاة الفاتنة بطلباته الملحة بمشروع موسع لفحص ناقد لنفسه وللآخرين وبقراءات ممحصة ومتأملة وبممارسات عملية (تحرير اللوحات، مختصرات ناقدية للقراءات المحققة إلخ.)

وفي رسائله كمراهق لأخته العزيزة نرى أكثر الحنان شدة وأكثر اللطف تعبيراً فلا نرى له هنة وهو المندفع. فرسائله كانت مليئة بالمشاعر الفياضة وبعضها بالسذاجة لكنها تخلو من الحماقة تماماً «إنني أحاول أن اقتلع من نفسي كل العواطف الخاطئة وأريد بذلك تلك التي تعِدُنا في مواقف معينة بسعادة لا نلقاها عندما نصل إليها». ولم يمارس ستندال عبادة الأنا لكنه كان يتمرس في عبادة الـ «هو» وقد كان متشدداً بشكل عجيب حيال نفسه فقد اقتلع من نفسه جذور المراهقة وهو في الثامنة عشر تلك التي سأدعوها عقدة «بوريدان».

فبفضل حماره كان بوريدان رمزاً لهذه الحيرة، العقبة التي تضعنا فيها وفرة العالم ووسيلتنا الداخلية. فنقع في هذا الاضطراب الذي يسلمنا إلى دوخة ما يمكن تنفيذه. فلماذا نكون هذا ولا نكون ذاك ؟ ولماذا نعلم هذا ونجهل ذاك ؟ فحديث السن يلقى صعوبة في الاختيار. والاختيار يتضمن التنازل عن شيء ما.

وإن من الشجاعة بمكان أن نتفوه بكلمة «دوبوي المدهشة»: لقد اخذت ما أجهل، بهذه الشجاعة المشهودة يتصف المراهق هنري بايل الذي يدون في مفكرته: «فلنعمل لأنه العمل والد المتعة ولنفكر بجلاء قبل أن نتخذ رأياً وعندما نقرر شيئاً فيجب ألا نتراجع عنه فبالمثابرة يمكننا أن نصل إلى أي شيء. ولتكن لدينا المواهب فلا بد أن يأتي يوم نأسف فيه للزمن المهدور. لكن ما يعزينا فعلاً هو أننا لا نستطيع الحصول على كل شيء دفعة واحدة ومن القسوة أن يحصل أمرؤ بمفرده على كل أنواع التفوق وإنني لا أدري إذا كانت السعادة التي يلقاها لن تذبل بسرعة بسبب الضجر».

لم يكن ستندال ليخص كتاباته الودية بالعناد في الوضوح والحاجة إلى النقد الذاتي وكثيراً ما يضطر الصحافي أن يقدم تقريراً عن أعماله الخاصة أثناء حياته وقد نعتقد بأن ستندال انساق في الملذات المراتية بأن يدخل نصوصاً مداحة قصيرة في

تقاريره كما يفعل الكتاب في أيامنا هذه حتى ترسل إلى النقاد فيتخذ هؤلاء فكرة مؤاتية له. إننا نبخس ستندال حقه إذا آمنا بذلك. فقد كانت لديه الجرأة الوقحة بأن يقول السوء عن نفسه عندما يبدو له ذلك حقاً. فقد كتب في «المجلة الشهرية الجديدة» (باللغة الانكليزية) مقيّما آخر عمل له قائلاً: إن الخطأ المسيطر لهذا الكاتب أنه لا يشك مطلقاً في استدلالاته وبراهينه فهو يقفز بسرعة مذهلة من البشائر إلى النتائج وغالباً ما تصيب قفزته، لكن أكثر الأقدام ثباتاً يمكن أن تنزلق». ونراه بنفس الصرامة يكتب في «مجلة باريس الشهرية» باللغة الانكليزية «هناك بعض الخاصيات في هذا الكتاب تمنع القاريء أن يتمتع به بشكل كامل ومستمر» ويجب ألا نرى في ذلك استعراضاً للقسوة على الذات أو حركة لتواضع مزيف فعندما يعلق على مخطوطاته لا نراه أقل قسوة فقد كتب على هامش «لوسيان لووين» «قد يكون للكاتب كثيراً من نبرة فيلسوف بارد الذي يرى كل شيء من علٍ دون أن يهتم لا بسعادة أو بتعاسة أو ضعف الأفراد». كما كتب على هامش «الأحمر والأسود» قائلاً «إن الأسلوب وعر جداً، ومتصادم إذ لا يحلم الكاتب عند حديثه إلا بالفكرة وهذا ما يوقعه في الوعورة والتصادم والاهتزاز والقساوة» وكتب أيضاً في مكان آخر «أولاً تتصف نبرة «الأحمر» بكثير من الرومانية.». وعندما كان ستندال ينقد كتبه لم يكن مختلفاً عن «بايل» عندما ينتقد ميزة أو صفة بعد أن حدد لنفسه

نماذج ليبذها أو فضائل ليكتسبها أو عادات معقولة لممارستها. فحتى نصل إلى الكمال في الكتابة يجب علينا أن نكون كاملين بقدر الإمكان وقد كانت حياة ستندال تدريباً مستمراً ولم ذلك؟ فالطّموح يتدرب على النجاح والشحيح كي يعتني والدون جوان كي يفتن أما ستندال فقد تدرب كي يتواجد.

من هنا تأتي حدة وفيض حياة مملوءة بالفشل وعندما نقصُّها نـراها ممتلئة بالإخفاق الملون بالـرمادي والأسـود والحزين واليائس من طفولة مكبوتة إلى مراهقة فقيرة إلى حرب هاوية إلى طموح مخفق إلى عجز جنسي بمرض من نفس النوع إلى النبذ في ركن قصي إلى مجد مفقود خلال حياته إضافة إلى الصلع والتكرش وقائمة من الأغراض مثل (ذؤابة الشعـر وطقم الأسنان والمظلة. . .) كان لا بد من شرائها عندما رَشَّح نفسه إلى مركز المحافظ الذي لم يحصل عليه ومن ثم المرض وأخيراً ذلك الدهليز الأسود الذي انتهى بالموت. ولنقل إنها هي تلك طريقة الوجوديين في قص حياة ستندال (إذا أردنا أن نتجاوز الزمن). لكنني أرى في ذلك سعادة لا تضاهى وبطولة لنفس ترفض أن تُغلب أو تكذب أو أن يُكذِب عليها وأرى كذلك فيها قَدَراً قد اكتمل نجاحه.

وحقاً فان ستندال لم يشك بذلك قط. فكل الجمل التي ذُكِرَت عنه فيما تلا من السنين (١٨٨٠ ـ ١٩٣٥) عندما أصبح

مقروءاً ومفهوماً ومُعجباً به لم يكن يفكر بأنها ستكون عزاء له. فقد كان يعلم أنه فانٍ ولم يكن ليؤمن بالأجيال التالية أو بالحياة الأبدية لكنه كان يعلم ببساطة أنه موجود وأنه إذا لم يكن قد تلقى الشهرة في حياته ذلك لأنه قد أُسيء فهمه. فهناك فعلاً جملة سامية في رسالة له إلى بلزاك «إن الموت سيبدل مواقفنا مع هؤلاء الأشخاص. فهم يستطيعون فعل كل شيء في أجسادنا أثناء حياتهم لكن النسيان بعد الموت سيطويهم إلى الأبد. فمن سيتحدث عن السيد «دفيليل» أو السيد «دمارتينياك» بعد مائة عام»

وينفجر الشعور بقوة النفس من هذه السطور المتكبرة بلا شك ولكنها بسيطة وحقيقية. وفي رسالة إلى «السادة أعضاء الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٢٤ يجب ألا نعتبرها دعابة كتب قائلاً: إن لدي مشروعاً جريئاً بأن التمس صوتكم حتى أُقبل في الأكاديمية الفرنسية وقد تكون لي تلك الميزة عام ١٨٤٣ وعندها أكون قد بلغت الستين من العمر فلا يكون بين أعضاء الأكاديمية كثيراً من الرجال الشرفاء المبجلين المحبوبين والذين كما يبدو لي ـ وقد أكون مخطئاً ـ صالحين كقضاة للأدب» كلا. لم يكن ستندال يتحدث عن المستقبل بل كان يرتكز على الحاضر وعلى ما اضطر أن يكونه وعلى اليقين بأنه سيكون عاجلاً أم آجلاً وإن كان ذلك لا يهم كثيراً معترفاً به بالنسبة لستندال لا

تنفصل ملاحقة السعادة عن الطموح إلى المعقول. فلكي تكون سيداً يجب أن تفكر بصواب في هذا العالم الذي نراه بوضوح. فالسعادة هي «عادة دائمة للتفكير بحكمة» و«لا تأتي التعاسة إلا من الخطأ» وبعد ذلك بعشرين عاماً نراه يقول «إنني اختصر كل الفلسفة بألا نسيء الظن بدواعي تصرفات البشر وألا ننخدع ببراهيننا أو بفن السعي إلى السعادة». إن كل ذلك حق. لكن عندما تنعزل عن حياة ستندال كقرينة للاستدلال فإن ذلك يبدو باهتاً. فلقد كان الفتى بايل يتأرجح بالحماسة بين «لاكلو». و«روسو» بين «العلاقات الخطرة» و«الهيلوهيز الجديدة»(*) فمن الناحية الأدبية كان يمثل نقطة الإلتقاء الكاملة بين آلية المشاعر عند المخطط المدبر لاكلو وبين انبعاث المشاعر عند الحساس روسو فالانسجام الإنساني كامل بين إرادة الفكر الصائب وضرورة المشاعر الحادة. فهو الإنسان ذو العاطفة الواضحة والذي يوجهه العقل ولقد كتب على هامش «الأحمر والأسود» «أية سرعة! أو ليس ذلك من النضوب لهؤلاء انصاف الحمقى ؟» أو ليس بديعاً أن نراه مركزاً بكليته على الحصول على السعادة ومع ذلك فهو يتطلب بعضاً من الحزن في أعمال حصلت على إعجابه فقد كتب يقول: «نادراً ما يكون روسيني حزيناً وماذا تكون الموسيقي بدون نبرة حزن مفكرة ؟» ونراه

(*) الكتاب الأول للأكلود الثاني لروسو.المترجم.

يفضل عليه موزارت الذي يُجبر النفس على «أن تهتم بتخيلات حزينة ومؤثرة تجتاحها فجأة ثم تغرق في كآبة دامعة. فموزار لا يسلي أبداً. فهو كخليله جادة يغلب الحزن عليها لكننا نتعلق بها بشغف وذلك بسبب كآبتها الخاصة».

ولم يكن ستندال مثل بقية النفوس الفانية والتي سُوِّيت بأحسن تصميم ذكية سعيدة لا تكتنفها الظلال. ولم يكن مثل أولئك الأشخاص خالي الهموم والذين أُحب أن أضع بينهم (وبدون حق) فولتير (لكن جملته تنعكس وتغتني) بحزن صارم فتنقذه من أن يكون بغيضاً) لاروشفوكو، فونتينل وبعض الأحياء أيضاً. «إن كل صفحات حياة إنسان بارد لا تتبدل. فإذا أخذته اليوم أو البارحة فإنك تلمس نفس اليد من الخشب» وقد كان ستندال يعلم بأنه كي يكون سعيداً بسعادة جديرة بهذا الاسم يجب أن يكون صميمهُ من الحزن الحقيقي

«لن يكون شيء جميلاً وعادلاً وسعيداً كفرنسا الفاضلة عام ١٩٠٠» هكذا لخص ستندال هذه الفكرة عام ١٨٢١.

إنني اعتقد أن إحدى الشروط الضرورية (لكنها غير كافية) حتى نصنع عملاً رائعاً من حياتنا هي أن نكون تقدميينْ ولقد كان ستندال مؤمناً بحقيقة وجود تقدم في الأخلاق والسياسة

والجمال. وإنني لا أخاف عندما أعلن بأنه لم تتكون أعمال رائعة في كل التاريخ البشري ما لم يكن صاحبها ذو ثقة عمياء في إمكانية التقدم والإيمان في كمال النفس الانسانية والمجتمعات الإنسانية والسعادة الإنسانية. فإذا واجهتموني بحجة الأعمال الرائعة التي انجزت أو كتبت من قبل رجال ذوي فكر رجعي كانوا يرفضون الإيمان بالتقدم الممكن فإنني سأجيبكم ببساطة بأن ذلك ليس صحيحاً لأن هؤلاء الرجال لم يصلوا إلى الكمال لأنه المعيار الوحيد للأعمال الرائعة.

فما نراه من حشو وهذر وحماقة في بلزاك مثلاً لا بد أنه أتى من كونه رجعياً وأن التشوش في أسلوب «موراس» وهو الكاتب الموهوب لم يأت إلا من كونه رجعياً. ولقد كتب ستندال قائلاً «إن الطغيان يضرب أسلوب الحماقة» ولا ينطبق ذلك فقط على الحالة الحسية للاستبداد بل على فكرة الطغيان نفسها. فقد نَقُص من كل عمل مناهض للتقدمية وسينقصه إحدى أبعاد الجمال. فلقد كان بإمكان ستندال أن يوقع هذا النص الرائع الذي يعرض فيه «بنجامان كونستان» عقيدته «فبين مختلف المباديء التي توالت وحوربت وعدلت يبدو لي أن هنالك واحد منها يمكن أن يشرح لغز وجودنا الفردي والاجتماعي، واحد يبدو لي صالحاً ليعطي هدفاً لأعمالنا وسبباً لأبحاثنا فيسنُدَنا في ترددنا ويرفع من معنوياتنا عن فتور همتنا. إن هذا المبدأ هو

قابلية البشر للكمال» ويتابع بنجامان كونستان «إن الاتقان المندرج لنوعنا يوطد وحده علاقات مضمونة بين الأجيال فتغتني هذه دون أن تتعارف وإن صديق الحرية والعدالة يوقف للقرون المقبلة أثمن جزء من نفسه فيضعها في مأمن من الجهل الذي لا تعرفه جيداً ومن القمع الذي يهددها. فيودعها في حرم لا تقترب منه العواطف المخزية والشرسة.».

وتوجه هذه الفكرة كل أحكام ستندال وأفكاره وعمله الأدبي ومهنته ومزاجه وفكاهته. فهو يكتب متناسباً مع تقدم القراء «يأمل الأدب الفرنسي عصراً ذهبياً من النشاط عندما يأتي إلى هذا العالم أحفاد أغنياء الثورة «الفرنسية»» وإن هذا التقدم مرتبط بأشكال المجتمع وبنمو الأفكار التي زرعت بـذرتها الثورة. وهذا النشاط وهذه العاطفة التي يضعها فوق كل شيء ويربطها بشدة بهوى التقدم ولصالح الأخلاق «إنني أنعتِ بسوء الأخلاق كل حكومة بلا مجلسين» فتحت نير الاستبداد يمكن أن يـوجـد أشخاص استثنائيون نشيطون ومولهون إنهم المعارضون مثل «فيرانت بالا» مع رفاقه في الكفاح مثل الكاربوباري أو الانعزالي جوليان سوريل. وبشكل قاطع! إن النشاط والاندفاع هو من حصة «الطبقة التي تكافح من أجل حاجاتها الحقيقية». فلماذا كان الأدب عـام ١٧٨٠ غثاً ومسـطحاً بمجموعه ؟ لأن «جمهور عام ١٧٨٠ كان مجموعة من العاطلين؛ فاليوم لا يوجد

ليس فقط عشرون عاطلاً في كل مجتمع باريس بل بفضل الأحزاب التي يشتد باعها منذ أربعة أعوام أضحينا مقبلين أن نكون موهلين وقد يقرر هذا التغير المتطرف كل الأمر» وبنفس الشكل نرى ايطاليا «لن يكون لإيطاليا أدب إلا بعد المجلسين فقد يظهر رجل عبقري ضمن السطحية العامة فمثلاً «الغيري» يتصرف كالأعمى ولا يأمل بأي سند جماهيري وإن كل من يكره الطغيان يرفعه إلى الغمام ولكن من يعتاش من الاستبداد يكرهه ويفتري عليه». وأن كل ما ينطبق على «الغيري» ينطبق على ستندال.

وإننا لنخطىء إذا اعتقدنا بأن آراء ستندال السياسية سببها فكره ولا علاقة لها مع بقية نشاطه الخلاق وأنه يمكننا أن نضعها في فصل خاص بين جزء الحب وجزء الأدب. نعم إنني أعرف تلك الجملة الشهيرة التي تفوه بها ستندال مرتين (مرة في «راسين وشكسبير» وأخرى في «ارمانس») فلقد قال: إن كل فكرة سياسية في عمل أدبي هي بمثابة طلقة مسدس في حفلة موسيقية لكن نجاح عمله يكذب هذا الخوف الذي تحدده هذه الجملة. وتلتحم يعقوبية ستندال مع جماليته وأخلاقيته. فإذا نزعنا السياسة من «الأحمر والأسود» ومن «المنزل الريفي في بارم» ومن «لوسيان لووين» ينهار الصرح بكامله ولا نعد نفهم لماذا يذهب «فابريس» إلى واترلو فيتصرف طوال القصة كما تصـرف.

ويصبح جوليان ـ سوريل غير مفهوم. وتنفلت كل حوافز العمل فجأة. وتنكمش قصة لوسيان لدوين إلى خمسين صفحة بعد أن يقتلع منها الباقي. وإذا كانت السياسة عند ستندال لا تعطي انطباع «طلقة مسدس في حفلة موسيقية» فلأن رؤياه السياسية مرتبطة عضوياً مع أذواقه الفنية وملاحظاته عن الطبع البشري وعلى كلية وجودِهِ نفسها ذلك لأن سياسته حقة ففي نص من «راسين وشكسبير» حيث يستنكر «طلقة المسدس» السياسية فإننا نراه يوضح فكرته بأن يضيف قائلاً إن ما يكره فعلاً «إنما هي التلميحات على المنافع العابرة والفظة للسياسة القائمة» وقد كتب على هامش مخطوطة «لوسيان لدوين» عام ١٨٣٤ ان نحترس من الحزبي ذلك لا يخفي على الرجل المولع فالحزبي يصبح بارداً تماماً بعد خمسين عام ولا يلزمنا منه إلا المهم عندما يبت في الموضوع، ولم تكن سياسة ستندال وقتية عابره بل كانت سياسة دائمة الشباب تميز الكتاب العظام الذين يعرفهم ستندال قائلاً: إنهم خيالة الحرية فهم دوماً على فوهة المدفع»

ولا يوضح شيء الوحدة العميقة لفكر ستندال مثل موقفه تجاه الدين. لقد كان ملحداً بلا شك لكنه لم يكن ضد الدين. بل ضد الاكليركية فلقد كانت روحه غير مؤمنةٍ بشكل طبيعي، أو لم يكن يتحسس بما يحتويه الدين من حقيقة وجمال وحتى ما أصابه مـن الفساد؟ بالطبع كلا. فخلال خمسين عاماً التهم

ستندال من الجزويت ما كفاه وبشهية غول ويجب أن نتذكر بأنه لم يلتهم كاهناً قط ولقد قدم لنا في رواياته بعضاً من الأنذال الذين تجلببوا برداء الكهنوت وخاصة لوحتيه الرائعتين لرجال الكنيسة مثل الخوري الطيب «بلانيس» والكاهن العاطفي «شيلان». وفي مناسبات متعددة نرى فيه انفتاحاً للتحسس الديني الذي يدهش القراء قلباً وقالباً. فنراه يؤكد قائلاً: «لن يمنع وجود محاكم التفتيش النفوس الطيبة أن تشعر بسمو مبادي المسيح» كما أنه يعترف بجميل النصرانية لأنها كانت عاملاً مؤثراً واسعاً في التقدم فبسببها تحررت المرأة و«أصبحت مساوية للرجل الذي أصبح يتوسل إليها للزواج». وإن العاب السيرك الشرسة والتي كانت قائمة في العهود البائدة إذا أصبحت في ظل النسيان فلقد كان ذلك بفضل المسيحية. ولنذهب إلى أبعد من ذلك أيضاً وسنفاجيء ستندال غالباً وقد ترك نفسه لينسجم مع وله ديني وليكون أول المندهشين من ذلك. «لقد كنت أنا نفسي أتحلى بالدين» هكذا صرخ مرة في روما. وعندما كان يشاهد حفلات ممتعة كان يقول: «لقد كنت مؤمناً مثل سكان روما القدماء» وفي مكان آخر في «مذكرات سائح» نراه يكتب «لقد كنت نصرانياً وكنت أفكر مثل القديس جيروم الذي كنت أقرأ له البارحة».

ولم يكن عدواً مناضلاً ضد الدين بسبب عتمته الفطرية أو

انغلاق فؤاده كما بدا ذلك في فخفخته وأعمالِهِ «إن الاقطاع والرهبان الذين هم أسوأ السموم الآن صنعوا أشياء جميلة في الماضي ولم يكن ذلك بسبب نظرية باطلة بل كانوا يلبون حاجاتهم وإن محظوظي اليوم يعرضون على الانسان بأن يتغذى بالحليب وأن يمشي على طرف ثوبه أو ليس ذلك من المستحيل لكننا هكذا بدأنا. فأنا أرى القديس «فرانسوا داسيز» رجلاً عظيمًا لكن عندما يتعلق الأمر بالقديس دومنيك وبمحاكم التفتيش فإنني أرى مجزرة الالبيجوازيين و«الأعمال التطهيرية» لمذبحة سان بارتلمي ومن الطبيعي أن نصل في ذلك إلى قتلة «نيم» عام ١٨١٥».

وقد كره ستندال في الكثلكة «ذلك الدين المفيد للأقوياء» والذي يعيق التقدم الأخلاقي والاجتماعي والذي يوحي إلى سيدات «ليون» المناهضات لافتتاح مدارس جديدة «وببساطة إن تلك السيدات يذهبن إلى الاعتراف» ذلك الدين الذي يساند السياسة المتخلفة للمتطرفين، ويمجد فضائل الجهل وعبودية المرأة للرجل وللمواطن وللمستبد.

ويرفض ستندال بشدة الاعتراف بفضائل الجهل ويعود مائة مرة ليذكِّر «بميزات المعرفة عند الشعب والتي يناهضها كل من لهم علاقة مع النبلاء ورجال الدين».

وإن عبودية المرأة هي القاعدة الاجتماعية لكل المبادىء الرجعية وكذلك شرعية الفاشية، كلها حاربها ستندال بوله. ولم يكن فقط مبتكراً لتلك الوجوه النسائية المدهشة التي تعيش في كتبه بل كان المنظِّر الحقيقي لإعلان حقوق المرأة.

فلأولئك المذهبيين الذين يعارضون في تثقيف النساء مستعملين نفس الحجة القذرة التي ترفض تعليم الزنوج أو الحمامات الشعبية للبروليتاريا فيقولون إننا إذا علمنا هؤلاء الأشخاص فسنعطيهم الأوليات ونصنع منهم انصاف علماء وساخطين ومحدثي ثقافة أفظاظاً وإذا أعطيناهم حمامات أو هل تعلمين يا عزيزتي ماذا سيصنعون بها؟ سيضعون فيها فحماً، وعلى هذه اللازمة المبتذلة المضادة للتقدم لمنظري «المرأة للبيت»، والزنجي للمزرعة، والبروليتاري للآلة وذلك كي تأتي البطيخة جاهزة في الصحن بعد تقسيمها نرى ستندال يجيب بروعة وفي كل كتبه فيضع جوابه في منظورة تاريخية لأنه يعلم بأن التحرير ليس عملٍ يوم أو بمرسوم أو بحركة. وهكذا فإنني أقدم هذا النص كاملاً غير منقوص:

«البشر طغاة ونراهم يصنعون نصائح باغية تخدم أهدافهم فهم يقولون إن الإنسان القادر لا يتذوق إلا نوعاً واحداً من الآراء التي تعلِّمه أن يزيد من سلطته فأين تجد الصبايا الفقيرات

كيردجا أو ريبجو(*) حتى يعطوه إلى حكامهن المستبدين الذين يسحقنهـن ويضطهدنهن فنراهم يصدرون إعلانات بالنجاه قد تعدل بالعفو أو بضربات من السوط بدلاً من المشنقة فأين يجدن؟

فإذا كانت ثورة مثل هذه تتطلب عدة قرون ولسوء الحظ باءت المحاولات الأولى بالفشل لأنها كانت تعارض الحقيقة فلنُنزْ نفس صبية ولنكسبها أخلاقاً ولنعطهـا تربية حقيقية جديرة بحمل هذا الاسم وسنلاحظ عاجلاً أم آجلاً تفوقها على النساء الأخريات فتصبح متحذلقة مدعية للعلم ومثيرة للقرف ومنحطة أكثر من كل البشر ولن يـوجـد أحد منا كي يمضي حياته معها بل كان ليفضل عليها خادمة.

وعندما نزرع شجرة في وسط غابة كثيفة فتحرمها جاراتها من النور والهواء فتسترق أوراقها وتأخذ شكلاً متطاولاً وسخيفاً مختلفاً عن طبيعتها وهكذا يجب أن نزرع الغابة كلها من نفس الشجرة. وعندها أين تـوجـد المرأة التي ستتفاخر بأنها تحسن القراءة؟

ويكرر علينا المتحذلقون منذ ألفي عام بأن للنساء نفوس

(*) قطع نقدية.المترجم.

رقيقة وللرجال صلابة وأن للنساء كثرة من النعومة في أفكارهن وللرجال كثرة من القوة في الانتباه. ولقد عرفت في باريس متسكعاً كان يتنزه سابقاً في حدائـق فرساي وقد استنتج مما رآه هناك بأن الأشجار تولد مقلمة»

(من الحب، الكتاب الثاني- الفصل السادس عشر)

ولا شك أن ستندال كان جمهورياً يعقوبياً أولستم موافقون؟ إنني أعلم ماذا ستقولون لي- ثلاثة براهين أو ليس كذلك؟ وسأجيب عليها ونتخلص منها. إن تقولوا إنه كان بونابرتياً. لكن يجب أن نلاحظ أنه لم يكن كذلك بثبات. لقد جن ببونابرت عندما كان هذا يجسد الحرية التي نشرت جوانحها على حدود أوروبا ولقد تحدث عنه باحتقار عندما تهادى الأمبراطور إلى مرتبة الطاغية وقد عاد إلى حبه الأول عندما جسّد مُذكر القديسة هيلانة صورة الثوري حامل السيف الذي أعلن في «لاس كازاس» قائلاً: «لقد كانت الثورة «الفرنسية» السبب الحقيقي في بعث أخلاقنا فقد يمكننا إيقاف أو ضغط الحركة الصاعدة في التحسين لكننا لا نستطيع سحقها ولكي نعيد فضائح وخسة الزمن الماضي لا بد أن نعيد كل الظروف السائدة حينذاك وهذا مستحيل وأن نعيد البطالة المطلقة للطبقة الأولى ويجب أن نقضي على الخميرة الصناعية في الطبقة

الوسطى والتي تحرك اليوم كل المخيلات وتوسع كل الأفكار وترفع كل النفوس وأخيراً يجب أن نغطس الطبقات الأخيرة في الذل والهوان التي تجعل منهم بهائم حقيقية صالحة للذبح. ولكن كل ذلك مستحيلاً.

وهكذا أعجب ستندال بهذا التقدمي نابوليون ونشأ سوء التفاهم الذي تقاسمه وجعل من ملايين الجمهوريين بونابرتيين مثل «مرافق دورة فرنسا «اجريكول برديجييه» الملقب «اڤيوني لافرتو» الذي اعترف «كنت بونابرتياً وجمهورياً في نفس الوقت وكنت أخلط نابوليون مع الحرية وكان لرفاقي نفس التفكير» وهكذا كان ستندال (كما كان أيضاً كل الفتيان الطليان الذين أصبحوا فاشيست لحاجتهم أن يكونوا اشتراكيين وأصبحوا مفضلين عن الفاشية الوليدة حتى تفتحت أعينهم يوم الصحو المرير).

أما الاعتراض الآخر على جمهورية ستندال فهو التحاقه المتسرع بالملكية منذ سقوط نابوليون: حقاً إن ستندال خانته شجاعته وفقد وضوحه في حالة ضعف فلنقل لتبرئة ذمته بأن الأشياء عندها لم تكن بهذه البساطة كما تبدو الآن. ولقد وصف المؤرخون اعتباراً من التنازل عن العرش ذلك السباق للالتحاق بالطريق التراجعي «جوردان، أوجرو، لاجرانج، نانسوتي،

كلرمان، لاتورموبروج مع كثير من الأسماء الأخرى فطفحت بها الأعمدة في «المونيتور» وقد وصفت جورج صاند في «قصة حياتي» بشكل جيد ما حدث حينذاك «بعد التوتر الشديد الذي ساد خلال الحكم المطلق للإمبراطور «نابوليون» نشأ نوع من الفوضى يمكن تشبيهه بالحرية. فكان الأحرار يتكلمون كثيراً وحلم الجميع بوضع سياسي وأخلاقي لم يكن معروفاً حتى ذلك الوقت في فرنسا ذلك هو الدولة الدستورية حيث لم يكن لأي منا فكرة صحيحة عنه ولم نعرفه إلا بالكلام». ولقد كان ستندال غراً مثل بعض الديمقراطيين أمثال «كوربيه» الذي شرح «ارمان كاريل» حالته وتقلبه السريع (المماثل لستندال) وجعل منه عدواً لنظام عائلة البوربون الذي تقبله عند إنشائه.

«لم يتخذ كوربيه جانباً سواء إلى بونابرت أو إلى الائتلاف بين قضية فلوروس القديمة التي انهكها التعب فتركت السيف يسقط من يدها وقضية كوبلنتس الذي تزين بمراءاته بغصن الزيتون مدعياً السلام. لكن أن ترى فرنسا مجتاحة مرتين ومنهوبة ومهانة قد أصابها الغرم وكل المهانة ثم تدور الأيام لتستفيد من ذلك عائلة وجدت العرش فارغاً فتربعت عليه. وأن ترى قبضة من المهاجرين مشتتي الأمس ومتسوليه يتباهون بوقاحة ويضطلعون بمسؤولية الاجتياحَينْ الكريهين. وتشتد الملاحقة البشعة لكل من لم يرفض ملجأ أو كسرة خبز لمهزومي واترلو الحزينين ولم

يكن هنالك حقد على بونابرت أو ضغينة على الاستبداد العسكري كما لم يكن هنالك حب للراحة أو اندفاع متحمس كي يجري ذلك المشهد» وقد كانت بضعة أشهر من التجربة كافية كي تجعل من ستندال كما من كورييه أعداء حتى الموت للنظام الذي حظي بالمباركة الأولية عند قيامه كذلك كانت بضعة اشهر من حكم فيشي كافية كي تغير الآلاف الذين قبلوا مبدئياً بحكم المارشال بيتان ومن ثم تحولوا إلى مقاومين عنيدين).

والحجة الأخيرة لأولئك الذين ينكرون على ستندال ديمقراطيته وقد تكون أهمها على الأقل ظاهرياً: فلقد قال ستندال تكراراً بأنه ارستقراطي وفي عدة مناسبات عبر عن قرفه من العامة وكرهه للديمقراطية النموذجية والتي كانت مثلها حينذاك أميركا وكذلك عن استحالة العيش مع الطبقات الدنيا. وحقاً نراه يندهش في كل مرة كان يلاحظ فيها هذا التناقض: «فحتى هذه الأيام الأخيرة كنت اعتقد أنني أكره الارستقراطيين فلقد كان فؤادي يؤمن بصدق بأنه يتبع عقلي» أفلا يكون هذا تكذيباً لايمانه الثابت؟ إنه أكثر من خلاف بين الفؤاد والعقل إنه اختلال أو ميلان بين الجلد وبين العقل والفؤاد. (لننظر ببساطة إلى تدرج التواريخ في الاختيار الذي قمت به بين مئات من النصوص التي تعبر عن قناعة ستندال

بالديمقراطية طيلة حياته كلها فنراها واحدة). فعقل ستندال وفؤاده كانا يعقوبيين جمهوريين ديمقراطيين بينما بقي جلد ستندال الذي يعيش فيه ارستقراطياً. وأين المهم في ذلك كله؟ أوَأنه يعترف ستندال قائلاً: «إنني أكره كل ما هو قذر وإن الشعب لقذر» وعندما كتب ذلك عام ١٨٣٥ كان ذلك صحيحاً فالشعب إلى حد ما كان قذراً. لكن الأهم من ذلك كله أن الشعب لم يكن ليبق كذلك ولا بد أن ستندال عَرِفَ ذلك». فيجب على الأمة أن تتوجه نحو الفور» وأنَّ على الانسان أن يتخذ هدفاً هو «أنه يزيد من كمية السعادة في هذه الحياة الدنيا» نعم إن المهم أن ستندال عرف لماذا كان الشعب في أيامه قذراً فظاً جاهلاً فكتب «مذكرات سائح» فكان واحداً من التحقيقات الصحفية الاجتماعية الأولى عن بؤس البروليتاريا وأسبابه وعلاجه «عندما نفتش عن سبب الأشياء التي تحدث فإن ذلك يقودنا إلى معرفة ما يحصل» ولم يأخذ ستندال نصيبه من البؤس والدرن والغمارة= (الجهل) ومن كل ما يفزعه أو يغير جلده كثير البياض كثير الرقة وكثير الحساسية. «إنني أمقت الأوغاد ولكنني أرغب بسعادتهم بكل وله عندما يتخذون اسم الشعب» وعندما كان يضطر لاتخاذ موقف بين الارستقراطية والبرجوازية من جهة وبين الشعب من جهة أخرى فإنه لم يكن ليتردد. إنه مع أولئك الذين بسبب قِلَّةِ نصيبهم اضطروا للعمل

والكفاح في سبيل حاجاتهم الحقيقية». وها هو مع جوليان سوريل يعلن إلى لجنة المحلفين قائلاً: «سادتي إنه لا يشرفني أن انتسب إلى طبقتكم» ومع الكاربوناري فيرانتي پلا عندما يصفه قائلاً: كانت ثيابه ممزقة بحيث يدخل القدم منها لكن عينيه كانتا تزفران النار وتعبران عن نفس ملتهبة «ولقد كان ضد العسكريين الذين تولوا مهمة «إعمال السيف في النساجين» والذين أبلوا بلاء حسناً في «إرسالية شارع ترانسنونان فكانت بالنسبة إليهم معركة مارنجو»(*) ضد الارستقراطية التي قدمت ذبيحة لتضمن سلامتها فشنقت فقيراً بائساً معدماً وضد البرجوازية المنتصرة في دناءآتها» مثل خنزير الوحل» وضد حزب الاكليروس وسلطته الأثيمة. ويمكننا أن نوجه بعض اللوم إلى ستندال أما للفتى هنري وحتى بلوغه مرحلة الشيخ الجميل بايل فإننا لا نستطيع أن ننتقص من أهمية أفكاره

لقد كان ستندال كاتباً ومن أكثرهم عناداً في الكتابة فقد كتب وقرأ طيلة أيام حياته البالغة ثلاثة وخمسين عاماً متمرساً دون توقف كي يصبح استاذاً في اللغة والفكر. وقد كان يخشى أن يقع في خطل الأديب فازدادات تبعاً لذلك شدة حبه للاطلاع

(*) احدى معارك نابليون الشهيرة.

والتعبير مع أنه كان واثقاً أنها مهنته وهي أفضلها ومن الجهة الأخرى كان ولعه المتأصل للسياسة قد غلبه فجعلته يضعها في المرتبة الأولى من النشاطات الانسانية في بعض العصور فقد كتب الى مينيه(*) عام ١٨٢٥ قائلاً: إذا كان هنالك عبقرياً قد بلغ سبعة عشر عاماً في يومنا هذا لأعطانا مزيجاً من الأفكار السامية والمشاعر العميقة التي تنتجها العبقرية وذلك على شكل مقالات سياسية وليس بشكل معالجات فلسفية وإنني لأعتقد بأن موليير نفسه لو ولد اليوم لفضّل أن يكون نائباً على أن يكون شاعراً ساخراً (كوميك) فلكل عصر فرع من المعارف الإنسانية يركز عليها كل انتباهه وفي أيامنا هذه وللأسف لقد سرقت السياسة الأدب وهو المنفذ الوحيد الذي لم يكن منه بد». وقد تأكد ستندال بأن كثيراً من عظام رجال الثورة الفرنسية مارسوا العمل السياسي بعبقرية لم يكن الأدب ليعبر عن كامل عنفوانها. كما هي الحال مع سان «جوست» و«كارنو» الذي «كان ميله للشعر واضحاً لكنه توقف عند حده ولحسن الحظ بسبب الثورة الفرنسية وإن أحسن مديح يمكن أن يقدم للثورة هي أنها سحبت من المهن التافهة وغير المفيدة ومنها مئات من الرجال ذوي مواهب سامية فكانت لهم نشاطاتهم التي كانت

(*) مؤرخ فرنسي كتب تاريخ الثورة الفرنسية.

ستبقى مكبوتة أو كانت قد تستعمل في تفاهات متعبة» ولم يكن ستندال ليفكر بأن الأدب هو المجال الوحيد الجدير بالعبقرية.

لقد كانت أفكار ستندال السياسية والجمالية والأخلاقية ملتحمة حتى تعطي لآرائه قيمتها وإن سوء التفاهم هو الذي جعل من هذا الرجل بشيراً بالرومانسية فهو الذي كان يكره «هوجو» و«لامارتين» و«فيني» و«شاتوبريان». لقد عاد ستندال من إيطاليا كي ينشر بصخب أول بيان رومانسي فكان «راسين وشكسبير» وقد لاحظ وبسرعة بأن هنالك سوء توزيع فلقد قاتل في سبيل «شكسبير» وليس في سبيل «هرناني» وقد دافع عن أدب حالي حديث عن مثالية جميلة فيها بعضاً من الجمهورية فهو يعلن عن نفس الفضائل التي توصي بها الجمهورية وهكذا دافع عن فن حقيقي بعيد عن المغالطة التاريخية ويتحدث مباشرة إلى الفؤاد في سبيل تربية معاصريه ويرضي حاجات مجتمعه المعاصر. وقد لاحظ بأن الرومانسية التي نادى بها بدأت بالتجسد في العصور الوسطى على شكل بضاعة لا تصلح إلا لبائعي الآثار السيئين ضمن الملكية الكسولة للفتى هوجو (والذي لن يكون فتى إلا عندما تبيض لحيته ونتلقى شبابنا عندما نريد وليس من الضروري في سن العشرين) وعندما تكون رومانطيقياً في فرنسا عام ١٨٣٠ فليس لأنك قد انحزت

لعصرك بل وكأنك وضعت والتر سكوت(*) في مرقة شارل نوديين(*)

وفي الحقيقة لم يكن ستندال رومانطيقياً حقيقياً أبداً بل كان رومانسياً فقدانكشفت له الرومانيسية في إيطاليا حيث لم تتخذ الحركة حينذاك معنى أدبياً فقط لكن الشكل والعمق والأسلوب والمحتوى السياسي كلها كانت تتجمع وتتراكم بشكل مبهم وحيث تجسدت الرومانتسية في «مانزوني» الشاعر الليبرالي وقد كتب ستندال قائلاً: إن الرومانطيقية هي جذر الليبرالية أو ذنبها وقد اتخذ مسيو مترنيخ جانب الأدب الأكاديمي وهكذا فنحن اليوم (في عام ١٨٣٠) نرى الرومانطيقيين في ميلانو قد حكم عليهم بالإعدام وهم في السجون وبرعاية خاصة لقد استبدل حكم الإعدام بخمسة عشر أو عشرين عاماً من السجن».

لقد كانت اللوحة مختلفة بعض الشيء في فرنسا حيث ظهرت الرومانطيقيـة وكأنها انتصـار أدبي لسقط المتاع من البضاعة التاريخية ولقصائد في مناسبات رخيصة ولأنشاد في مولد

(*) الرومانسيزم تعبير عن أدب جديد مضاد للتقاليد الكلاسيكية

(*) والتر سكوت كاتب رومانطيقي اسكتلندي تخصص في القصة التاريخية.

(*) شارل نوديين كاتب رومانسي حضرت أعماله الطريق لنرغال والسمو

الدوق «دبوردو» ونتاجات أخرى للشعراء الفائزين. «إن هذا السيد هوجو مبالغ باستمرار وبلا تأثر ويقدم له حزبه نجاحاً عظيمًا» ونرى ستندال ينتقد هوجوبعنف أكبر وإن هنالك من النفوس من يستطيع التفريق بين السياسة والأدب كما يفرقون بين الماء والنار فهؤلاء كانوا يسمون نقد ستندال نقداً منحازاً (ويجب ألا ننسى بأن ستندال كان يتبجح بكونه متعصباً) فالرومانطيقيون كما يعلن ستندال هم «من أكثر الناس جفافاً وسطحية في هذا العالم منهم مغرورون سطحيون. فواحد منهم «السيد هوجو» وهو مؤلف لقصة شهيرة «هان ايسلنده» ويعمل أنشاداً مقلداً لـ «ج.ج روسو» فأشعاره ذات إيقاع جيد ومركبة بعناية لكنها لا تعني شيئاً أبداً وهي لا تحتوي مطلقاً على أي شيء فكري ولهذا يحظى مؤلفهم هذا بحماية الحزب المرؤوس «المركوب» والذي لا يكره شيئاً كالأفكار والذي يتمنى لو أمكنه ذلك حتى يساهم في رقاد قدرة الشعب الفرنسي على التفكير» كلا لم يكن ستندال ليدين شعر هوجو في بدايته لأنه ينتسب إلى الحزب المرؤوس بل لأنه كان يفكر بأن آراء هوجو لا يمكن أن توحي إلا «بشعر جاف ومسطح» وإن قصائد هوجو في هذه الفترة تبرهن على ذلك. ولم يكن ستندال من نقاد الحزب الذين نراهم يدينون آلياً أو يكبتون عملاً لأن مؤلفه ليس من حزبهم، فليست الأشياء بهذه البساطة فقد يحدث غالباً أن كاتباً يعتقد

بنفسه الرجعية لكنه يكتب عملاً تقدمياً أو قد يحدث العكس تماماً. أما بالنسبة لستندال فقد كانت الآراء الفلسفية والسياسية والجمالية والأخلاقية كلها واحدة فهي شجرة ذات أغصان متفرقة وفي هذا المجال ومهما قال عن نفسه بوقاحة بأنه «متعصب» فقد كان ذا نفس حرة أي أنه كان يحكم عقله بشكل صائب ومن ثم يحكم دون أن تكون لديه أفكار مسبقة.

إن كل نثر جميل هو أخلاقي رفيع ومن جملته نثر ستندال. ومن المهم أن نلاحظ بأن الخوف من المغالاة والجمل المتكلفة والنحو ذو الحواشي لم يكن بالنسبة إليه ارتكاساً للذوق بل للحس السليم. لقد كان يكره الشكل غير المجدي لأنه رمز لضعف النفس. والحس السليم مطلب أساسي للجودة. وليست الموهبة إلا شكلاً آخراً من المطلب الرئيسي معبراً عنه بتعابير جمالية ذلك هو المطلب الأخلاقي. ولقد طارد ستندال وفلق المظاهر الخادعة في كل المجالات فلقد كره التعجرف الأبدي للأبطال الملكيين وعند مدام دستايل كره تلك الهيئة المقرفة التي اتخذها مؤلف «كورنيّيه» عندما أبدى عاطفة مزيفة لم يكن يشعر بها. ولم يكن ستندال قليل العاطفة أو أن الفن يحتاج عملاً متماسكاً بكامله على مستوى من العاطفة لا يكون في الحياة إلا فجراً مبتعداً أو ومضة وجيزة أو عيداً قصيراً هارباً. ولن يكون ذلك بسبب حب الظهور أن يطبع كاتب على

قصته أو على قصيدته ذلك الاهتزاز النقي والثابت الذي لم يشعر به إلا عندما ضيع أثره. فعندما كتب «المنزل الريفي» و«البحث عن الزمن المفقود» أو على الدون الهادي» أو «محادثات في صقلية» فإننا نجد في مئتي صفحة أو ألفين منها الملاحظة الصادقة لعاطفة قد حسبناها هاربة إلى الأبد وأن معجزة الشاعر هي فعلاً قدرته على السيطرة والاستعادة وليس على التظاهر. «فمرة أو مرتين كل عام نشعر بتلك اللحظات من النشوة التي تكون فيها الروح وقد تحولت إلى سعادة. وقليلاً من الدراسة للإنسان الاخلاقي يمكنها أنْ تخبرنا عن هذه الحالة العذبة». وقد تحول ستندال عن مدام دستايل لأنها أدعت بأنها تستطيع أن تكتفي برياء اللغة المثيرة وأن تتناغم بنشواتها لدرجة التوهج في سعادتها الكلية دون أن تتذوق طعمها أو تفهم حقيقتها. فقد كان يشعر عند هرائها برعب الفؤاد الحساس عندما يضم جسداً بارداً لفتاة تلعب مع زبونها هزلية اللذة.

وتأخذ فكاهة ستندال عادة مظهراً ساخراً فتبدو وكأنها هجوم معاكس على اللاحقيقي والإضافات الزائدة والافتعالات المبداة من الاستبداد في السياسة ومن التفخيم في الأدب. «ويسمى ذلك دعابة أو كاركاتور لكنه لم يكن معروفاً في هذا البلد «ذو الحكم المستبد الماكر» والدعابة رئيسية في خطى ستندال الذي كان صارماً بجدية لكنه لم يكن مقتنعاً تماماً بضرورة الجدية

وإنني أبحث فعلاً عن تلك العبقرية التي لا تبتسم أبداً. وإنني لأرى مدعين ومتكلفين وحمقى قد تحلوا بالجدية كما تتدثر الأرامل بالسواد ولم يجهل دانتي ولا موزارت أو شكسبير أو تنتوري هذا السلاح في الصرامة! وهي أن تفغر فاك وأن تسحب شفتيك إلى الجانب فتحيل إلى العدم باطل الكائنات وشرها وحماقة الكون دون أن تنبس ببنت شفة. وإن النفوس الخسيسة والغبية هي وحدها التي لا تسخر. وتمتد الفكاهة الستندالية من النعومة واللطافة حتى الدعابة السطحية التي تغلف «فابريس» خلال معركة واترلو أو لوسيان لودين عند أول أيامه في الفيلق ومن ثم إلى الهزء العنيف الذي ينفس رجال الدولة فاقدي الشخصية أو ماكري الكنيسة ودهاتها من «أرنست رانوس الرابع» إلى «فابيوكونتي» ومن الأب «لوكلو» حتى بطريرك «آجد» وإن ذوق الأسلوب الصافي وحس الدعابة لهما نفس الجذور. «ففي كل مكان يوجد رجال وأشياء يفقدون قيمتهم ولا ينتظرون إلا أن يأتي أحدهم فيجرؤ ويسخر منهم حتى يثير الضحك العام من الأعماق ويجب أن أكون هذا الإنسان» وقد كتب ستندال هذا عام ١٨٠٣ وقد وفى بهذا الوعد فكان ذلك الرجل.

ومن الطبيعي أنه كان في نفس الوقت إنساناً قادراً على الشعور والتعبير بحيوية عن بعض الكآبة الضرورية والهامة

لكل رجل عظيم ويجب ألا نخلط بين الكآبة والملل أو ألم العصر مع حزن الفيكونت المجامل الذي يكتب عنه ستندال قائلاً «إن الأحاسيس الغامضة والكئيبة التي يتقاسمها كثير من الشباب الأغنياء في عصرنا هذا هي ببساطة من تأثير البطالة». فلا لوسيان أو فابريس أو جوليان لا يشعرون بسوء العيش الذي يشعر به بعد أن أصيب به «لوليفييه دار ماتس» الذي يرمز إلى المجتمع الذي يدينه ستندال الذي لم يكن عاطلاً ولقد كان لدى ستندال كثيراً من النباهة والحس الهزلي ولم يكن بارعاً في التعبير فقد كان يقدر فوق كل شيء بعضاً من الكآبة الضرورية وشعوراً تقفز منه النفس وترتكس لكي تخلق سعادتها وسعادة العالم. «إنه ليبدو لي أن لا شيء يتعارض مع الفنون بمقدار العادات التي بفضلها يستطيع الإنسان أن يحصل على الثروة وتأتي بعد ذلك في لائحتي للتعارض: الوصوليون والنفوس الميتة وأهل الفن هم من تمتعوا بقليل من الكآبة والتعاسة» ويجب أن نحترس من زيد الذي يبكي دائماً ومن عمرو الذي يضحك باستمرار. ولم يكن ستندال زيداً أو عمراً. ذلك لأن مرض الحزن ومرض المرح هي مظاهر لنفس الصنف من الروح والذي هو الانفصال عن الواقع والانعزال عن البشر. وقد حكم بايرون على ستندال بكل انحراف وعلى العكس فقد كشف ستندال بايرون. فقد رأى في اختياله وعجرفته افتقاراً

«للتجربة الحقيقية مع البشر وقد منعه فخره ورتبته ومجده بأن يتعامل على قدم المساواة معهم. وقد أمسكه تعاليه وحذره على مسافة بعيدة جداً تمنعه من مراقبتهم فلقد كان معتاداً على ألا يتعامل مع ما لم يستطع الحصول عليه بالكفاح العظيم، وعلى العكس فإننا نرى مجموعة هائلة من الأفكار الرقيقة الصائبة إذا تحدثنا عن النساء اللواتي عرفهن لأنه كان محتاجاً لمتعتهن ولخداعهن. فقد كان يشتكي من النساء الانكليزيات والجنيفيات والنوشاتيليات إلخ فقد كانت تنقص عبقرية اللورد بايرون أن تضطر للتعامل والنقاش مع «مثيلاتها» ويضيف ستندال هذا المقطع الذي يبدو رائعاً بحق: إنني مقتنع بأنه عند عودته من اليونان وقد زادت مواهبه فجأة بمقدار النصف عندما حاول أن يقيم السلام بين «مافركورداتو» و«كولوكوتروني» فاكتسب معلومات ايجابية عن الفؤاد الإنساني وعند ذلك ربما استطاع اللورد بايرون أن يسمو إلى رفعة الترجيديا الحقيقية».

وإن الشرط الأول للموهبة هو الاتصال العميق والعريض والثابت مع البشر أن تعيش متساوياً مع أمثالك مضطراً لإقناعهم ولخداعهم فلا توجد إلا مسافة واحدة نتخذها مع المجتمع وهي ليست العزلة أو الاحتقار إنها المسافة التي تخلق بين الناس الابتسامة أو الكآبة إنها المسافة التي تنشيء التسلية التي نكسبها أو الكآبة التي نستوحيها فنهتم أو نتذوق بما يحمل

الناس الينا أو بما تحمله لهم.

إذاً لم يكن ستندال صاحب قصة واحدة فهو ذو نمط واحد من القصص أو نموذج واحد منها. فكل قصة له كانت عملية نقد اجتماعية ومتعة روائية وتدور حول وجه ما فياض أمام أب مكروه (الأحمر والأسود وكذلك المنزل الريفي في بارم) أو محبوب (لوسيان لودوين وأرمانس) أو بين وجهين نسائيين محاطين بالثوريين والسياسيين ورجال الدين (الذين انقسموا إلى شطرين كاهن القرية الطيب والمونسنيور الدساس والمادي) ونرى بين ثاني الموضوعات موضوع الفأل والسجن والمؤامرة والدسيسة معلقة مع أولى المواضيع.

وهناك نوع من الكثافة في الإبتكار الروائي وبعض من العنفوان يمتاز به بعض القصصيين ومنهم ستندال فيتعارضون بذلك مع القصصيين المحترفين وإنني أحب أن انعت بالصفاء أولئك الروائيين الذين لا يجبرون القصة على أن تخرج من لديهم بل يتركونها تنضج كما الصنوبر على جرحه عندما يترك الصمغ ليسيل دمعة فدمعة فيتجمع في (القادوس) المجمع فالسيدة لافاييت العظيمة والمدفعي لاكلو والسياسي كونستان والقنصل ستندال والوزير جوبينو وليس كما تصنع شجرة التفاح ثمارها موسمًا بعد آخر لكن بعد حياة قد انبتت ثم نمت فتغذت منهم فتكونت مادة لم يكن عليهم إلا وضعها في قالبها.

ومن أين تأتي «لا موضوعية» روايات ستندال ومع ذلك يستطيع أن يقنعنا (وبأية طريقة مدهشة) بوجود شخصياته مستقلة فنراهم يبتعدون عنه ويكفي أننا نراه دوماً في صميم كتبه وإذا أجريت عملية تحليل نفسي لروايات ستندال فإنها لا شك ستكون أقل تعسفاً مما لو طبقت على روايات بلزاك أو «لساج». فعلاقات الأبطال الستندالیین ما آبائهم [ففي موضوع العفة نرى الأب يضرب أوليفيه ونرى فابريس وقد خاف وهو يتفحص مشاعره نحو الدوقة] وفي موضوع الزنزانة (سواء كانت قلعة بارم أو سجن جوليان) نرى موضع الغرام وقد اتخذ منحى أموياً (مدام درنيال واللاسنسفرينا) كل ذلك يبدو بغرابة متماسكاً وغير كاشف كل ذلك يخص العالم الأساسي لستندال ولم يكن عليه إلا أن يلقي نفسه فيه وأن يبدو بأشكاله المختلفة. فالمرآة الشهيرة على الطريق الكبرى لا تعكس أبداً إلا الأقنعة المختلفة لنفس الوجه. ولقد كان مضطراً أن يكتب «أرمانس» حتى يكتفي من الارستقراطي الذي يعش في داخله وعندما عالج مشكلة أوليفييه الذي كانت عفته أخلاقية أكثر منها خَلقية والذي لم يكن إلا ضحية لمجتمع مائت عندها شعر بالحرية وذلك بأن يترك في هذا العالم أبطالاً متناقضين مع هذا الوجه أو مع أولاده. (ومن الغريب أننا نرى اليوم بعض النقد وقد استعر لـ «أرمانس» ونراه يجد كثيراً من

القول والاستنتاج حول أوليفييه وليس حول جوليان).

وقد كان لدى ستندال دافعاً داخلياً لكتابة القصة ولا نشك بذلك أبداً لكن الحاجة إلى التعبير بالقصة الخيالية المنثورة لم تكن هي التي قادت ستندال متأخرة كي يصبح روائياً. وقد أراد أن يكون أولاً كاتباً دراميا ولمدة طويلة كما حاول النقد والتحقيق الصحفي الوثائقي (مجموعة كتب الأسفار) ولقد حاول وجرب كل شيء: التاريخ وتراجم الحياة وسيرة حياته الشخصية كل ذلك مر به. وعندها ركز جهده أخيراً على الرواية وبعد تفكير طويل عن وعي للجمهور وهو الذي اقنعه بهذا النوع الذي يبدو وحده قادراً على الاتصال مع أكبر عدد ممكن من البشر. وقد تساءل ستندال لفترة طويلة عمن يجب أن يتوجه اليهم ولم يكن العالم ليبدو أمامه صلباً ومقسمًا كما في «النظام القديم» بل كان يبدو على هيئة مجتمع يسوده صراع الطبقات الذي يزداد ضراوة فيتواجد في قاعة المسرح أو خلوة القراءة جماهير متنافرة بعنف ذات رغبات متضادة تماماً. فلمن نكتب؟ هكذا تساءل ستندال وقد توصل في البدء إلى أن المسرح أصبح (مرحلياً) مستحيلاً وكذلك أصبحت «المراسلات» و«المارجينياليا»(*) مملوءتين بالملاحظات النفاذة على مشكلة المواجهة التي تتوجب

(*) مجلتان معاصرتان لستندال .

على الكاتب وهكذا كتب ستندال عام ١٨٣٢ قائلاً: «إن ذوق قـراءة الروايات يحل في انكلترا وفرنسا محل مشاهدة المسرح. ففي هذا البلد سنرى ممثلاً مجيداً مثل «فستريس» وممثلة ممتازة مثل «الآنسة ماركيوني» لكن قليلاً ما نهتم للمسرحية التي يقومون بتمثيلها، فمن أين نشأ ذلك؟ ذلك لأن المتعة الأدبية تتألف من كل جديد. فكبار الكتاب الدراميين استنفدوا الوضعيات الدرامية فالانسان مثلاً لا يمكن أن يكون إلا ابناً أو أباً أو عاشقاً أو أخاً أو مواطناً. وعندما نكون قد انشأنا عراكاً بين عاطفة الحب مع واجب المواطن أو كل عاطفة مع واجب فعند ذلك يصبح من المستحيل أن نضع جديداً في الدراما. ففي هذا العصر الذي وصلنا إليه في فرنسا وانكلترا لا زال من الممكن ابتكار قصة. لأن التوافقات تمنع كثيراً من الانتاجات الدرامية ولا نزال نصحب الصبايا إلى المسرح. فنسمع ما يخدش حياءهن وعلى العكس فإن كل شيء يمكن أن يقال في الرواية. وهنالك سبب آخر فإن المؤلف الدرامي لا يمكنه أن يصور إلا أشياء عامة فهـو ليس أكثر نبـاهة من معـظم المشاهدين. فكثير من فوارق المشاعر الدقيقة التي كتبها مؤلف «الأحمر والأسود» إلى مدام رنيال بطلته الريفية لم تكن لتفهم في المسرح من معظم المشاهدين. ففي المسرح تزداد متعتي مع زيادتها عند جاري في المقعد فهناك نوع من التأثير العصبي فإذا

كان هذا الجار في واد آخر فإن متعتي تقل تبعاً لذلك». وإن مشكلة القاعة هذه التي حولت ستندال في النهاية على ان يكتب للمسرح ولم تكن من السهولة بأن تحل بعد قرن ونصف من الزمن. وهكذا تنتقل المشكلة إلى مجال آخر فيتنازل الكاتب عن الفن الدرامي ويتخصص في الرواية. ولقد كتب على هامش محاولته «الكوميديا مستحيلة»! هل يغلب على الرواية تركيبها الزائل؟ فإذا أردت أن تُمتع حقاً اليوم فيجب أن تقتنع بأن ستبدو سخيفاً بعد عشرين عاماً. فمنذ أن استطاعت الديمقراطية أن تملأ المسارح بالأفظاظ والعاجزين عن فهم الأشياء الدقيقة فإنني أصبحت أرى في الرواية كوميديا القرن التاسع عشر» وتعود هذه الفكرة إلى عام ١٨٣٤ بعد أربعة أعوام من ثورة عام ١٨٣٠ التي سلمت السلطة إلى ديمقراطية البورجوازيين الذي سحقوا عام ١٨٤٨ وبلا خجل وسفحوا دم ديمقراطية الشعب. وقد رفض ستندال أن يرفه عن هذه البورجوازية أو أن يمتعها كما أنها لم تكن لتتمتع به. وقد كانت هذه البورجوازية مشكلّة من فئات متباينة ذات رغبات متعارضة مما زاد من صعوبة مهمة الروائي «فلا تطلب البورجوازيات الريفيات من المؤلف إلا مشاهد خارقة لتغرقهن في الدموع مهما كانت الوسائل الكفيلة بذلك. وعلى العكس من السيدات الباريسيات اللواتي يقرأن الروايات بشغف وهن صارمات حيال

الحوادث الخارقة فعندما تظهر بوادر حادث يمكن أن يعطي بريقاً للبطل فإنهن يرمين الكتاب ويستسخفن الكاتب وبسبب هذه المتطلبات المضادة نرى الصعوبة في تأليف كتاب يمكن أن يقرأ في حجرات البورجوازيات الريفيات وفي صالونات باريس».

فإذا أضفنا إلى هذه الصعوبة ما يلقاه الكاتب الواقعي عندما يحاول أن يستجلب انتباه من وصَفَهم موضوعياً فإننا نفهم لماذا قرر ستندال أن يتوجه إلى جمهور المستقبل: ففي عهد كتابة «رواية الأحمر والأسود» كتب قائلاً: عندما تُقدَّم لوحةُ عام ١٨٢٩ يضطر الكاتب إلى تكدير الوجوه البشعة التي وصف مثيلاتها وعندها تتدخل هذه بسلطتها فتحيله إلى المحاكم وترسله إلى دهاليز «بواسي»(*) لمدة ثلاثة عشر شهراً مثل السادة «ماجالان» و«فونتان». ولقد قاد التحليل الاجتماعي والسياسي ستندال كي يتساءل: «هل يمكننا أن نكتب لطبقتين، للأشخاص المحترمين وللبقالين الموسرين؟» وهو الذي كان يعلم بأنه يجب أن نكتب عن عصرنا ومنه وإليه وهو الذي سخر من تابعي والتر سكوت وامتلأ فؤاده من: «كل العصر الوسيط والأقواس القوطية» ومن كل ما استعمل في العصور الوسطى من شعر جوال وخيالي وهو الذي أخيراً «جرؤ فقص حادثة

(*) بواسي سجن مشهور.

جرت عام ١٨٣٠» واستخلص منها بأنه لن يكتب لقراء عصره بل لقراء المستقبل وهو الآن حر بأن يفعل ما يريد.

«إن لدينا عادات إذا صدمناها فلن نتحسس ولمدة طويلة إلا للضيق الذي تهبنا إياه» إن نبرة الروائي ستندال وطريقته في القصص عام ١٨٣٠ تصدم عادات القاريء فهو يعيش ضمن تقاليد هي التمييز بين الأنواع فكل شكل وكل جملة لا بد أن تكون متبوعة. فإذا تبنى الروائي نبرة السرد الصافية على شكل مسبحة طويلة من الحوادث حيث تتوالى الحركات والمشاعر كما في لآلي عقد فتتماسك وتتسلسل مقاطع الوصف ومسالك الحوار والسرد الموضوعي والذاتي مع كل الاحتياطات المناسبة ضمن جهد واضح في الاستمرار.

وعند الانتقال من موضوع لآخر وعند كل تغيير في الشكل يجب أن نبدأ من أول السطر وكذلك عند كل ترتيب معتنى به فإننا بذلك لا نلهث القاري الذي يفقد سلسلة أفكاره بسهولة واضحة. لكن ستندال يفاجئنا ويبتكر أسلوب الانقطاع وقد تبدو لنا اليوم هذه الطريقة تامة الوضوح لأن ستندال أصبح كلاسيكياً وقد كان نادراً ما يحدث ذلك في زمن كان فيه «رتز» يرعب وكذلك «سان سيمون» فنرى ستندال يتفوق عندما يضع في نفس الجملة الوحيدة كثيراً من الطرز المختلفة للتعبير. ويتراكب السرد الستندالي دون راحة وبعصبية فنرى فيه

الحوادث مرئية من الخارج ومن الداخل من قبل بطل أو أبطال الرواية كما نرى نتائج الحوادث النفسية والفيزيولوجية والوصف المختصر للأماكن والأشياء بالإضافة إلى تعليق الكاتب نفسه. فهو يجمع بحركة واحدة عدداً لا يصدق من الإحساسات والمشاعر والملاحظات ثم يترك انفاسه المحبوسة ويقفز وعلى العكس من قصص بقية عصره كان ستندال يكتب مثل واحد من عشرة من كبار الكتاب الذين سبقوه. ويتقدم السرد بمقدار ما قيل أو ما قد توارى. فهنالك قصتين في الأحمر و الأسود هما رواية الوقائع المطبوعة ورواية الوقائع المتجنبة واللتان لهما نفس الأهمية. فيمكننا أن نكتب تاريخاً آخر «لجوليان سوريل» وعندها فإنه يقع بكامله في بياض الحكاية. فإذا تصورنا كاتباً آخر كان عليه أن يقص الليلة الأولى التي أمضاها «جوليان» مع «ماتيلد» فما كان سيقوله وضعه ستندال في إشارة (نقطة وفاصل) «لقد كانت بسالة جوليان معادلة لسعادته؛ وقال ماتيلد يجب أن أنزل عن طريق السلم المتنقلة وذلك عندما رأى الفجر ينبزغ» . . . فهذه النقطة والإشارة الفاصلة جعلتنا نفهم بأن ليلة كاملة مرت على الحبيبين كل واحد منهم في حضن الآخر وقد تبادلا الوصل والغرام والمتعة، وفي مكان آخر في «فانينا فانيني» يمكننا أن نستنتج كل شيء من خلال مشهد يمكن أن يحكى خلال دقيقتين وفي ثلاث صفحات من الحوار ومن ثم في سطرين

اثنين! «فانينا بدت متلاشية فعادت إلى روما وأعلنت الجريدة أنها قد تزوجت حديثاً من الأمير «سافلي» وكثيراً ما يكون الاختصار أقل وعورة فنرى الكاتب وكأنه يبدو معتذراً. فعندما أصبحت سيليا آخيراً خليلة لفابريس استنتج ستندال قائلاً: هنا فإننا نطلب السماح بألا نقول كلمة على فترة تمتد إلى ثلاث سنوات».

وما يبدو لنا من رصانة في ستندال كان وقاحة بالنسبة لمعاصريه، فكان يصدمهم لأنهم قد عهدوا فيه أن يقول ما لا يجب أن يقال، وحقاً كان يقول ما لم يكونوا قد تعودوا سماعه. ففي جمله كما في نفوس أبطاله كان هناك تدافع تضارب واضح في المشاعر والأفكار والترقيم «وبينما كانت المشاعر تتزاحم مجتمعة في نفس المؤدب» فهنالك زحمة وتجمهر دائم في هذا الأسلوب. فستندال يقود بسرعة ويسرع عند المنعطفات ومن ثم فجأة يرفع قدمه ذلك لأنه قد حدد هدفاً واضحاً فهناك في «جريدة سير جون ارميتاج» خبراً غير متكمل كتب يقول: «إننا نرى العواطف تتوالى كالصور في الفانوس السحري في هذه النفوس الفرنسية» فصفحة من ستندال هي في الواقع ودائماً نتيجة «إخراج» بالمعنى الذي يستعمله السينمائيون اليوم. فهو توال من الصور المأخوذة من كافة زوايا الرؤية. وليس هنالك شيئاً أكثر بعداً من السرد على مستو واحد والذي يتبعه

الروائيون الفرنسيون. فنرى ستندال يَقْلَقُ لذلك أحياناً! «إن عادة الاختصار قد ضللتني وكذلك فزعي من الجمل الموزونة لبلغائنا الحمقى» هكذا كتب على هامش «الأحمر والأسود» وفي مكان آخر من نفس الكتاب لاحظ أيضاً «لا بد من إضافة القسم الرسمي الرائع إذا كانت هنالك طبعة ثانية» وقد كان يندهش من النقد الذي يتهمه بأنه يتكلم عن ذلك كثيراً. وكذلك نحن (المؤلف).

وقد نشأت تقنية ستندال من تأمله في تأثيرات النثر على القاريء فقد كان أول من صاغَ جمالية الموضوعية والتي أكملت طريقها بعد ذلك في مجال الرواية فقد كتب في يومياته عام ١٨٠٥ يقول: هنالك طريقة للإثارة وذلك أن تُظْهِرَ الوقائع والأشياء دون أن تتحدث عن أثرها فيترك ذلك أثره في النفوس الحساسة. وهذه الطريقة تنقص مدام دستايل بشكل قطعي فكتابها يحتاج فعلاً إلى فترات راحة «وقد استطاع ستندال أن يجد هذه الهنيهات من الراحة في رواياته وأضاف إلى فن إظهار الوقائع دون التحدث عن أثرها أضاف فن إظهار الأثر دون وصف الوقائع، والتدبير يبقى كما هو. فبعد أن تَعَقَّل ستندال هذه الطريقة وتأملها أصبحت بالنسبة إليه طبيعية تماماً. فنجد ألف مثال على ذلك في «المراسلات». وها هو أحدها واضحاً حيث نرى وصف الحادث بنظرة موضوعية صارمة مع تعليق

المتفرج وارتكاس الشهود الذين يتداخلون في حمية واحدة: «لقد ارتمت الفتاة المقتولة على بعد قدمين من المكان الذين كنت فيه في شارع «انلوسينا» وإن أكثر ما صدمني هو لون الدم الحسن على الذراعين الرفيعين الجميلين. ويا إلهي كم جرى ذلك بسرعة وذهب هكذا. وقد هرع مئتا متفرج مذعورين وقد تدلت فكوكهم وبهتت الوانهم. فمن كل مئتي قاتل لا يمسك إلا واحداً وبعد أربعة أعوام. . . . . »ولم يبتكر «همنجواي» شيئاً.

وعندما كان ستندال يدهش أوائل قرائه بجرأته وبغنى فهم أسلوبه واللون العنيف لنثره فإنه كان يعلم تماماً بأن فنه كان مختاراً ومترفعاً على أن يقول كل شيء. ولقد كانت القوة الصلبة في أسلوبه تدهش الذين يصطدمون به وتبقى في الحقيقة عملاً رائعاً من التجريد. وعندما كان ستندال يكتب لم يكن ليبحث عن صورة ليفرضها على القارىء. بل كان يسعى ليثير مخيلته وليقترح وليحرك روح ضحيته الثابتة ألا وهم هواة الرواية. فنراه في عدة مناسبات يؤكد بأنه يمارس فقط «الرسم بالأبيض والأسود الرسم بواسطة مخيلة المتفرج» وتبنأ بأنه من بعده ستجري محاولات الرسم بالألوان وبالتجسيم ذلك هو الأدب الذي نراه الآن «لجويس» وللمؤلفين الفضائحيين في هذه السنين الأخيرة. وقد كتب إلى «برسبر ميريمن» في موضوع «أرمانس» التي كانت قد نشرت حينذاك قائلاً: «هذه الحقيقة

هي في عداد الرسم بالأسود والأبيض وإن الرسم بواسطة مخيلة المتفرج لا يمكن أن تجدي. فكم من أشياء حقيقية تخرج عن نطاق وسائل الفن فمثلاً الحب الذي يوحيه بشر بلا ذراعين أو ساقين مثل الكاريكاتور المقزز الذين يُشيِّن مكتبك».

«وإن نوع الرسم الذي استعمله الأبيض على الأسود لا يسمح لي أن اتبع الحقيقة وفي عام ٢٨٢٦ إذا أكملت المدنية طريقها وعدت إلى شارع «دوفو» فإنني سأحدثكم عن «أوليفيه» . . .» ولم يكن خوفه من الفضيحة هو الذي منعه بأن يمارس تقنية قول كل شيء كما يفعل روائيو اليوم. فقد كان يأنف من الكذب وروح الوهمية واللاانفعالية ولم يتمسك إلا بواحد من المباديء الخمسة للأدب وهو السمو الذي عَرَّفه كما يلي: «إنه الود مع القوة التي تبدو لنا هائلة». ولم يكن يؤمن بأن الواقعية تتضمن أن تكوِّن سجلاً كاملاً محتوماً للحقيقة كما أنه لم يؤمن كذلك بأن كل الحقائق مفيدة. وكما هي عادتنا لم يكن المذهب الطبيعي اختراعاً من نهاية القرن التاسع عشر فمن المذهل حقاً أن نرى ستندال عند ممارسة مهنة الناقد كيف تصرف مع الروايات الطبيعية الأولى. وكان يأنف من البلادة التي تنشأ من السعي وراء التميز بخداع النظر أي بسراب. وكتب قائلاً: «لقد نشر السيد «بيكار» رواية ثانية هي «جاك فوفيل» وستقرأ وتحمد وستنسى تماماً وبسرعة. فماذا الذي

ينقصها ؟ الأثر الواخذ. فكل شيء حقيقي في جاك فوفيل لكن كل شيء عادي. فلا شيء أو تقريباً لا شيء يستحق أن يقال وستعجب هذه الرواية طبقة من القراء عديمي المخيلة. فسيعجبون به لأنهم لاقوا أخيراً عملاً متخيلاً قادرين على فهمه دون أن يبدو لهم خارقاً.».

وبعد أن قرأ إحدى الروايات الشعبية(*) استدق حكم ستندال بحربة من الفضول: فوجد فيه مرجعاً عن الوضع العمالي ولذا فقد اتخذ موقف الرحمة نحو الأخطاء الجمالية للرواية (وخطؤها أنها كانت صورة طبق الأصل نقية وصافية) فكتب يقول عنها: يمكننا أن نقول حتى في باريس نفسها أن قليلاً من الناس يعرفون المجتمع الذي يمضون حياتهم فيه ومن هنا تأتي أهمية الرواية الجديدة «لوماسون» للسيد «ريموند» ويقدم هذا الكتاب لوحات إن لم تكن محببة إلى القلب كثيراً لكنها صورة طبق الأصل عن الطبيعة».

ولم يكن فن ستندال فن نقل لكنه كان فن تفسير.

لقد كُتبتْ أعمال كثيرة عن ستندال وتوجتها أطروحة جان برفوست الرائعة عن «الابتكار عند ستندال» لكننا لا يمكننا أن

(*) الشعبيون هم جماعة أدبية يصورون بأمانة حياة عامة الشعب (المترجم).

نتجاهل طريقة عمله ومن الواضح أن عبقريته لم تكن ابتكاراً صافياً فهو لم يكن إلا عند بدء التنفيذ ولقد كان يفضل أن يبدأ من معطيات محددة ووقائع متفرق ومجموعة أخبار أو دعوى. وقد أهمل روايات بعد بدئه بها لأنه شعر بأن عليه أن يبتكر خطوطها الرئيسية وطريقة معالجتها. وإن كافة التحاليل التي أجريتها في الفصل السابق تحتوي على نفس الخطأ الرئيسي. لأنها كانت تبدو وكأنها توحي بأن السعي وراء الأسلوب هو حركة متميزة في الأسلوب الستندالي إذ أن هنالك مرحلتان عند تصوره للرواية: الأولى تخص ماذا نقول؟ والثانية كيف سنقص ما سنقوله؟ وذلك خطأ كامل في تفكيرنا. فلقد كتب ستندال على هامش المنزل الريفي في بارم يقول: «عندما أشيخ إذا توافرلي الصبر فسأملي مذهباً شعرياً فيه كل الجدَّة. فحتى الآن لم يتواجد إلا الشكل أم العمق فلا».

ولقد حلل بدقة الحركة الأولى من الابتكار عند الروائي وذلك لتضادها مع الابتكار عند الشاعر وقال إن الإلهام يشيد مقعداً في فكر الكاتب: «عندما أبدأ بالكتابة فإنني لا أحلم بمثاليتي الأدبية الجميلة بل أشعر وكأنني محاصر بأفكار لا بد من تدوينها وإنني اعتقد بأن مسيو «فيلمان» محاصر بأشكال من الجمل أما الشعراء مثل «دلييل» و«راسين» فإنهم يحاصرون بأشكال من بيوت الشعر. أما «كورنيي» فقد كان مثاراً بأشكال

من الإجابات.

هذا الإلحاح بالأفكار الذي كان يضطر ستندال لتدوينه وكذلك لتعزيله المسبق ولم يكن قادراً على إنشاء مخطط مسبق ناضج ومفصل لأنه كان بحاجة أن يتخلص من هم الكتل الضخمة المتبقية. ولقد كان مضطراً أن يعرف إلى أين يذهب بشكل عام لكنه بعد ذلك كان لا بد له في الطريق من سبيل إلى الهداية حتى لا يضيع في التفاصيل «إنني لا استطيع أن أضع حملاً ثقيلاً في الحوار عندما أفكر بعمق» وإن التحضير اللازم له فعلاً يتعلق بالصفات «فعندما تحدد الصفات بشكل واضح والحوادث بالجملة فإنك تقبل التفاصيل كما تأتي ويعود السبب في ذلك إننا لا نفكر كثيراً في التفاصيل إلا عندما نكتبها».

ولقد أظهر البروفسور «لويجي فوسكولو بندتو» بشكل واضح عن ولادة «المنزل الريفي في بارم» عن مقطع حول تبني مجموعة معينة من الحوادث تلك التي تقدمها مجموعة أخبار «منشأ عظمة آل فارنيز» فعندما تدخل في التفاصيل التي سبقتها الاستنارة التي تلقاها ستندال فجعلته يزيح حوادث عصر النهضة وأن يجعل مجرى الحوادث في إيطاليا أثناء عهد نابوليون.

ولقد كانت الحقيقة بالنسبة لستندال هي ثقافة التفاصيل «ومن هنا تنبع أهمية العمل في قصة محبوكة «ولقد كان على عكس

النفوس التي تفكر بأن التاريخ هو معلم الحقيقة. بل كان يقول بأن لا يمكننا الوصول إلى الحقيقة الإنسانية عن طريق التاريخ لأنه لا يعطينا التفاصيل التي هي ركيزة الحقيقة ولقد كتب عام ١٨٣٤ في «الكوميديا مستحيلة» قائلاً: «لقد كتبت في صباي ترجمة حياة موزار وميكل انجلو التي قد تكون من التاريخ. ولقد تبت. وتبدولي الحقيقة شبه مستحيلة سواء عن الأشياء العظيمة أم البسيطة على الأقل فيما يختص بالتفاصيل وكان السيد «دتراسي» يقول لي لا يمكن الوصول إلى الحقيقة إلا في الرواية. وإنني لأرى اليوم وفي كل مكان ما يثبت لي عكس ذلك».

وعندما يهتم ستندال بالتفاصيل نراه يثير دائمًا الحماسة الشديدة للبحاثين لأنه لا يوجد في كتابته شيء من المخيلة المحضة. ففي كل صفحة من ستندال هنالك شيء لندرسه أو نكشفه أو نتبينه أو نقتفي أثره أو نستنبطه أو نستنتجه أو نفحصه أو نواجهه أو نقتطعه لأن كل ما يحمله ستندال قد تغذى بالتجربة والمشاهدة والقراءات والمقابلات والمحادثات والملاحظات خلال حياة كاملة. وإن كل فصل من ستندال هو رافد تأتي فيه المياه لتختلط مع غيرها. إنه وحدة حية تشكلت فهي فسيفساء قد انسجمت وذابت بلحمة واحدة ناعمة ومشبوكة وقد نشأت عناصرها من ثقافته العظيمة الواسعة ومن أحلامه وسيرته. ولم يكن تعبير ستندال ثمرة بحث آني أو دقٍ

وسحقٍ للكلام الشفهي فليس لديه الوقت لذلك فقد كان فن الكتابة وفن الحب هما من نفس الطينة ففي كتابه «عن الحب» كتب يقول: يتلخص فن الحب بأن تقول تماماً ما تحتويه درجة النشوة المنبعثة وبتعبير آخر أن تصغي لروحك» وكتب في كتابه «مشاوير في روما» أنه الإنسان الشاعر بإحساسات عميقة يستعمل التعبير الأكثر وضوحاً وبساطة وذلك بالصدفة» ولم يكن ارتجال ستندال الدائم إلا نوعاً من الاستلقاء في نشوة اللحظة التي سلحتها سنوات من المران في مهنة مكتملة.

ولم يكن نثر ستندال شعرياً وذلك بمعنى أن يسرق النثر من الشعر منابعه ووسائله فيلعب على الكلمات ومعها ويتركها تنطلق مع الموسيقى وتدمدم بهدوء ثم تنسحق على «اَلمَلْون»(*) مثلها كما المادة الغنية للرسام الذي يستعمل عجائنه حتى يُعبر عن رؤياه.

ولم تكن طريقة ستندال هي التنضيد والتكويم كما هي الحال مع «بيجي» أو «بروست» مثلاً. لكن شعرية نثره كانت بالإيقاع الذي احتوى على الشذى. ومن الموافق حقاً أن نقول الايقاع فقد كتب في «فيلوزوفيا نوفا» «عندما يتواجد محدثون لا بد أن

(*) الملون = هي لوحة الوان الرسام.

نحدد بالإيقاع الفرق بين الطباع ونبحث عن إيقاع كل وَلَهٍ» وتختلف تغيرات الإيقاع بشكل مدهش فنراها بارعة وضرورية في الحكاية الستندالية. فلا يحترز القاريء منها ويرى نفسه لا شعورياً مجبراً على أن يلتحم مع وزن الراوي الذي قد يسرع أو يبطيء أو يستعجل أو ينفلت.

ومن الملاحظ أننا عندما نقرأ ستندال فإننا نرى أن تدخل القصاص المتواتر لا يسيء إلى الإيقاع ولا يغير شعور الالتحام عند القاريء فلم يكن ستندال ليتصرف كدخيل في كتبه.

وإن اقدسَ مباديء الموضوعية غيابُ الكاتب الضروري وذلك لمصداقية اشخاص كتابه وهو مبدأ خاطيء لا بد من فهمه. فالقصاص يجب أن يغيب عن كتابه عندما تكون شخصيته أقل أهمية من أشخاص كتابه (وذلك غير وارد). لكنني لا بد أن أقول: مهما كان من أشخاص رواية القصاص تافهين فإنه لا بد ستفتنني بغموض أو تولهني أما شخصية الكاتب فلا. وعلى العكس عندما يتسلل ستندال بين السانسفرنيا وفابريس ويعلق بصوت خافت عن مشاعرهم وتصرفاتهم فلا يتكون لدي شعور بتنافر الأصوات لأنه نغمه يكون بمعيارهم لأنه من نفس عِرْقِهم فستندال هو أهم أشخاص رواياته وأكثرها استحقاقاً للإعجاب.

فابتكار الوجوه البشرية العظيمة يتطلب التحرر من النفس ثم خلق وإبداع الوجه الصحيح. فالروح البائرة غير المزروعة هي خُلقْ ليس له طعم في كماله فهو فؤاد لن يتمكن من الوصول إلى رحابة الشعور ولن يبتكر أشخاصاً مهمين. ذلك لا شيء جيد من موبا سان لكننا لا نستطيع أن نخرج من صفة صغيرة لقامة فيزيائية كبيرة من رتبه ضباط الصف الذين يعجبون النساء وذلك موجود في «بل آمي» أية إدانة هذه! وليس الابتكار الأدبي مماثلاً للأبوة حيث الطبيعة تقوم بقفزات تتزواج بين كائنين من عرق صغير يمكن أن يولِّد عبقرية تدهشهما. أما القصاص فليس له أولاد أعظم منه. «لوسيان» و«فابريس» و«جوليان» هو من رتبة مبتكرهم فالعظمة لا يومى إليها بل يمكن أن نصوِّب عليها

ويبقى ستندال تقريباً الكاتب الوحيد الذي اعتبر واجبه رسم السعادة ذلك لأن إيصال السعادة للآخرين مهمة صعبة وذلك من حيث إنها نوع من الصمت ومن غياب الوهم أو الخفة اللامادية فلسنا مضطرين لتبرير السعادة وذلك من حيث إنها يمكن أن توصف بما ليس فيها أكثر مما توصف بما هو فيها. فيستطيع الإنسان أن يفعل كل شيء حتى يكون سيداً لكن ذلك لا يتوقف عليه وقد استحق ستندال تلك السعادة فكانت لديه عبقرية التعبير في أعماله. وكان الشرط الأول في السعادة

موجوداً في رسالة مدهشة إلى الآنسة «دلسبيناس» يذكرها ستندال في حياة روسيني «إنني أحب البهيمة أكثر من الأحمق والإنسان الحساس أكثر من الروحاني والمرأة الناعمة أكثر من المدركة والخشونة أكثر من التكلف والصلابة على التملق وإنني لأفضل وأحب قبل كل شيء وفوق كل شيء البساطة والطيبة وخاصة الطيبة أنها الفضيلة التي يجب أن تحرك كل من كانت له القدرة أو الغنى أنها الفضيلة التي تلائم الضعفاء والتعساء. وأخيراً إنها تنوب مكان كل شيء فإذا غاليت فيها لا بد من الألم فلن أتردد في ذلك فإذا خيرت بين طيبة «مدام جوفران» وجمال «مدام دبريون» لأجبت: أعطني الطيبة وسأكون محبوباً. ذلك هو الشرط الأول وإذا استرسلت فسأقول الأوحد الذي أريده. وإذا لم انخدع هنالك شرط أعظم أيضاً ذلك أن تحب لكن الطيبة تعلق روحي وبهذه الفضيلة نحب كل متألم وتعيس».

إن أخلاقية ستندال هي أخلاقية ود. فلقد كان هذا الانعزالي أكثر الرجال اكتظاظاً بالناس وبكى من يتواجد أو يشعر أو يتألم حوله. فحياته كانت انتشاراً للفكرتين الساميتين لكل الفلسفة، وتعريف سبينوزا للحب وتعريف ديكارت للقناعة فسبينوزا يقول: إن الحب نمو من أنفسنا مقرون بفكرة عن الشيء الذي يسببه» ويقول ديكارت «إن كل أعمال أنفسنا التي تكسبنا بعض الكمال هي فاضلة ولا تتضمن قناعتنا كلها

إلا بالشهادة الداخلية بأن علينا أن نتخذ بعض الكمال.» وإن قيمة الأدب الحقيقية هي طريقته في ممارسة الانتشار خارج النفس فممارسة مهنة الكاتب تفرض زهداً في السعادة. فعندما نكتب يجب أن نعدل من أنفسنا وذلك بتعديل العالم بالتحكم في مادة الكلام. فلا بد أن ننكشف لنكتشف الآخرين

فالاقتصاد بالنفس يتطلب انفاق المصادر كثيرة البعد ومراقبة الثروة تتطلب العطاء بأجود مما عندنا. فالفن يتطلب قابلية النفس للكمال وكذلك قابلية المادة نفسها. ولذلك كان كل فنان تقدمياً بشكل حتمي. وعندما يؤخذ الرسام بأعمال سابقيه وبمساحة قماش لوحته وإن الموسيقى كالكاتب وهم يؤمنون جميعاً بإمكانية الأفضل وبدون ذلك فإنهم لم يكونوا ليكدوا فهم يؤمنون بإمكانية التواصل وإلا فإنهم لم يكونوا ليعبروا عما يشعرون به.

أما المفارقة العظمى للسعادة التي يبرهنها ستندال بأبهة هو أن البحث عنها يقود حتماً إلى المشاركة في التعاسة فيقول «لامارتين» عن «بلزاك» «بأنه كان من المستحيل عليه أن لا يكون خيِّراً» ويعلن «جيرودو» قائلاً: «إنني معتصم بنجمي». وإن ضرورة الخير واستحالة عدم التضامن والحاجة للإحساس بالمشاعر تجبرنا على الإضطرار إلى الرأفة.

«فأنا في كل مكان يكون الألم فيه»

«ولقد صُلبْتَ عند كل بشارة دمعة» هكذا يقول ماياكوفسكي.

ولقد كان ستندال كاتب السعادة رساماً عظيمًا لمأساة الوجود لكن سعادة نفسه هي التي كانت تحمله ولقد وجد نفسه مداناً لأنه رفع السعادة فوق كل القيم ولقد كتب يوماً أحد نقاد اليسار: إن ملاحقة السعادة أصبحت متجاوزة بغرابة منذ مئة عام» فمن تجاوزها ؟ سنقول له مع «روجيه فابان»: إن ثورة ١٧٨٩ وكل الثورات اللاحقة قد صنعت باسم السعادة «ولقد قال سان جوست «إن السعادة فكرة جديدة في أوروبا» وليست السياسة إلا تقنية السعادة عند البشر الاجتماعيين. فحقاً إذا وجدت أخلاقية جديدة فمن الخطأ أن نحدد ميلادنا في غد موت ستندال لأن الأخلاقية الثورية ولدت قبل الثورة. ولم يعش سان جوست أو «مارا» أو «روبسبير» قبل ستندال.

وفي الحقيقة إن موضوع السعادة المدعى بها على ستندال تلحق بدعوى أخرى أبدية هي الأدب نفسه لأنها كلاهما لديهما شيء مشترك إذ أنها ظاهرياً لا فائدة منها.

فالأمبراطور الصيني «لي سسو» عام ٢١٣ قبل الميلاد أصدر مرسوماً بمنع كل الكتب التي ليست لها فائدة عملية مباشرة وفي

العام التالي أخذ هذا الأمبراطور يغتال بضع مئات من المتعلمين الذين كتبوا كتباً غير مفيدة. وقد قام أمبراطور صيني آخر بمعاقبة قيثارة أَمْتَعَتْهُ موسيقاها وذلك بقطع أوتارها. وفي نهاية القرن الخامس قبل الميلاد رقَّم «تسوهيا» للمركيز «وين» الحان الفساد تلك الألحان التي تثير العواطف الجسدية وتضر بالفضيلة» ولم يكن المركيز «وين» أكثر اقتناعاً بتلك الفكرة من إنسانيي النهضة بفكرة سافونارولا(*) وكان هذا المركيز يجد الموسيقى التي يطربها «تسوهيا» مزعجة كما كان يدين الموسيقى التي كان يحبها «تسوهيا».

وليست الصين بهذا البعد ففي إحدى المخطوطات التي طبعت أخيراً لبروست نراه يُخرج مشهداً لسيد يسمى «كيرسي» الذي يمجد الحياة على حساب الأدب «إن الأدب مثله مثل شعر السيد «دلوريد» لا يستحق التقدير إلا بمقدار ما يثير من العواطف الكريمة والوطنية هكذا كان دور الشعر القديم كما أدخله أفلاطون في أمبراطوريته» ولم يكن «لي سسو» و«تسوهيا» و«سافونارولا» و«كيرسي» لم يكونوا جميعاً إلا شخصية واحدة اتصلت أفكارها.

وهكذا يعطي ستندال بحياته وعمله لسافونارولا الأزلي

(*)راهب دومينيكاني ومتنبيء بالقول الملتهب مات حرقاً بعد حرمانه. (المترجم).

جواباً أخاذاً. فلقد كان ستندال عظيّما لأنه كان مفكراً ثورياً ذا روح عاطفية كريمة وكان ذكياً لأنه خيرٌ. ولأنه كان كاتباً فقد أفضى ذلك كله ليس إلى فلسفة سيئة وأعمال ناقصة ودفق مسفوك وحركات بل إلى الكمال في الجمال الأدبي. فماذا ينفع الأدب أو الكاتب هكذا يقول اتباع سافونارولا فإذا أجبنا لا بد أن نقول: بأن الكاتب لا بد مفيد لشيء ما وذلك أولاً لأنه يعطينا فكرة عن السعادة. لنا وللآخرين فإذا لم يكن المرء قد اتخذ فكرة عن السعادة ليمتلكها ويستحقها فنراه لا يفعل شيئاً ولا يغيرٌ شيئاً من نفسه أو من العالم. وإذا كان لا بد من تغيير العالم فلنذكر بأن ماركس وانجلز لم يحبا في الأدب «بلزاك» و«أوجيين سيو» فقط بل هوميروس وشكسبير والشعر. وماذا يفيد الشعر؟ كي نسعد.

هناك أكثر من طريقة لإسعاد البشر وأن نجعلهم مأخوذين بالرغبة كي يعملوا على تغيير العالم حتى يجعلوه على الصورة التي اكتسبها من الشعراء والروائيين وحتى يكون العالم الحقيقي مساوٍ في جماله للعالم الواقعي الكاذب الذي وصفه ستندال ولوبروست في «ظل الفتيات اللواتي في عمر الزهور».

وإن نظرة للأدب الذي لم ينقطع عن مجابهة «بلزاك» الطيب مع «ستندال» الخبيث أو الخير «زولا» مع الخبيث «بروست»

والطيب «لونان» مع الخبيث «مايتس» والطيب «باربوس» مع الخبيث «جيرودو» هذه النظرة جافة وعقيمة. فليست القضية اصطفائية مستريبة وليس صحيحاً أنه لا بد من كل شيء حتى نصنع العالم لكن الذي يلزمنا أكثر هو من يؤمن القضاةُ ذوي المبدأ، بكفايته لصنع الرجال ولقول ذلك.

أن تقول ستندال فتتكلم عن رجل يمكننا أن نكتب عما كان يلاحظه في سكان ميلانو «ليس الميلاني خبيثاً ويقدم لنا في هذا المجال الضمان الكبير الأوحد ذلك أنه سعيد» فبرهان سعادته ينفجر من كتاباته فيكون تحريرها أول سعاداته. إن «هوكوزاي» الذي كان يسمى «الشيخ المجنون بالرسم = جوكيور ودوجين ماندبحو» أراد أن يكتب على لحده ما تلخصه شاهدة قبر ستندال: حقاً إنه أحب وعاش وكتب. ومثل هوكوزاي عندما يتحدث عن الرسم فإنه يمكن أن يقول بأنه الروائي الذي ولد من الكاتب الذي ظهر مبكراً: فمنذ أن كان عمري ستة أعوام هويت رسم حدود الأشياء. وعندما بلغت الخمسين نشرت أعداداً كبيرة من الرسوم لم يكن بينها واحدة عندما بلغت السبعين لا يستحق أن يحفظ فعندما بلغت الثالثة والسبعين اكتسبت بعض المعلومات عن التركيب الحقيقي للطبيعة والحيوانات والنباتات والأشجار والطيور والأسماك والحشرات ولهذا فعندما أبلغ الثمانين فسأكون قد حققت تقدماً واضحـ

وفي التسعين سأنفذ إلى كنه الأشياء وفي سنة المئة سأبلغ مرحلة الفطنة المدهشة وإن كل ما سأخطه في سنة المائة والعشرة لن يكون إلا نقطة أو سطراً ممتلئاً بالحياة وإنني لأرجو من أولئك الذين سيعيشون مثلي أن يروا إذا كنت سأفي بوعـدي». وببساطة إن ستندال قد تناول لقيمات متضاعفة فعندما بلغ الخمسين كان قد عاش فعلاً المائة ونفذ إلى كنه الأشياء «إنني أحب الجميل وليس النادر وإنني لا أؤمن إلا بما أتى البرهان عليه». هكذا كتب الذي تَوَضَّح عندما حدد انفس سكان روما العصريين فوصفهم قائلاً إنهم «يحملون الاحترام للحقيقة ودوام الرغبات» وإننا لنقول نفس الشيء عندما تعود كل الرغبات فتصبح واحدة هي الحقيقة كما هي الحـال عند ستندال.

كلودرُوَا.

إنني لأوقن بأنه خلال خمسين عاماً لا بد أن يأتي رافٍ أدبي فينشر مقطوعات من كتبي لا بد أن تلقى استحساناً دون تكلف وأن تؤخذ باعتبارها حقيقية

ستندال.

ان تجد نفسك فذلك يحتاج إلى صبر طويل واحسرتاه! فلا شيء ينبيء بالعبقرية لكن ربما كان العناد أحد بشائرها

حياة هنري برولارد، ١٨٣٥ الفصل الرابع

إنني أحب القوة وبالقوة أحب وتبدي النملة منها كما يبدي الفيل

«روما نابولي فلورنسا» ١٩ ت٢ ١٨١٦ ميلانو

مَن يكون أديباً كبيراً لا بد أن تكون له نفس عظيمة فلا يكون فيه بعض الخبث إلا عندما يكون تعيساً.

هامشية على لافونتين ١٣ آب ١٨١٨

في مواجهة الفكر «إن للشجاعة مصادر ضد نكبات العقل»
فوفنارج

وكتب ستندال يقول: أوليس العقل شجاعاً؟ أوَهَلْ يكون عقلاً بدون ذلك؟

هامشية على فوفنارج

أن تكون صارماً في طباعك ذلك لأنك عانيت تأثير الآخرين على نفسك فإذن لا بد من الآخرين.
من الحب ١٨٢٢ مقطوعات متفرقة

إن القوة اللامتناهية وحدها ممكن أن تعطي العفو اللامتناهي. وتبدو السذاجة لي وكأنها عظمة الحياة العادية.
المفكرة ٥ تموز ١٨٠٤ باريس المدافن ١٦ مسيدور السنة ١٢(*)

كُلُّ الإنسان عادة فابتغ منها الحسن. فعادة العمل لا بد منها لأوقات الضجر وعندما ترى نفسك وقد فوجئت مرة عندما تقول: إنك ضجر. فتبين ما يجري حولك فمن هناك يجب أن نبدأ عندما نبحث كي نعرف أنفسنا.
المراسلات إلى بولين مرسيليا ٤ آذار ١٨٠٦

(*) تقويم الثورة الفرنسية الجمهوري الشهر العاشر من السنة.

هذه هي العادات التي أسعى لاتخاذها:

١) التمرين العضلي وإلا فإنني خلال عشر سنين سأكون سميناً وبليداً

٢) موهبة الهزلي الكريهة والمضجرة.

٣) أن اتخذ عملاً واعتاد عليه ولذلك لا بد من الانصياع إلى الوله المسيطر حتى لا تغير العمل بعد اختياره.

٤) تحمل الأحزان.

٥) ألا نتحمس لسعادة لا نتمتع بها كأن تكون تعيساً لأنك لست في موقفي أو العكس.

٦) عندما ندنو من رجل فيجب أن نتساءل ماذا يلزمه ؟ وليس ماذا يشعر به ؟

٧) عادة التقشف بأن ندرس الأغذية التي تؤدي للخير فنعتاد عليها.

أعيدي قراءة هذه الرسالة واكتبي لي عن رأيك فيها

اكتبي لي رسالة طويلة مفصلة فكسلك يكربني؛ إنك تكربين أخاك

إرادياً ذلك الشخص الذي يحبك وسيحبك. أي طباع احلمي بثلاث حِكم:

١) تعودي على الأحزان فالإنسان يتلقى سبعة أو ثمانية منها في اليوم.
٢) ألا نتشوق لسعادة لا نتمكن منها.
٣) أن نستفيد من لحظات الفتور حتى نعمل لاتقان فننا بالمعرفة والروح.

وإن السعادة هي في اعتبار هذه الحكم الثلاث وبما أنك لم تعودي طفلة فلقد كَفَتْكِ سنتان من التأمل والقراءة لتقويم نفسك فيمكننا هكذا أن نهتم بالفلسفة الحقيقية.

المراسلات إلى بولين مرسيليا السبت ٢٢ آذار ١٨٠٦

إنني بما أحمله من مباديء نبيلة وجمهورية وحقدي على الاستبداد وحركتي الطبيعية التي تحملني على تجاوز المزيفين من الأفراد الشرفاء وقلة حذري عندما اتحدث عما أرى في نفوسهم وذلك النشاط الذي يرونه في نفسي وفراغ صبري الطبيعي الذي يصعب علي اخفاؤه والذي كسبته من كفافي جعلني أبدو وكأنني مكيافيلي للنفوس الضعيفة مثل عمي وما يدعونه مكيافيلي بالنسبة إليهم هو حيوان ضار فالتفوق يثير حقدهم اللدود.

المفكرة ٢٤ نيفوز الموافق ١٤ ك٢ ١٨٠٥ باريس.

لقد أوحى «روازان» في روما كما في كل مكان تقديراً عظيمًا لنفسه كما أثار رغبة حامية في إذلاله ومن الطبيعي أنه لم يسع

بنفسه لإهانة الآخرين لكنه غالباً ما لا يفكر فيهم إنها نوع من الوقاحة لا يصفح عنها المجتمع الفرنسي.

موقف اجتماعي ١٨٣٢

فلنرم هذا الرجل «عن نفسه» من النافذة.

المفكرة ٢٤ حزيران ١٨١١ باريس.

كم تتواجد طباع باردة. وكم من المهندسين يكونون سعداء أو على الأقل هادئين وراضين في مكاني! لكن نفسي هي نار تتألم لأنها لا تتأجج وإن ما يلزمني هو ثلاثة أو أربعة أقدام مكعبة من الأفكار الجديدة باليوم كما يلزم الفحم الحجري للمركب البخاري.

المراسلات: آ.م. فيوري في باريس

سيبفنا فيتشيا ١ ت٢ ١٩٣٤

إن الحياء صفة ضرورية للمراقب أحياناً فتجعله يرى دقائق كل شيء فيكشف خباياها لأنه يزنها.

فإذا دخل رجل مقدام إلى أحد الصالونات فلا يوجه انتباهه إلا إلى ربة المنزل وغالباً ما لا يفعل حتى ذلك. فعندما أذهب عند «موتر» فإنني أفكر دائماً بالوسائل التي تقيني من الضجر في مجتمع مثله. فعندما كانت أدخل فيه سابقاً كان كل شيء يصدمني حتى أوضاع المقاعد.

لذلك فإنني اعتقد بأن حياء يعدله العقل من حين لآخر لا بد أن يكون مفيداً للمراقب.

المفكرة، باريس ٢٠ ك[١] ١٨١٢

لقد انشغلت قليلاً في الليل فمشيت بهيئة وقورة ومزدرية على مقربة من ضباط الخيالة الشبان الذين كانوا يغدون بطريقة وقحة.

إنها لمسكنة كبرى لكنني لم أكد أبلغ الثامنة والعشرين وأرجو ألا يلازمني هذا الطيش بتقدم العمر.

المفكرة ـ إيطاليا شانبانيول ١٨١١

لقد بلغت من النباهة اقصى درجاتها.

فظهرت روحي كلها وجعلت الجسد نسياً منسياً وبدوت رجلاً شديد الجمال من مثل نوع «تالما»(*).

المفكرة ٦ فنتوز السنة الثامنة ٢٥ شباط ١٨٠٥ باريس

بالإضافة إلى حساسيتي الشديدة فمنذ عام ١٨٠٠ ـ ١٨٠٣ أضفت إلى ذلك بأنني ظهرت وكأنني متعب خبيث والكل يعلم أنني بعيد عن ذلك.

(*)تراجيدي فرنسي كان المفضل لدى نابوليون وكان يهتم بالحقيقة التاريخية (المعرب).

فلم تأخذ الشفقة بي أحداً ولم أتلق نصيحة خيرة. ولقد استغنيت عن النساء مدة سنتين أو ثلاثة عندما كان مزاجي في عنفوانه؛ فلا تتواجد ذكرى بدون مشاعر صافية (بدون مزج) وإن ما أقوله عن مزاجي مأخوذ عن المعلومات القليلة التي أعرفها عن العلوم الطبيعية ويقال إننا بين التاسعة عشر والثانية والعشرين نتمتع بحمية لا بد أن تتركنا بعد ذلك بقليل وباعتباري قد ولدت عام ١٧٨٣ فلقد أمضيت في ميلانو وفي لومبارديا أعوامي السابعة عشر والثامنة عشر والتاسعة عشر.

وقد ألهمني فرط التحسس وكنت خجولاً وفخوراً ومجهولاً وأقول هذه الكلمة الأخيرة بلا فخر وحتى أعبر عن أن طريقتي كانت في شجاعة الظهور تدهش الناس جميعاً فكانوا يعتقدون بي عكس ما أنا فيه. ففي الثامنة عشرة كنت أعبد السيدة الكونتيسة «سيمونتا» وكان ينقصني المال واللباس الذي كان مفتقاً هنا وهناك.

وبما أنني لم أكن شيئاً في ميلانو عند م.ب. والسيدة الكونتسة سيمونتا وكانت الكبرياء تمنعني أن أقول بالمقدمات الأولية ولذا فقد أمضيت أيامي في حنان دائم وكآبة شديدة.

ولقد شاهدت نجاح «جوانفيل» و«مازو» و«درفيل مارشال» وآخرين. ولقد كنت أراهم يفعلون أشياء كنت أحس بالقدرة

على إجادتها أكثر منهم وكانوا سعداء فكانت لهم خليلاتهم ولم أكن لأتحرك وكنت انتظر الصدفة الخيالية مثل تحطم عربة أو إلخ... حتى يلعب الحظ دوره فيتعرف قلبي على نفس حساسة.

فلو كان لدي صديق لكان سلمني إلى ذراعي امرأة. وعندها لكنت سعيداً وظريفاً. ليس بالهيئة والتصرفات بل بالفؤاد ولكنت قادراً على فتنة امرأة حساسة فوجدت في روحا رومانية في الأشياء الغريبة عن الحب ولرأت المتعة بأن تعيد تشكيل تصرفات حبيبها التي تكونت نتيجة صدامها مع التجربة ولم تكن سيئة.

ولا شك أن أمرأة كهذه كنت سأحبها بما تتمنى أية امرأة حساسة أن تحب بمقداره ولم أكن لأفكر بامرأة أخرى غير التي تحبني وحصلت عليها.

ولم تسبب حساسيتي السقام وإنني لأعتقد بأن حركاتي المختلفة كانت تثير الاهتمام كل يوم ولمدة طويلة في كل نفس محبة كان بمقدورها أن ترى نفسي.

ومنذ ذلك الحين أحببت وبعنفوان ولكن الفرق عظيم مما شعرت به في شارع «سانت» وما عانيته عندما كنت أسكن في «كازابوفاراسول كورسو دي بورتا أورينتال».

لا شك أنني لو أحببت في ميلانو لاختلف طبعي كثيراً ولكنت أفضل كرجل لامرأة ولما كنت اتخذت هذا اللباس من الحساسية الذي لا يغني ولا يسمن من جوع. أما في مرسيليا فقد كانت دماغي مشغولة بأشياء تبعد الحب عنها وبدأت مرحلة الملاحظة وكنت أقرأ «تراسي» و«سي».

المفكرة ـ ميلان ١٨١١

لقد أوصلته هذه التأملات إلى الكآبة دقيقة فتذكر اللحظات السعيدة التي يدين فيها للحب في حياته.

لقد كان دائماً يبحر مع السعادة بسبب نقص فيه فيكون طبيعياً وأصبحت رعونته هي التي تطفيء حب خليلاته له فبسبب نقص فنه أُهلَ عدة مرات نتيجة مثل هذه الحوادث وضيع عدة سنوات من شبابه بالتعاسة.

وضعية اجتماعية ١٨٣٢

عن الفكرة المثالية المعاصرة.

لو كان علينا أن نعيد تأليف المثل الأعلى الجميل لاكتسبنا الميزات التالية:

١) روحاً بالغة الحيوية
٢) كثيراً من النعومة في الخطوط

٣) العين المتقدة ليس من النار المدلهمة للعواطف بل من نار البديهة فإن أكثر تعابير النفس حيوية مقرها العين التي لا يمكن أن تظهر في النحت والعيون المعاصرة شديدة الاتساع.

٤) كثيراً من المرح

٥) قاعدة من الحساسية

٦) قامة رشيقة وخاصة مظهر الشباب النشيط

تاريخ الرسم الكتاب السادس الفصل المائة والتسعة عشر.

لم تكن لدى فابريس أية نية بالتآمر وكان يحب نابوليون وباعتباره نبيلاً لذا فإنه أيقن بأنه قد خلق ليكون أكثر سعادة من الآخرين كما أنه كان يجد سخفاً في البرجوازيين. وهو لم يفتح كتاباً منذ أيام المعهد حيث لم يقرأ هناك إلا كتباً انتقاها الجزويت. ولقد أقام على مسافة من «روما جان» في قصر منيف كان إحدى تحف المعماري الشهير «سان ميشلي» ولم يكن قد سُكن قبل ثلاثين عاماً بحيث كان يدلف في كل الغرف ولا تنغلق واحدة من نوافذه. واستولى على خيول رجل الأعمال فكان يمتطيها بلا حرج طوال النهار ولم يكن يتكلم بل كان يفكر. وعندما استمع إلى نصيحة بأن يتخذ خليلة من عائلة فذة رأى في ذلك متعة فاتبعها بحرفيتها. واختار عرافاً هو أحد

الكهنة الدساسين الذي كان يريد أن يصبح أسقفاً (مثل عراف «سبيلبرغ») وكان يمشي ثلاثة فراسخ على قدميه ويتدثر بلغز قراءة «الدستوري» الذي كان يعتقد أنه لا يمكن الوصول إليه وكان يجده سامياً وكان يقول عنه بأن جماله يعادل جمال «دانتي» و«الفيري» وكان فابريس يشابه الشبية الفرنسية من حيث اهتمامه بصحيفته وحصانه أكثر مما يفعل ذلك مع خليلته المفكرة به ولم يكن في نفسه الغرة والصلبة متسع لتقليد الآخرين ولم يكن له أصدقاء في المجتمع المحلي «لروماجان» وكانت بساطته تبدو تعالياً فلم يُعرف كيف يوصف خُلُقُه. فكان الخوري يقول عنه إنه ولد ثان لكنه يرغب أن يكون البكر.

المنزل الريفي في بارم الفصل الخامس

أو هل كنت تفضل أن تعمل هذا الكتاب أم أن يكون لديك ثلاث نساء ؟

هامشية عن «المنزل الريفي في بارم» ١٨٤٠

نفس حساسة

لقد رافقتها حتى باب بيتها ولم أصعد حتى لا أفقد رصانتي ولكنت قبلتها وقد تستحق الجهد الذي بذلته اليوم في سلبيها. وكانت قد اعتمرت قبعة سوداء في ذلك المساء ووضعت وردة حمراء ذات جمال آخاذ فيضيع الناظر بين جمالين وكان وجهها مثل ديدمونا يمثل كآبة حلوة وبريئة، فكان عدم الوفاق خير ملائم.

المفكرة، فنتوز السنة الثالثة عشر الموافق ٢١ شباط ١٨٠٥

باريس

حسب رأيي يجب أن يكون المرء مغرماً بوله وأن يحمل في نفس الوقت المرح والحركة في كل المجتمعات التي يتواجد فيها.

وإن الرقة التي كنت أرنو إليها كانت المرح الصافي لشكسبير في هزلياته وهي الرقة التي تسود في بلاط الدوق المنفي في غابة الآردين.

حياة هنري برولارد الفصل الثامن والعشرين.

هذه الإسبنيلة(*) تمنع عني العبقرية الهزلية:

١) إنني أغض الطرف عن كل ما هو وضيع
٢) وكما لو كنت في العاشرة من عمري فإنني اتعاطف مع أرسطو ومع كل قصص الحب ومع المروءة ومع الغابات (الأحراج وصمتها التام).

إن أكثر القصص الأسبانية بساطة هي التي احتوت على المروءة فتجعل عيناي مغرورقتين بالدموع بينما أغض الطرف عن طباع «كريزال دموليير»(*).

هذه الاسبنيلات أخذتها عن عمتي اليزابيت فجعلتني أبدو حتى في سني هذا وكأنني ولد محروم من التجربة أو كمجنون يعجز عن القيام بأي عمل جدي وكما يقول ابن عمي «كولومب» (حسب تعابيره الخاصة) برجوازي حقيقي.

(*) التعلق بالصفات الاسبانية

(*) كريزال = شخصية نسائية متحذلقة لموليير.

وإن حديث البرجوازي الحقيقي عن البشر والحياة ليس إلا مجموعة من التفاصيل البشعة فيغمرني ذلك في سأم مرير وذلك عندما أضطر في مناسبات معينة للإصغاء إليه ولمدة طويلة.

حياة هنري برولارد الفصل الثامن عشر.

ومنذ تلك اللحظة أصبح بولسكي متفان في التعاسة وسنراه كيف يطاردها. وبما أنه وُجد بين البشر مبكراً فقد كان ذا طبع سرابي حالم وشاعري قادر على الشعور بتعاسة الحب ولقد أحب نابوليون وبما أن نابوليون لم يكن يحب إلا نجاح الطموح ولذلك فإن بولسكي آمن بنفسه وبصدق بأنه طموح حقاً.

رواية ماتيلد ٤ ت[٢] ١٨١٩.

لا شك أنه يوجد بيننا بعض النفوس النبيلة والحنونة مثل مدام رولان والآنسة «دلسبنياس» ونابوليون والمحكوم لفارج إلخ. فما الذي لا أستطيع كتابته في لغة مقدسة يفهمها هؤلاء فقط وعندها يسعد الكاتب بمقدار سعادة الرسام فيجرؤ أن يعبر عن مشاعره كثيرة الدقة وبعيداً عن أن تتشابه الكتب بتفاهة كما هي حالنا اليوم فإنها ستكون حقاً متباينة كما تختلف أشكال التزين والهندام في حفلة راقصة.

مشاوير في روما ١٦ حزيران ١٨٢٨

يبدو السيد «روازند» ذا طبع متقلب فكلمة واحدة تكفي

لتجلب الدمع إلى مآقيه ولقد كان في يوم ذا طبع ساخر وصلب خوفاً من أن يتحنن وأن يحتقر بسبب ضعفه. ونظرياً لم يكن الدم ليكلفه كثيراً حتى يتمم الاصلاحات. ولقد كان رجلاً مديد القامة تجاوز الأربعين من عمره ذا خطوط واضحة المعالم بعيدة عن الجمال لكنها شديدة الحركة فكانت عيناه تعبران عن أدق التغيرات في عواطفه وهذا ما أدى بغروره إلى اليأس وعندما لم يكن يخشى هذه التعاسة عندها يضحي مسلياً لامعاً ومليئاً بأكثر البديهة غرابة فقد كان يكهرب مستمعيه ويجعل التثاؤب مستحيلاً في القاعة التي يكون فيها وفي تلك اللحظات كان يوحي بأكثر النزوات عنفاً أو تبادل الإعجاب.

«ومن المستحيل أن يبدو الإنسان أكثر تألقاً أو نباهة» هكذا كان يقول معجبوه وهكذا كانت حيويته ونزواته غير المتوقعة تخيف الأشخاص التافهين وتكسبه كثيراً من الأعداء. وعندما لا يكون منفعلاً يصبح بليداً فيفقد ذاكرته ويأنف أن يطلب العون فتراه ذا حديث رزين بينما لا تكون تعابير وجهه بنفس المقدار من الرصانة. فترى غروره في هاوية اليأس لتنبيء عن مشاعره وعند ذلك فإن كلمة مؤثرة أو تعبيراً صادقاً عن تعاسة محكية في الشارع كان قد سمعها وهو في دكان حرفي فإنها تحننه حتى تخنقه الدموع. لكن إذا كانت هنالك أية فخفخة أو أية إمكانية للتصنع في التعبير عن الألم مهما كان السبب في ذلك شرعياً فلن

تر عندها إلا أشد السخرية وخزاً في نظرات وكلام «روازند» فلن تر شيئاً جدياً أو مفخفخاً أو حزيناً في حديثه. فلم يكن يتحدث أبداً عن شيء قد يكون لصالحه كأن يتكلم عن شعور حقيقي أو عن التضحية في سبيل الوطن مثل «جرانجنوف».

ومنذ سن السادسة عشر وُجِدَ هذا الكائن في دائرة نشاط نابوليون فتبعه إلى موسكو وإلى أمكنة أخرى وبينما كان يخوض المعارك منفقاً أملاكه ومتابعاً الرجل العظيم كان أبوه ينحدر إلى هاوية الإفلاس. كما أنه تدمَّر هو أيضاً في عام ١٨١٤ عند سقوط نابوليون فسافر وعاش كفيلسوف وعند ثورة عام ١٨٣٠ كان روازند قد أمضى عشرين سنة من الخدمة المدنية فعاد إلى العمل في مهنة الكتابات الرسمية وذلك حتى يكمل ثلاثين سنة من الخدمة فيستحق عند ذلك المعاش التقاعدي.

فوصل إلى روما بلا طموح بل لإمضاء سنين عشرة بلا مضايقات ومن ثم العودة إلى باريس أو إلى أي مكان آخر بحيث لا يخشى الموت من الجوع بعد أن كفاه الراتب التقاعدي.

موقف اجتماعي ١٨٣٢

إنه ليكفي قليل من الأمل حتى تسبب ولادة الحب.

وقد ينتفي الأمل بعد يومين أو ثلاثة لكن الحب يكون قد

ولد. هذا وكثيراً ما تكون درجة الأمل صغيرة عندما يكون طبع الفرد حازماً متهوراً وجسوراً وذا مخيلة كبرتها تعاسات الحياة وهكذا فإن الأمل قد ينقطع دون أن يقتل الحب.

فإذا كان المحب يعاني من التعاسة أو كان ذا خلق مفكر وناعم أو كان قد أصيب باليأس نتيجة صدمة مع نساء أخريات عندها يستولي عليه الإعجاب الشديد نحو محبوبته الجديدة فلا تمنعه أية متعة عادية من التعلق بحبه المتبلور الجديد. وعندها يفضل أن يحلم بأقل فرصة ممكنة من المتعة مع محبوبته على أن يجد متعة اللذة في أحضان إحدى الغواني.

«من الحب» الكتاب الأول الفصل الثالث

إننا نتذكر ما نحب وبسرعة البرق عندما نرى شدة جمال الأشياء التي تعرضها علينا الطبيعة أو مختلف ضروب الفن، فكما عرق الماس في مناجم سالزبورغ متصلاً ببعضه فكذلك إن كل ما هو جميل وسام يشكل جزءاً لا تنفصم عراه عن جمال ما نحب وإن هذه الرؤية غير المتوقعة للسعادة تدفع الدمع إلى المآقي. وهكذا فإن حب الجمال والحب نفسه يتبادلان عطاء الحياة.

وإن إحدى تعاسات الحياة أن تكون سعادة رؤية من نحب والتحدث معه لا تترك ذكريات مميزة فلكأن النفس من شدة

أضطرابها بالإنفعالات لا تولي انتباهاً للمسببات أو لما يرافق هذه المشاعر ذلك هو الإحساس نفسه. ولا يمكن أن تزول هذه المتع بسبب استعادة الذكرى بل تتجدد بقوة عندما ينزعنا موضوع ما من الحلم المخصص للمرأة التي نحب ويجعلنا نتذكرها بحيوية أكبر فنتذكر صلة ما من الصلات التي تجمعنا.

«من الحب» الكتاب الأول الفصل الرابع عشر.

في وسط أشد العواطف عنفاً وتضاداً نصادف لحظات نعتقد عندها أننا لا نحب أبداً. فلكأن نبع ماء في وسط البحر. فلا نجد متعة في التفكير في خليلتنا عند غرقنا في صعوبات الحياة نجد أنفسنا أشد تعاسة فلا نعود نهتم بشيء في الحياة كلها.

وإن أكثر مظاهر العدمية حزناً وتثبيطاً للهمـة هي التي تتلو اللحظات التي تتخذ شكلاً جديداً عاطفياً ومهما علمنا بأن النفس بلا شك تكون فيها مثارة.

«من الحب» ـ الكتاب الأول ـ الفصل الخامس عشر.

إنني لن أقول بأنه يمكن أن يكون الانسان مغرماً ولهاً ورساماً شديد السوء لكنني أقول بأن موزارت لم تكن له روح واشنطن.

إن أكثر أنواع الذهول والحيرة سهولة، للمرء الذي جعلته العواطف الناعمة تعيساً تتألف غالباً بكاملها من ذكرى هذه

العواطف ومن فن ملامسة الأفئدة هذا الفن الذي شعرنا بسلطته.

فعندما يعمل الفنان في هذه الظروف فلكأنه يتذكر خانعاً للأفكار القاسية والعزيزة التي تُتْعسه باستمرار.

واحترام الذات قاعدة أصيلة في نفس الإنسان ولا تتطلب مورثاً جديداً وعندما نتذكر الماضي فإنها تكون مصدر متعة أصيلة. وتأتي أحساسي الفن رويداً رويداً لتمتزج مع تلك التي تبعثها الطبيعة وعندها يسير الفنان على الطريق الصحيح ولا يتبقى عليه إلا أن يرى فيها إذا كانت الصدفة تؤمِّن له القوة.

فالفتى «ساكشيني» المفجوع بخيانة خليلته لم يعد يخرج نهاراً وامتلأ فؤاده بالغضب المكظوم بل أخذ يتمشى بخطوات واسعة عند المساء وكان يسمع دمدمة لحن تحت نافذته فأصغى إليه متأثراً. وكرره على آلة البيانو وتبللت عيناه وألَّف أجمل لحن عاطفي وهو يبكي بدموع حارة وتركه لنا. «لكن قد يقال لي إنك ترى الحب في كل مكان؟».

وسأجيب بأنني قد جبت كل أوروبا من نابولي إلى موسكو في عربتي مع كل المؤرخين الأصلاء. وعندما تضجر في ميدان روما

ولا تستطيع أن تحمل بندقيتك كي تتنزه فإن النشاط الوحيد الذي يمكنك القيام به هو الحب.

تاريخ الفن

الكتاب الثاني ـ الفصل الرابع والثلاثين

إن هذا الوزير رغم ظله الخفيف وطرقه اللامعة ليست له الروح الفرنسية فلم يكن يعرف كيف ينسى الأحزان. «فهو كمن يرى في فراشه شوكة فإما أن يكسرها أو يقلمها لكثرة احتكاكها بقدميه حتى تدميهما» وإنني لآسف لهذا المثل المترجم. عن اللغة الطليانية، وفي غد هذا الاكتشاف وجد الكونت النهار طويلاً جداً رغم المشاغل التي تهمه في ميلانو، فلم يكن ليبقى في مكان واحد فأتعب خيول عربته. وعند الساعة السادسة امتطى حصانه ليذهب إلى «كورسو» حيث كان يأمل أن يلقى مدام «بيترانيرا» وعندما لم يشاهدها تذكر أن مسرح «سكالا» يفتح أبوابه في الثامنة فعرج إليه ولم يلق إلا عشرة أشخاص في قاعته الواسعة فأحس بالحياء لوجوده فيه فقال لنفسه: أمن الممكن وقد ناهزت الخامسة والأربعين فأقوم بأعمال جنونية يحمر لها وجه ضابط برتبة ملازم ثان؟ ولحسن الحظ لم يتسنَّ لأحد معرفة ما نوى. فهرب وحاول أن يمضي الوقت متنزهاً في الشوارع الجميلة التي تحيط بمسرح «سكالا» وتمتلي هذه الأمكنة بمقاه تغص بالناس في هذه الساعة وقد اجتمع أمام كل مقهى

جمع من الفضوليين على كراسٍ في منتصف الشارع وهم يتناولون البوظة وينقدون المارة. وكان الكونت أحد المارة المهمين وهكذا تمتّع بأنهم تعرفوا عليه وعلّقوا ما كفى.

وتقدم ثلاثة أو أربعة من الملحفين اللجوجين الذين لا يخشون الفجاجة واستغلوا فرصة إمكانية التحادث مع وزير بهذه السطوة فتقدم إثنان منهم بعريضتين واكتفى الثالث ببعض النصائح الطويلة التي وجهها له عن سلوكه السياسي.

وقال له: لا يمكنك أن تنام طالما كانت عندك مثل هذه النباهة كما أنه يجب ألا تتنزه أبداً لأنك كامل السلطة. فعاد إلى المسرح وخطرت له فكرة استئجار شرفة في الصف الثالث حيث يمكنه أن يسرح نظره على شُرَفِ الصف الثاني دون أن يضبط وذلك بأمل أن يشاهد قدوم الكونتيسة ولم تبد ساعتان طويلتان من الانتظار كثيرتين لهذا المغرم وكان واثقاً بأنه لم يُر. فانطلق بعيداً في سعادته وضمن نطاق جُنونه. وقال لنفسه أو ليست الشيخوخة قبل كل شيء ألا تكون عاجزاً عن هذه الصبيانيات اللذيذة؟

وأخيراً ظهرت الكونتيسة حاملة منظارها الصغير ففحصها بتمعن ورأها فتية متألقة رشيقة كالطير وهو يقول إنها لم تبلغ الخامسة والعشرين وليس جمالها أقل فتنتها، أين يمكنك أن تجد

روحاً بهذا الصدق تتصرف بلا حذر فتنطلق بكاملها في المشاعر الآنية ولا تطلب إلا أن تنساق بأي موضوع جديد ؟ وإنني لأعرف الآن سبب جنونيات الكونت «ناني».

وهكذا وجد الكونت كافة المبررات لجنونه دون أن يفكر إلا بالحصول على السعادة التي كان يراها تحت بصره ولم يكن ليجد لها مثيلاً عندما يفكر في عمره وفي الهموم المحزنة التي تملأ حياته. ولا شك أن البليد وحده هو الذي يعتقد أنني أحيا بعظمة وقد امتلأت جيوبي بالمال.

ولكن هذا العمل في الوزارة غير دائم وسيأتي يوم أكون فيه عجوزاً وفقيراً وهذا أسوأ شيء في هذه الدنيا وها هي الكونتسة بكل شخصيتها أمامك. هكذا كانت أفكاره شديدة الحلكة فعاد إلى مدام «بيترانيرا» ولم يكن ليتعب من النظر إليها وحتى يتأملها بشكل أفضل لم ينزل إلى مقصورتها.

المنزل الريفي في بارم ـ الفصل السادس

«إنني أريد أن أكون ذلك السيد الذي يمضي»

هل تصدقون ؟ فلكنت وضعت قناعاً وأنا راضٍ ولغيرت اسمي وأنا مرتاح. إن الألف ليلة وليلة التي أعبدها تحتل أكثر من ربع مساحة تفكيري. وغالباً ما أفكر في خاتم «انجليك»

وإن أعظم لذة لي أن اتقمص فأصبح المانياً طويلاً أشقراً وأن انتزه هكذا في باريس.
ذكريات نرجسية ـ الفصل الخامس

مزايا يوم ١٠ نيسان ١٨٤٠

لقد أعطاني الله الشهادة التالية:

المادة الأولى ـ أن أعيش بلا ألم جدي حتى شيخوخة متأخرة وهكذا بما أنني سأعيش بلا ألم فسأموت بالسكتة في سريري أثناء نومي دون أي ألم نفسي أو جسدي.

ولن يكون في العام أكثر من يومين أو ثلاثة من التوعك وهكذا فإن جسدي وما يخرج منه عديما الرائحة.

المادة الثانية ـ إن المعجزات التالية لن يلاحظها أو يشك بها أحد.

المادة الثالثة ـ ستكون لدي القدرة حسب إرادتي بأن أحدد الصلابة والحركة. وذلك بواسطة «المانتولا» وهي ذات شكل أكبر من المفصل ببوصتين ولها نفس الحجم لكنني لن أستطيع استعمال هذه المتعة إلا مرتين بالأسبوع ويستطيع المحظوظ هكذا أن يتقمص الشكل الذي يرغبه على أن يكون هذا الشكل موجوداً وسيستطيع مائة مرة في السنة أن يتكلم اللغة

التي يريدها وذلك لمدة أربع وعشرين ساعة.

المادة الرابعة - سيكون للمحظوظ خاتم إذا فركه وهو يشاهد امرأة فإنها تقع في حبه حتى درجة الغرام بنفس الطريقة التي أغرمت بها «هيلويين» «بابيلار». فإذا رطب الخاتم باللعاب تصبح المرأة صديقة حميمة مخلصة. فإذا نظرت للمرأة وخلعت الخاتم من أصبعك تنتهي كل المشاعر السابقة. ويتحول الحقد إلى الوداد إذا نظرت إلى من يحقد عليك وفركت الخاتم بالأصبع.

ولن تحدث هذه المعجزات إلا أربع مرات في العام للغرام وثمان مرات للصداقة وعشرين مرة لتوقف الحقد وخمسين مرة لإيحاء الوداد العادي.

المادة الخامسة - الشعر الجميل والجلد الطري والأصابع الممتازة التي لا تعرف الخدوش والرائحة الخفيفة العذبة. وفي كل أول شباط وأول حزيران من كل سنة تتجدد ملابس المحظوظ وكأنها تلبس لثالث مرة فقط.

المادة السادسة - ستظهر أعاجيب في نظرات كل من لا يعرف المحظوظ؛ فسيتخذ وجهه سحنة الجنرال «دبيل» الذي توفي في سان دومنيك دون أي عيب أو شائبة. وسيكون ماهراً في كل الألعاب لكنه لن يستطيع أن يربح أكثر من مائة فرنك.

وسيكون رام للمسدس وخيالاً وماهراً في كل أنواع الأسلحة.

المادة السابعة ـ سيستطيع أن يتغير أربع مرات في السنة إلى شكل الحيوان الذي يريده ومن ثم يعود إلى شكل الإنسان كما أنه يستطيع أربع مرات أن يتحول إلى شكل الإنسان الذي يرغبه. وعندما يتحول إلى شكل الحيوان الذي قد يتعرض للموت أو للممانعة من قبل الإنسان رقم (١) الذي تحول إليه عندها يمكن أن يعيده إلى الحالة الطبيعية من الكائن المحظوظ. وهكذا فإنه يستطيع أربع مرات في العام ولمدة غير محدودة كل مرة يستطيع أن يحل في جسدين في نفس الوقت.

المادة الثامنة ـ عندما يحمل الرجل المحظوظ خاتماً معه أو في أصبعه لمدة دقيقتين بعد أن كان قد وضعه في فمه هنيهة قصيرة يصبح عندها (هذا الرجل) مقاوماً للظرف الذي يحدده ويحصل على قوة نظر النسر كما أنه يستطيع أن يقطع خمسة فراسخ في الساعة إذا ركض.

المادة التاسعة ـ يجد المحظوظ كل يوم في جيبه حوالي الساعة الثانية ديناراً ذهبياً بالإضافة إلى أربعين فرنكاً أو ما يعادلها من العملة المحلية حيث يكون وكل ما يسرق منه يُعاد إلى جيبه في الليلة التالية الساعة الثانية صباحاً على طاولة أمامه. وإذا حاول مجرمون اغتياله أو وضع السم له فإنهم يصابون بنوبة من

الكوليرا الحادة خلال ثمانية أيام. ويمكن للمحظوظ أن يخفف من آلامهم أو ينهيها على أن يقول: إنني لأرجو بأن تنقطع آلام فلان أو تتغير إلى أقل منها.

كما القتلة اللصوص الذين يصابون أيضاً بنوبة من الكوليرا الحادة خلال يومين اعتباراً من اللحظة التي قاموا فيها بالسرقة

المادة العاشرة ـ وثمان مرات في العام عندما يقوم بالصيد البري سينبئه عَلَم صغير على بعد فرسخ بوجود الطريدة ومكانها الحقيقي.

وقبل أن تغادر الطريقة مكانها بثانية يصبح العلم مضيئاً. ومن الطبيعي أن هذا العلَم غير مرئي لأي شخص آخر غيره.

المادة (١١) ـ ويحدد علم آخر مشابه أمكنة التماثيل المخبأة تحت الأرض أو الماء أو الجدران ويحدد له ماهيتها وزمن صنعها وصانعها والثمن الذي يمكن مقايضتها به عند بيعها. ويمكنه أن يبدل هذه التماثيل بكرة من الرصاص وزنها ربع أوقية. وإن معجزة العلم ثم التغير التالي إلى كرة ثم إلى تماثيل لا تحدث إلا ثماني مرات كل عام.

المادة (١٢) ـ إن كل حيوان يمتطيه المحظوظ أو يقوم بجر عربته لا يقع فريسة المرض ولايتزحلق أبداً. كما أنه يستطيع أن

يتحد مع الحيوان من حيث أنه يوحي له بما يريد وأن يقاسمه مشاعره.

وهكذا فإنه عندما يمتطي جواداً فإنه يصبح جزءاً من المحظوظ يقاسمه كل رغباته فيصبح لدى الحيوان قوة وشدة تعادل ثلاثة أضعاف ما يمتلكه الحيوان بشكل عادي.

فإذا تحول المحظوظ إلى ذبابة مثلاً وركب على نسر فإنه يصبح واحداً مع هذا الطير.

المادة (١٣) ـ لا يستطيع المحظوظ القيام بالسرقة وعندما يحاول لا تطيعه أعضاؤه على القيام بها. ويستطيع قتل عشرة أناس في العام على ألا يكون قد تكلم مع أي منهم. وخلال السنة الأولى يمكن أن يقتل بشراً على ألا يكون قد وجه إليه كلاماً أكثر من مرتين متباينتين.

المادة (١٤) ـ إذا أراد المحظوظ أن يتحدث عن إمكانياته أو أن يكشفها فإن لسانه وأعضاؤه لا تستطيع أن تشكل صوتاً وسيصيبه ألم في أضراسه يستمر أربعاً وعشرين ساعة.

المادة (١٥) ـ ويمكن للمحظوظ أن يضع خاتماً في أصبعه ويقول إنني لأرجو بأن تفنى كل الحشرات الضارة فإن كل ما يوجد منها على قطر ستة أمتار يفنى مباشرة ومن هذه الحشرات

البراغيث-والبق والقمل من كافة الأنواع والناموس والطبّوع والذباب والجرذان الخ.

أما الأفاعي والثعابين والأسود والنمور والذئاب وكل الحيوانات الضارية فإنها تفر من الخوف وتبتعد إلى أكثر من فرسخ.

المادة (١٦) ـ ويمكن للمحظوظ في كل مكان أن يقول: إنني أصلي كي يوجد طعامي فيجد رغيفين من الخبز وشرحات جيدة الشواء وفخذ خروف بنفس المواصفات وصحناً من السبانخ وزجاجة من نبيذ «سان جوليان» وكوزاً من الماء وفواكه وبوظة ونصف فنجان من القهوة. ويمكن لهذه الصلاة أن تستجاب مرتين كل أربعة وعشرين ساعة.

المادة (١٧) ـ وبناء على طلب المحظوظ ولعشر مرات في السنة يمكن ألا يخطيء الهدف بالبارودة أو المسدس أو أي سلاح آخر.

ويستطيع أن يبارز بالأسلحة البيضاء ولعشر مرات في السنة فتكون له قوة مضاعفة لمن يتحداه أو يحاول ذلك لكنه لن يسبب جروحاً قد تؤدي إلى الموت أو ألماً وانزعاجاً يمكن أن يدوم أكثر من مائة ساعة.

المادة (١٨) ـ يستطيع المحظوظ بناء على طلبه ولعشر مرات في العام أن يخفف ثلاثة أرباع الألم لمن يرغب. وإذا كان الكائن المرغوب له في طريقه إلى الموت فإنه يمكن أن يطيل عمره عشرة أيام مع انقاص ثلاثة أرباع ألمه الموجود وعندها يمكنه أن يطلب للكائن المتألم الموت المفاجيء وبلا ألم.

المادة (١٩) ـ يستطيع المحظوظ أن يحول كلباً إلى امرأة جميلة أو بشعة تقدم له ذراعها لمرافقته وتكون بمقدار نباهة «مدام انسيلا» وبفؤاد «ميلاني» ويمكن أن تحدث هذه المعجزة عشرين مرة كل سنة.

كما أنه يستطيع أن يحول كلباً إلى رجل يكون له شكل «بيبان دبليسل» ونباهة الطبيب اليهودي «السيد كورف».

المادة (٢٠) ـ ولن تتجاوز تعاسة المحظوظ ما كان له منها في الأول من آب سنة ١٨٣٩ حتى أول نيسان سنة ١٨٤٠.

ويستطيع المحظوظ ولمئتي مرة كل عام أن ينقص مدة نومه إلى ساعتين وكأنه نام ثمان ساعات وتكون له حدة نظر الأوس(*) وخفة «دبورو».

(*) الأوس حيوان يشبه الهر وحاد النظر. (المترجم).

المادة (٢١) ـ ولعشرين مرة في السنة يستطيع أن يكشف أفكار الأشخاص الذين يحيطون به على بعد عشرين خطوة منه. ولمائة وعشرين مرة يستطيع أن يعرف ماذا يفعل أي شخص في أي وقت يشاء وهناك استثناء واحد فقط بالنسبة للمرأة المفضلة لديه.

كذلك هنالك استثناء آخر فيما يخص الأعمال القـذرة والمقرفة.

المادة (٢٢) ـ لا يتسطيع المحظوظ أن يربح أكثر من الستين فرنكاً المخصصة له يومياً بواسطة المعجزات التي ذكرناها. ويستطيع أن يطلب مائة وخمسين مرة كي ينسى أي شخص بأنه محظوظ.

المادة (٢٣) ـ ولعشر مرات كل سنة يستطيع المحظوظ أن ينتقل إلى حيث يرغب بمعدل ساعة لكل مائة فرسخ وينام أثناء الانتقال.

فريدريك د ستندال.

«كره البهتان»

إنني اسعى كي اقي نفسي من المبالغة. وإنني لأكره المزيف الخاطىء في كل شيء باعتباره عدو للسعادة وأعتقد بأنني لو كنت في ميلانو سكرتيرا لسفارة او في اي عمل آخر لا يتطلب كثيراً من الجهد فإنني كنت سأعيش سنة لذيذة.

المفكرة ـ ميلانو ٨ ايلول ١٨١١

ما هي درجة السخف او الكذب المطلوبة من رئيس التحرير؟

ذلك هو السؤال. وبما أن كل شيء سيعرف في خاتمة المطاف وإذا كان لا بد من التردي والكذب الشديد فذلك كله ليس مني.

المراسلات ـ الى بارون دمارست. باريس. تموز ١٨٢٤

(متحدثا عن المثل الأعلى) حتى نفهم المناقشات من هذا النوع يجب ان نتمتع بالفؤاد النبيل. وبدلا من ان نأخذ ما قرأناه من كتب الكتاب الثقاة ونعتبره حقيقة يجب ان نحتكم الى ذكرياتنا الشخصية فنكون صادقين مع انفسنا وليس ذلك بالشيء السهل فالعادات التي تضطرنا اليها في كل لحظة مدنية القرن التاسع عشر تقيدنا وتتعب حياتنا وتجعل من الأحلام ندرة. فعندما نحلم في شي في فرنسا لا بد ان تصيب التعاسة كرامة الفرد الحالم.

مشاوير في روما ـ ٢٨ ت٢ ١٨٢٨

ـ كراهية الرياء ـ

ربما كانت حماستي للرياضيات ناشئة من كراهيتي للرياء وقد كانت خالتي «سيرافي» والسيدة «فينيـون» وقسسهما يمثلون الرياء في عيني.

وحسب رأيي إن الرياء مستحيل في الرياضيات وببساطتي الغضة كنت اعتقد ان ذلك ينطبق على كل العلوم التي سمعت عنها.

حياة هنري برولارد الفصل الخامس والعشرين

لقد كان الشعور الأول الذي ينتاب «لاميل» عندما يرى فضيلة ما فإنه كان يعتقد بأنها رياء.

ـ وكان «سانفان» يقول له: ليس العالم مقسمًا كما يعتقد البلهاء الى اغنياء وفقراء وفضلاء واشقياء لكنه مقسم الى محتالين ومغفلين. ذلك هو المفتاح الذي يشرح القرن التاسع عشر منذ سقوط نابوليون. اضاف سانفان قائلا إن البسالة الفردية وصلابة الطباع لا تترك ممسكا للرياء. او هل يمكن لمراء ان يندفع الى جدار مقبرة في الريف مسورة ويدافع عنها مائتي رجل؟ فإذا استثنيت هـذه الحوادث يا صديقتي فلا تؤمني بكلمة من كل الفضائل التي يقرعون بها اذنيك فمثلا إن دوقتك تتحدث دائما عن الطيبة فحسب رأيها هنالك تكمن الفضيلة في مكانها المفضل. فالمعنى الحقيقي لأعمال الإعجاب هذه كما في كل نساء طبقتها ذلك انها تفضل ان تتعامل مع مغفلين على ان تتعامل مع نصابين. تلك هي الكلمة النهائية بادعاء عالم تلك النسوة وطبقتهن حيث يتكلمن عن ذلك بلا انقطاع,

ويجب الا تؤمني بما اقوله لك بل ان تطبقي عليه القاعدة التي اشرحها لك فمن يعلم الهدف الذي اسعى لخداعك من أجله؟ ولقد فشلت مرارا فلأنني محاط بكائنات فظة يجب ان اكذب معها باستمرار حتى لا اقع فريسة قوتها الوحشية فمن

حظي انني وجدت كائنا مليئا بالعبقرية الطبيعية.

ان تثقف هذه العبقرية وان تجرؤ فتقول الحقيقة تلك هي المتعة الخلابة التي تريحني من اعباء الأعمال التي اقوم بها لأكسب قوتي

«لاميل» الفصل السابع

كل ما كان في جوهره متكلف ومتوقع حدوثه ومحتفى به ولا بد ان نتصرف حياله بشكل مناسب كل ذلك يشل المخيلة والتصور ولا يتركها متيقظة إلا للسخف هو مضاد لهدف الحفلة ومن هنا كان الأثر السحري لأية دعابة خفيفة.

ان تتواجد في سرير مع رجل لم تره الا مرتين بعد تلاوة بضع كلمات باللاتينية عمل ليس فيه من الحشمة اكثر من ان تتواجد غصبا عنك مع رجل تعبده منذ عامين. إنني اتكلم لغة غير معقولة.

إن القس هو المنبع الخصب لكل الرذائل والتعاسة التي تصيب كل زيجاتنا الحالية فهو يجعل الحرية مستحيلة للصبايا قبل الزواج وكذلك الطلاق بعده عندما ينخدعن أوبالأحرى عندما يُخدعن بالاختيار الذي جعلوهن يفعلنه.

من الحب. الكتاب الأول الفصل الحادي والعشرين

هذه الخصال الحميدة المدعاة اذن تقلل المتعة التي بقيت عام ١٨٣٤ على هذه الكرة الأرضية المتبردة انها لا اخلاقية حقا. إن الفضيلة لن تزيد من السعادة. وتزداد التعاسة من الرذيلة وكل ما بقي رياء او حمرنة برجوازية ويجب ان نستغل دوما فرصة تعليم الشبيبة

المراسلات ـ للسيد فيوري في باريس ـ سقتيا فيشيا ا ت[٢] ١٨٣٤

(احتقار المغالاة)

الا نكسب الجملة شيئا وان نرى طبيعتها الحقيقية. إن قاعدة كل شيء بالنسبة لي هي: المتعة والمجد والسعادة.

المفكرة ـ ١٥ مسيدور ـ ٤ تموز ١٨٠٤ باريس

إن «جاستون» و«بايارد» هما مغالاة ابدية وابطال ملكيون يحزون في نفسي بشكل دائم.

المفكرة ـ ٢٠ آب ١٨٠٦ باريس.

أحكام

موليير ـ لقد شاخ اسلوب كاره البشر لأنه مجازي إن كل الأمكنة المجازية قد شاخت كما أنه يبدو فظا احياناً وهو بضورة عامة قليل السرعة وكثير الثرثرة.

المفكرة ـ ١٠ فركيتدور ٢٨ آب ١٨٠٤ ـ باريس

الاكاديمية الفرنسية لم يظهر التكلف الا في القرن السابع عشر فقد كان هنالك كثير من السذاجة في بلاط هنري الرابع وهذه الخصلة المحببة من الفرنسيين لم تندثر إلا خلال حكم لويس الرابع عشر واعتباراً من فرانسوا الأول حيث قام البلاط بقولبة أو باعادة تشكيل لغة وعادات الفرنسيين فنحن نجد في «فرواسار» أمة متميزة تماماً عن تلك التي نراها اعتباراً من لويس الرابع عشر وتلعب دوراً عظيمًا في أوروبا بحروبها وآدابها وحتى الأشخاص الذين لا يتمتعون بحس أدبي يجدون متعة في قراءة قصص «فرواسار». وإنني أكرر فأقول بأنها تحتوي على البساطة والتي لا نجدها غالباً منذ ذلك الحين في أولئك الكتاب ثائري الأعصاب بسبب رغبتهم في الدخول إلى الأكاديمية الفرنسية وقد كانت هذه بيد لويس الرابع عشر قانوناً ضد حرية الصحافة وحتى زمن فولتير وهلفسيوس إضافة إلى شجاعتهما العظيمة لم يتوان الكتاب الفرنسيون على العمل بالا تغلق أمامهم أبواب هذه الأكاديمية الشهيرة.

مراسلة الى ستريتش باريس في ٣٠ نيسان ١٨٢٤

ديدرو عندما مشيت في شوارع لانجر[١] الجميلة ورأيت في كل مكان دكاكين السكاكينيين لم أكن أفكر إلا بديدرو ولم يخل هذا الكاتب من المغالاة لكنه كم يبدو في عام ١٨٥٠ متفوقاً على

(*) لانجر مسقط رأس ديدرو المترجم

معظم المغالين الحاليين ولم تكن مغالاته بسبب فقر بأفكاره أو بسبب حاجاته إلى تغطيتها بل على العكس كان منزعجاً بكل ما يمده فؤاده به.

يجب ان ننزع ست صفحات من جاك المشؤوم وبعد ذلك اين العمل المعاصر الذي يمكن ان يقارن به؟ فلم يكن ينقص موهبة ديدرو عندما كان في العشرين من عمره إلا ان يغازل امرأة كما يجب وكذلك الشجاعة ان يظهر في صالونه.

ولقد غابت مغالاته ولم تكن إلا بقية عادات ريفية.

وربما فكر ايضاً مثل فولتير بأنه من الأفضل ان نضرب بقوة بدلا من ان نصيب فنُميّع بذلك اكبر عدد ممكن من القراء ولكننا نتعرض بذلك الى الصدام المخيف مع النفوس التي تتأثر بموزارت وكوريج

وقد كان بإمكان ديدرو ان يجيب على ذلك فيقول: إن النفوس مثل هذه كانت نادرة عام ١٧٧٠ وسأجيب انا قائلا بأنه في عام ١٨٣٧ تسئمنا مآسي فولتيرحتى الموت وإن ديدروأصبح معبودا عام ١٧٣٧ في مدريد وسان بطرسبورغ وهو محتقر مثل داعر حقير في ادمبورغ ومن هنا وحتى عشرين سنة لا بد ان يعود اليه اعتباره حتى في شارع «تاران».

مذكرات سائح ـ لانجر ـ ٩ ايار ١٨٣٧

مدام دستايل ـ «تأثير العواطف على السعادة ـ تأليف مدام دستايل»

هنالك اثنان او ثلاثة من الأخطاء الجسيمة في هذا الكتاب وتعود كلها الى سبب واحد هو مبالغة الكاتب فمدام دستايل ليست كثيرة الحساسية وهي تعتقد العكس في نفسها. ولقد أرادت أن تكون شديدة الحساسية وفي سر فؤادها عملت نصرا ونقطة شرف واعتذارا بأنها شديدة الاحساس ثم وضعت فوق ذلك كله مبالغتها. ولقد اندفعت في العواطف (إنني أفترض ذلك فأنا لا اعرفها الا من خلال كتبها) وقد اندهشت لأنها لم تجد السعادة التي تعطيها للنفوس العاطفية. وربما كان احد الأسباب الذي أثار غضبها هو أنها نذرت لنفسها سعادة (ها انا اعود لأسلوبها كما ترين) تختلف عما هي فيه.

وإننا لنجد مرة او مرتين في العام هذه اللحظات من النشوة حيث تصبح الروح كلها سعادة. وقد تصورت انها تلك هي السعادة فأصبحت تعيسة لأنها لم تجدها كذلك. وتعلمنا دراسة الانسان الأخلاقي ندرة هذه الحالة اللذيذة. وقليلا من الدراسة الجسدية للانسان تبين لنا قدرة ذلك. ولكي نحدث ذلك لا بد من التهيج الشديد (عندما نضرب على زير(*) رخو من الكمان

(*)الزير: مجموعة أوتار دقيقة المترجم

فيندفع صوت «ري» فإذا شُدَّ الى صوته الطبيعي فإنه يعطي «مي» فإذا شُدَّ اكثر اعطانا صوت «فا» لكنه ينكسر بسرعة عندها لأنه وصل الى التهيج) هكذا هي اعصابنا. إذ تضعها النشوة في وضع لا يمكن ان يدوم دون ان يسبب آلاما فظيعة.

تلك هي يا صديقتي الطيبة الحالة التي عانيتها منذ سنتين فالبحث عن السعادة المستحيلة بجسدنا اكسبتني حالات من الكآبة وكرها مزموما لا يسبب الا الضجر. وبما أنني عانيت من هذا المرض فإنني استطيع تمييزه عند مدام دستايل ولقد شفيت منه. اما مرضها فلقد رماها في مزاج هائل ضد العواطف ولو لم تكن مدام دستايل تريد ان تكون اكثر عاطفية من الطبيعي وكذلك لولا تربيتها الأولية لكانت انتجت اعمالا رائعة.

لقد أرادت أن تخرج عن نبرتها الطبيعية فألفت أعمالاً مليئة بالأفكار الممتازة

كانت ثمرة لفكر متفتح لكن ينقصه كل ما يتعلق بالفكر الحنون. وبما أنهاأرادت ان تكتب الحنان نفسه فقد وقعت في كتابة الهراء.

المراسلات الى بولين ـ مرسيليا ـ ٢ فركيتدور العام الثالث عشر

الثلاثاء ٢٠ آب ١٨٠٥

(متحدثا عن كورين*) لقد آلمتني مدام دستايل فباسلوبها المتوتر الذي لم تكن اقل اخطائه ان يتطلب الإعجاب بلا إنقطاع (جملة السيد دارو) هذه النفس المدعية لشرف العبقرية التي لا ترى بأن الميزة الرئيسية (الطبيعة) تنقصها نهائيا. إن كوميديا كورين التي تسخر من افضل ما احب اصابتني في الصميم. ولقد حاولت ان اتفاداها بأن عملت ملخصا لنهاية الجزء الاول عندما تعالج كورين الطبع الايطالي فوضعت الجمل بأسلوب طبيعي ولاحظت عندها بأنها لا تخفي تقريبا إلا أفكاراً عادية ومشاعر مبالغ فيها بشكل ظاهر من الكائن الذي يحس

المفكرة ٩ آذار ١٨١١ باريس

كانت روح اللورد بايرون تشابه روح جان جاك روسو وذلك من حيث انه كان بشكل دائم مهتما بنفسه وبالأثر الذي يحدثه على الآخرين.

إنه أقل الشعراء الذين وجدوا مأساوية ولم يكن ليتحول إلى شي آخر ومن هنا تنبع كراهيته لشكسبير وإنني لأعتقد بأنه يحتقره لأنه استطاع أن يتغير إلى سيشلوك، يهودي البندقية البشع،

(*) كورين قصة لمدام دستايل

او الى جان كيد السفسطائي المحتقر.

راسين وشكسبير. لورد بايرون في ايطاليا.

شاتوبريان - هل تريدون ان اوقن بأن أفضلْ كُتَّاب النثر هو ذلك المدعي والأكثر مقروئية في فرنسا. فمن اول العام لآخره لا يكتب الفيكونت د شاتوبريان جملة واحدة بلا خطأ سواء في المشاعر ام في المحاكمة والبرهان بحيث انك عندما تقرأه ترى نفسك مضطرا ان تصرخ: حقا يا الله إن كل ذلك باطل لكنه مسطر بشكل جيد

المجلة الشهريةالجديدة اول حزيران ١٨٢٥

١٤ كـ١ ١٨٢٩ تبجح، نجاح إلخ

لم اجد تبجحا وانانية وتكلفاً وتفسخا عما ادعي به عن اخطار البحر مثل بداية الجزء الثاني من «بيان الرحلة الى القدس» الذي تفحصته هذا الصباح حتى أكوِّن فكرة عن موهبة السيد شاتوبريان

فبدلا من ان يحدثنا عن البلد نراه يقول أنا وإني ويقوم ببطولات مفتعلة في الأسلوب لقد أقرفني ذلك التصنع المسطح الخالي من القيمة.

هامشية على مشاوير في روما

من «فكتور هوجو» الى «هان ديلاند»

قد نجد انفسنا مضطرين للاعتقاد بوجود خداع او تحريف مقنع لأحد روائيينا الحديثين لو لم يكن واضحا بسبب الموهبة العظيمة المنتشرة (خاصة في المقاطع الوصفية) وكذلك بسبب رشاقة الأسلوب وحيوية القصة لذلك كان لا بد ان يكون الكاتب كامل الجدية. ولقد الححنا على هذا الكتاب أولاً بسبب أن مؤلفه السيد هوجو يتمتع بشهرة أدبية عظيمة ولأنه من جهة اخرى احد الأعضاء الأكثر شهرة في جمعية تسمى «جمعية الآداب الخيرة» حتى تميزها عن «جمعية الآداب الجميلة» هؤلاء مدّعوالاصلاح لديهم النية بإنعاش الآداب وان يعيدوا لها كرامتها الأخلاقية والكلاسيكية التي كانت لها ايام لويس الرابع عشر. ويقوم لنا «هان ديلاند» برهانا صارخا عن سخف جهودهم وعن نفاق مطاليبهم

المجلة الشهرية الجديدة اول نيسان ١٨٢٣

إن عدم نجاح الكتاب الأخير للسيد «دلافين» جعل الجمهور لا مبالٍ بظهور جزء من «انشاد واساطير شعرية» للسيد فكتور هوغو فهذه الأنشاد مكتوبة باسلوب البنهبوكيزياد = العالمية =«المراثية العالمية» الشهيرة للسيد «لمرسييه»ولقد كان بالامكان ان تجد مزايدا من التقدير لو انها كتبت بلغة فرنسيةمفهومة. وقد نودي على السيد هوجو بأنه «يمكن ان يكون». إنه لا شك يمتلك حرارة التصور ويمكنه ان يكون

شاعرا لو انه تعلم ان يكتب بالفرنسية وعندها يمكن ان يقرأ ما يكتب؛ ولماذا لا تكون للسيد «دلافين» نزوة السيد هوجو؟ ولماذا لا يكتب السيد هوجو بوضوح ورشاقة السيد «دلافين»؟ ويبدو الجمهور الفرنسي قد قرر بأن فرنسا ليس لها إلا شاعرين فقط وهما السادة «بيرنجيه» و«دلامارتين».

المجلة الشهرية الجديدة ـ باريس ـ شباط ١٨٢٧

الفريد دفيني ـ عن كتاب ايلويا

إن ـ اكثر العرافين مهارة ليجد نفسه محتارا بأن يتحدث عن موضوع هذه القصيدة وحتى لا نطلب كثيراً من خيال القارىء فنتعبه بدون سبب سأقول له حالا بأن ا«ايلويا» هي قصة دمعة السيد المسيح. هذه الدمعة التي اهرقت من قبل الرجل الإله عند مرأى البؤس البشري تصبح إذا صدقنا الأبيات الخارقة للسيد دفيني، تصبح ملاكا لم ير مثله علماء اللاهوت وهو ملاك انثى. ولنحكم على قدر هذا الملاك الأنثى التي كانت دمعة. فقد اصابتها الغواية ومن قبل من؟ من الشيطان نفسه هذه الدمعة التي افترضت بأنها قد سُكبت من الآله تتطارح الغرام مع الشيطان ويقودها الى المناطق الجهنمية حيث نصبح ملكة فيها.

«المجلة الشهرية الجديدة» اول ك١ ١٨٢٤

(الذوق والأسلوب الجاف)

إنني ابذل كل الجهود الممكنة حتى اصبح جافا. إنني اريد ان افرض الصمت على فؤادي الذي يؤمن بأن لديه كثيرا مما يجب قوله. وإنني لأرتجف ابدا بأنني لم اكتب إلا زفرة بينما كنت اعتقد أنني قد دونت حقيقة.

من الحب ـ الكتاب الأول ـ الفصل التاسع.

ربما كان على المرء ان يكون شاعريا في افكاره. هكذا يبغي العصر منه ولنكـن كلاسيكيين في التعابير والحيل. انها قضية اتفاق اكتسبت مظهرا ثابتا لا يتغير تقريبا إن لم نقل أن تغيرها قليل جدا.

يجب ألا نعد أنفسنا وعوداً سرابية من وقت لآخر كأن نقول إذا قمنا ببعض القواعد اللغوية (من حذفت او اضمار) نُصبح بعدها فولتير وروسو ولكأن ذلك يعطي سرعة في الأسلوب وها انا مرة أخرى لا اريد ان اقسم بأن هذه الشهادة يمكنها ان تجعلنا مفهومين اكثر من الأجيال المقبلة.

راسين وشكسبير الفصل العاشر.

غالباً ما تكفي كلمة سخيفة او مبالغ فيها كي تفسد لي أجمل

الأشياء فمثلا في واجرام[1] وعلى مقربة من المدفع حيث كانت تشتعل اعشاب التربة عندما قال دلك العقيد المهذار: إنها معركة العمالقة! وعندها انفلت منا الشعور بعظمة كل ذلك اليوم.

حياة هنري برولار الفصل السادس والعشرين

لقد كان بإمكان احد الحديثين ان يغرق كل هذا في صحن كبير من السبانخ وان يضع بالإضافة لذلك اربعة دييزات[2] على كل المشاعر،

على هامش المنزل الريفي.

تعليمات للسادة فليكس فور، لوي كروزيه او لامبير دليون

باريس الأول من ايلول ١٨١٠- اصدقائي الأعزاء لقد عينتكم لتنفذوا وصيتي وإنني لأرجوكم ان تتبعوا التعليمات السرية التالية حتى لا يستطيع الحمقى مطلقا ايقاف التنفيذ. إن لدي بعض الأملاك في باريس ويمكنكم ان تتأكدوا منها بواسطة السيدين «اوبركامف» و«دشين» فالسيد فيلكس فور يدين لي

---

(١) إحدى معارك نابوليون (المترجم)

(٢) الدييز نصف صوت في الموسيقى ترفع النوتة التي قبلها (المترجم).

بمبلغ يتراوح بين ١٠ ـ ١٥ الف فرنك اما السيد «جوزف شيريان بايل» فيدين لي بمبلغ ٢٠ الف فرنك.

أعيدوا كل شي بلا تمهل.

فمن العائد السنوي لهذه الأملاك فستقيمون حسب القواعد الأكثر ثباتاً في انكلترا جائزة سنوية.

وتمنح الجائزة من قبل هيئة او مجموعة لا تقل عن خمسة اشخاص ولا تزيد عن عشرين شخصا. وستختارون قضاة منصفين. وإذا كانت مثل هذه الهيئة لا يمكن ان توجد دون ان تضايق القضاة في مدن القارة الأوروبية ففي كل عام شاؤوا ام أبوا تمنح الجائـزة من قبل هيئة من الانكليز وإنني متأكد ان هذه الأمة يمكنها ان تقدم اكثر من عشرين رجلا مستنيرين وشجعان لا يخشون ان يكونوا نافعين للناس بمساعدة وجهات نظري.

إن هذاالمؤلف يجب ان يكتب باسلوب بسيط واضح وصحيح وبنبرة الوصف التشريحي وليس بنبرة الحديث

وإن القضاة مدعوون ليفضلوا الأسلوب البسيط على الخطابي وخاصة الأفكار على الأسلوب.

«الوصية» ـ ايلول ١٨١٠

لقد توصل جوليان إلى درجة عظمى من الكمال في هذا

النوع من الفصاحة التي حلت محل سرعة العمل ايام الامبراطورية والتي انتهت بأن ضجرت من نفسها ومن نبرة كلماتها.

«الأحمر والأسود» ـ الجزء الاول ـ الفصل الثاني والعشرين

(الحاجة كي تكون حبيبا ومحبوبا)

لقد كتب لي «فور» قائلا بأنك لن تعودي. ولقد ارهقني النبأ. فلا شيء يمكن ان يسيء الى متعة رؤياك وانا بحاجة ماسة لذلك. وإنني سعيد من كل النواحي ما عدا حاجتي ان اكون حبيبا ومحبوبا. ولقد كان مجاورتي لتلك النفوس في جرنوبل التي تعتقد بأن السعادة في المال والتعاسة ان تضرب بالعصي على رأسك كل ذلك كان يهز كياني.

وداعا. اكتبي لي. هل انت سمينة؟ او لا يريد القس الطيب مالاً قبليه عني ـ هنري.

مراسلة الى بولين الاثنين ١٨١٠

(في الوضوح)

إن اكبر وسيلة للعزاء: ان يهتم المحزون بتحليل المه. فتخف حدتها في الحال وتتغلب عليها الكبرياء دوما او تخضع

لها. وهذا يبرهن الى أية درجة يتعاظم الشعور المعاكس لـدى فولتير حيث تقول شخصياته: إنني أشعربالشيء الفلاني او الشيء العلاني. إنه عظيم بقدر الامكان.

المفكرة ١٧ فركتيدور ـ ٤ ايلول ١٨٠٤ باريس.

(إن السعادة قضية عقل وحكمة)

إن الذي يصنع النفوس الرفيعة هي حساسيتها الخاصة وهمها الداخلي وهو الحليف الطبيعي لكل الحمقى الذين يهاجمونه وهذا الحليف هو الذي يقودهم غالباً جداً إلى النصر.

فالنفس المتعالية تترفع فوق بعض الأشياء التي يهتم بها الناس العاديون لكن غالبـاً ما يظهر ضعفها عندما تبدي كيف تقيم بعض الأشياء لا يعلم الناس بدونها ان يمنعوها عنها.

وحتى نزيح هذه العثرة يجب ان نحتكم الى عقولنا وعند ذلك قد نتوه لذلك لا بد من ان نكون ماهرين في التفكير اي ان تكون لدينا عادة طويلة في التعامل مع العقل السليم بحيث لا تستطيع العاطفة ان تسحبنا من الطريق المعتاد.

ان كل ذلك مزعج بالنسبة لفتاة عمرها احدى وعشرين سنة وثلاثة ايام لكنها الطريق الوحيدة الى السعادة.

ضعي ذلك دوماً في رأسك.

مراسلة الى بولين ـ الجيش العظيم ٢٤ آذار ١٨٠٧.

تأتي كل التعاسة التي تصيبنا في الحياة تقريبا من الأفكار الخاطئة التي لدينا عما يحدث لنا. ان تعرف اعماق الرجال وان تحكم على الحوادث بحق هما خطوة كبيرة نحو السعادة.

المفكرة ١٩ فريمير ـ ١٠ ك[1] ١٨٠١

لقد تصالحت مع العالم وإنني ارى من بعيد: مجتمعات مؤلفه من نساء ورجال متفوقين فلا توجد اخطاء سير في هذه المجتمعات إنها التربة المحروثة جيدا للسعادة وعليكم ان تبذروا فيها البذرة الخيّرة ولكم ركضت قبل ان أجد هذه التربةالمحروثة.

ويعلم السعداء إذا كانوا نبيهين بأن معظم الناس غاطسون في الهم وانهم لا يخرجون منه إلا بعاطفة الرغبة فهم يخفون حياتهم ذلك هو السر. ونحن الذين سعدنا بحق لكوننامشبوبي العاطفة إذا حاولنا اجتثاث العواطف التي لا نستطيع ارواءها بل على العكس ان نذكي تلك التي نستطيع ارضاءها فنكون بذلك سعداء.

وسيكون جواز المرور الى هذه المجتمعات شدة الذكاء او

بالأحرى رأسا مليئة بالحقائق معظمها عن مواضيع الحديث العادية وهي الانسان وعواطفه.

المراسلة الى بولين ـ ٢٠ ترميدور السنة الثانية عشر ! الاربعاء ٨ آب ١٨٠٤

إنني اعتقد وسأبرهن لك بالتالي بأن كل تعاسة لا بد ناشئة عن الخطأ، وان كل سعادة لا بد ناشئة عن الحقيقة: فلنفعل كل ما بوسعنا حتى نعرف هذه الحقيقة وإن مختلف المعاني التي نعطيها للكلمات التي نستعملها غالبا ما تكون مصدرا للخطأ ، ولذلك يجب ان ننتبه لما تقوله هذه الكلمات. فاعملي بسرعة على الحصول على دفتر للتطبيقات ولا تلفظي ابدا كلمة «الفضيلة» دون ان تقولي لنفسك ماذا تعني هذه الكلمة من معان مختلفة. اما كلمة التربية وهي فن تكوين رأس (نفس) الانسان وروحه (الى مركز رغباته) وان نعطي للأول وللآخر افضل (الأكثر فائدة للأكثر عددا) نمو ممكن.

اتخذي هذه العادة: وستندهشين يوماً بأن تجدي نفسك في وضع يُمكِّنك من فهم أكبر عدد من الناس («بيكون» «مونتسكيو» «لانسلان» «فوثنارج» «باسكال» إلخ. .

مراسلة الى بولين ٢١ فلوريال السنة الثانية عشر ـ الجمعة ١١ ايار ١٨٠٤

عندما لا نجد السعادة في الآخرين فإننا لن نجدها بسهولة في انفسنا . لكن لا بد من الوصول اليها . ولا بد من سعادة انعزالية مستقلة عن الآخرين وعندما يقتنع الانسان في هذا العالم بأنه يمكنه ان يسعد بدونه عندها يمكن للغنج والاعتزاز الطبيعي للانسان ان يوقفه على قدميه. لذلك لا بد من ان يعتاد جسمك على طاعة دماغك وستندهشين تماماً عندما تجدين السعادة .

مراسلة الى بولين ـ ٣٠ نيسان ١٨٠٧ برلين

لقد برهن السيد « دتراسي » بإعجاب في « ايديولوجيته » بأن أخطاءنا تنبع دائما من عيب او نقص في ذكرياتنا وقد يدهشنا هذا الاكتشاف لأول وهلة . لكن عندما نفكر فيه ستة اشهر فإننا نتحقق من صحته في كل لحظة من الحياة .

وهكذا فإنني اختصر كل الفلسفة بألا نسيء الظن بأسباب افعال البشر والانخدع في احكامنا او في فن السعي الى السعادة .

المجلة الشهرية ـ باريس ٥ حزيران ١٨٢٢

قد ينزلق على انفسهم الجافة الف شيء دون ان يشعروا به لكنها قد تثير سعادة او تعاسة نفس حنون وإن كثيرا من النقاط التي نراها في اقوال الناس الجافين ليست متعا لنا كما هي مثلا كل

المباهج الباطلة . وإن روحا كروحك يا عزيزتي بولين ترى متعة في شجرة تلقاها اثناء نزهتها اكثر مما يرونه هم من متع عندما يمتلكون عربة فخمة حتى يظهروا بها متألقين . وبصورة عامة يلاحظون انهم يتألقون اقل كثيرا مما كانوا يتوقعون وانت تحت شجرتك تتصورين عاشقين سعداء او ازواجا ينـزهون سوية وليدهم الذي لم يتجاوز السنتين ولقد كانت الغابات تردد الحان «سافو»(*) السامية وكذلك الألف لوحة ولوحة التي حضرتها مخيلتك واعطتها لفؤادك .

ويجب ان تسعي ما امكن لتحقيق هذه اللوحات في حياتك لذلك عليك ان تدرسي عصرك وان تحترزي بالا تخدعك روحك بأن تريك ما لا يتواجد .

إن عيشة هذا القرن رضية . ولا يوجد الا دافع واحد هو المال وإبان حكم لويس الرابع عشر مثلا كانت هنالك ثلاث او أربع دوافع فقد كان من المستحيل مهما بلغت من الغنى ان تصلح ما أفسده مولدك او ان تخضع بعض الأحكام المسبقة التي استطاع روسو وفولتير القضاء عليها . وإنني اعتقد انك كنت تفضلين ان يكون ابنك عقيدا في الجيش فإذا لم يكن نبيلا بالمولد لن يتيسر له ذلك مهما أنفقت من المال. أما في الوقت الحاضر

(*) سافو: شاعرة يونانية كانت أشعارها مصدراً لكثير من الألحان الميثولوجية

المترجم

فببعض المهارة مع خمسين الف فرنك يمكنك ان تصلي الى ذلك . لقد عاشت « جولي ديتانج » تعيسة كل حياتها مع انه قدتوافرت لديها كل اسباب السعادة الربانية وذلك بسبب الهوس الأحمق لأبيها البارون . وها انت ترين بأن هذا الخطأ الفكري الواحدسبب التعاسة«لجولي»وأمهاو«لسان برو»و«لكلير» .

عليك هكذا ان تلاحظي الخدمات التي اداها الفلاسفة مهما كانت برودتهم وذلك بالقضاء على الأفكار والأوضاع المسبقة .

وتتضمن السعادة القدرة على اشباع العواطف عندما تكون لدينا عواطف سعيدة . فمثلا ان الحقد والباطل والقسوة هي إذا تحدثنابصورة عامة عواطف تعطينا من التعاسة اكثر من السعادة . ولا بد ان العكس يحدث مع الصداقة والحب والرغبة في نصرة الوطن الخ . . لذلك لا بد من القيام بالعمل الأول مع انفسنا وان نجرب ان نجتث من افئدتنا كل العواطف التعيسة وذلك سهل عندما نسعى اليه . وبعدها يجب ان نعمل على اكتساب العادات اللازمة كي ننقص ما أمكن المحاذير التي لا يمكن تجنبها إن ظهرت كذلك.

ومن المقدر عليك ان تمضي سنتين من عمرك ايضا مع الحمقى . فاتخذي عادة ان تنظري اليهم من الناحية الفكاهية وان تبحثي كي تجدي فيهم قصصا مضحكة لترويها

لأصدقائك . وبالنسبة لك ادرسي الانسان . وانظري كيف وصل بعد جهد جهيد الى ان يصبح بهذا الحمق وكيف قامت الظروف بالمساعدة الى هذا الوضع الذين سعوا اليه بأنفسهم وابحثي دوما عن الطريق التي تريدين اتباعه لو كنت مكانهم لكي تجتنبي عادات الفكر والفؤاد او الطباع التي سببتها

ـ فلم اذن دراسة فلان او فلان فاتركي هؤلاء الأشخاص لقدرهم في تيههم والبشع المظلم والمضي وقولي لن اتدخل في ذلك « زهرة النسرين » .

إنك مخطئة فإنك تكتسبين من هؤلاء البلهاء الموهبة التي تُمكنك من القراءة في افئدة الرجال العظام إذا لاقيتيهم وكذلك في افئدة اولئك الأشخاص الذين قد يتوقف مصيرك عليهم .

إن الدراسة بغيصة لكننا بتشريح المرضى الذين ماتوا في المستشفى بسبب الأمراض المعدية يتعلم الطبيب كيف ينقذ صبية جميلة قد اصيبت ببثرة في المعدة وتعرض اهلها لفقدها وكذلك لحبيبها الولهان عشية عرسها وإنه من الممتاز ان تضطري للدراسة المقرفة بسبب الضجر لكنها ضرورية. لذلك فإنك ترين الشبيبة الباريسية التي لا تضجر ابدا عندما يكون عمرها ستة عشرة عاما ولكنهم يصبحون حمقى وضجرين ومزعجين عندما يصبحون في السادسة والعشرين . تلك هي

السيئة الرئيسية للبيوت الباريسية . واجعلي طباعك مثل طباع الشهيرين الذين صنعوا الأوطان . ولتكن لك محكمة مؤلفة من شكسبير وهلفسيوس ومونيتن وموليير وروسو. فإذا طلبت منك وصفا للسيد « س » فبماذا ستجيبين ؟ .

وعندما ننزع مرة من افئدتنا العواطف السيئة وذلك سهل إذا اردناه كما اعتقد (وذلك يجب ان نتيقن بأنها تسبب التعاسة في كل الأحوال الممكنة) ومن الواضح اننا يجب ان نسعى لارضاء العواطف الباقية بأقصى ما نستطيع . وتقاس درجة السعادة التي نتوقعها بمقدار درجة شدة العواطف . ويجب ان نقدر بأن الرجال الذين قُدِّر عليك ان تعيشي معهم سيسببون سعادتك او تعاستك . وهنا باعتبارنا نقوم بنفس الدراسة يمكننا ان نتبادل المساعدة اكثر مما يفعله صديقان من جنسين مختلفين . وذلك ان النفس الحساسة تتوقف سعادتها غالبا على الجهة الأخرى وستساعدينني على معرفة النساء بينما استطيع ان أخبرك بما أعرفه عن الرجال . وهكذا يا صديقتي الطيبة فأنت ترين بأن كل شيء يوحدنا وأننا عندما لا يعود الحب يجمعنا فإن المصلحة تقوم بذلك ومع ذلك فإننا نؤمن بتعاسة انفسنا .

إن ما نصادفه من الناس في مسار حياتنا التي نبدؤها يكونون إما مثلنا ذوي نفوس حامية او باردين جافين او بين بين . وإن

عدد النفوس الحامية النشيطة قليل جدا لذلك كانت السهولة ان يلتبس الأمر علينا ونحن قد خلقنا اصدقاء لهذه النفوس العظيمة ونحن مؤتمنون على سعادتهم وهم كذلك بدورهم بالنسبة الينا . ويكفي ان نتعارف حتى نتحاب للأبد وقد نخطى اخطاء عظمى وهم كذلك معنا لكننا في النهاية نحضن بعضنا بعضا أما الاشخاص الجافون فإننا لا نستطيع احتمالهم .

ولا نستطيع ان نأمل من الناس الجافين المساهمة في سعادتنا حتى لو أريناهم سعادتهم في نفس المواضيع . ولهذا لا بد من اكتساب الإغراء في النفس ذلك (عصر فرانسوا الأول) حيث كانت النساء تتألق . وستجدين من هؤلاء الجافين حماقة بحيث انك ستعانين عندما تريدين اقناعهم بعمل لمصلحتهم وستشفقين عليهم وتحزنين لهم لأنهم لن يفهموا دواعيك فلكي نشعر بالرأفة لا بد ان نضع انفسنا في مكانهم ولن يتعرفوا على وضع كهذا . وقد تقتل ذبابة امامنا فلا نجد غضاضة في ذلك لكننا نرتجف عندما يذبح فدان لكننا نجد آلاماً فظيعة إذا قتل امامنا قرد الأوران اوتانج * . لذلك كان لا بد من طريقة من المرح مع هؤلاء الشعبيين وان ندرس ماذا يضحكهم دون ان

(*) الأوران أوتانج أرقى أنواع القردة .

نبدي تفوقنا عليهم اي دون ان نجرح شعورهم او نخجلهم . وعندما تتكون لدينا هذه العادة فلن يتبق علينا إلا ان تكون لدينا الفرصة بأن نكون اسياد قَدَرِنا كما يجب ان يكون البشر مراسلة الى بولين ٢٩ جرمينال السنة الثالثة عشر ـ الجمعة ١٩ نيسان ١٨٠٥

(العدو هو حزب القس)

ان نزيد من كمية السعادة في هذه الحياة الدنياوألا نسيء اساءة بلا فائدة وكذلك حماقة الصيام والأضاحي الخ وقد انتظرنا ١٨٠٠ سنة منذ قيصر حتى وصلنا الى ذلك .

لقد اشتبه مونتين بعقائد الحماقات القديمة وتلك ميزة كبرى هامشية على مونتين ـ البانو ـ ايلول ١٨٣٤

هذا الرجل (متحدثا عن الأب رايان) اراد ان يصنع مني نذلا وإنني لأعلم الآن بأنه كان جزويتيا كاملا لقد كان يصطحبني في نزهاته على طول نهر الايزر من باب « الجراي » وحتى مصب « الدراك » او الى حرجة صغيرة تقع بعد « الجزيرة » حتى يفهمني تهوري في كلامي . وكنت اقول له :

ـ لكن يا سيدي هذا صحيح وإن هذا ما اشعر به .

ـ إن ذلك لا يهم يا صديقي الصغير إذ يجب الا تقوله لأنه لا

ينسجم مع العرف .

ولو اتبعت هذه المثل لكنت الآن غنيا لأن الثروة طرقت بابي ثلاث او اربع مرات . ولكنت اصبحت نذلا ولما كانت لدي إمكانية رؤ يا الجمال والتي تملأ رأسي حتى هذه السن (اثنان وخمسون) .

حياة هنري برلارد ـ الفصل السابع .

إن كل الحجج للمسيحية او ضدها ليست إلا خدعا . فكأننا نشرح سبب الم الأضراس وليس اكثر .

هامشية عن تاريخ الرسم ۰ ١٨ آذار ١٨١٩

لقد وجدت محاكم التفتيش لكن ذلك لن يمنع النفوس الحنونة من ان تشعر بسمو مبادىء المسيح فكم بالحري إذ رأينا متورعين (مدعي ورع) يقودون عربات تجرها جياد مطهمة وترى رجالا صارمين وأخلاقيين يلاحقونهم ليطلبوا منهم السلطة والاعتبار .

مشاوير في روما ٥ ت٢ ١٨٢٨

من السهل أن نفسر هذا الشعور الغريب مع أن الألمان الصارمين يجدونه غامضاً تماماً أنه تأثير المخيلة الذي يشكل جزءاً من العضوية البشرية كما هي العين أو اليد من الجسم البشري. فكل البشر الأسوياء عندهم من المخيلة وبعد كل

طوفان أو هزة أرضية أو بعد رعد بسيط تبدي هذه المخيلة للشعوب وجود الآلهة. وهذا ما يسميه السيد كونستان «الشعور الديني».

مجلة لندن ـ ت[٢] ١٨٢٤

لم يبع جوليان لاروفير ولا الكرادلة الأربعة انفسهم ومنذ ان رأى جوليان خصمه على العرش انزوى في قصر « اوستى » ومن ثم ابتعد عن كل شي . ولقد كانت الفوضى على اشدها في روما حيث قتل مائة وعشرون مواطنا اثناء النزع البطيء للبابا « انوسنت الثامن » وبكلمة واحدة في بلاط الكسندر الرابع الأمان لشوارع عاصمته فقد عرف كيف يحكم وكان يوجد في بلاط البابا حينذاك الماني باسل كان بالنسبة للبلاط كما كان المركيز « دانجو » بالنسبة لبلاط لويس الرابع عشر وكان يقدم تقريراً يومياً بما يقوم به البابا. ويجب أن تقرأ في «بورخارد» تفاصيل الأفراح الفاحشة التي احياها الكسندر السادس في قصره عند زواج ابنته لوكريس مع « جان سيدبسارو » .

ولقد سببت هذه الفضيحة مع كثيرات من امثالها ولادة سافوناورلا ولقد كان ذا خلق عظيم وذكاء عجيب واراد ان يقوم بدور لوثر ومن ثم احرق عام ١٤٩٨ تحت اشراف الكسندر السادس .

وعندما دعي سافونارولا على فراش موت « لوران دمدسيس» رفض ان يمنحه الغفران إذا لم يعد الحرية الى وطنه . وعندما قيد الى وتد فوق المحرقة التي احرقته مع اثنين من اصدقائه واعلن بطرك فلورنسا فصلهم من الكنيسة فأجابه سافونارولا بهدوء : إنه جهاد . وذلك يعني باعتباره شهيدا فإنه قد أصبح جزءاً من الكنيسة المنتصرة (كل ذلك تعابير كنسية لاهوتية) .

ولم يقل سافونارولا شيئا بعد ذلك وقضى نحبه دون ان يبلغ السادسة والأربعين وكان صديقا « لميكل انجلو » .

ولقد انقضت فترة طويلة بعد ذلك قبل ان يخاف البابوات حقاً وأن يفكروا بجدية بأن يكونوا احسن سمعة . واخيرا اتى لوثر وتابع سافونارولا ولم يكن بالامكان حرقه فقد كان لا بد من « مجمع الثلاثين »

وقد تصرف هذا المجمع شبه الديمقراطي بغضب وأوسع الثغرة التي فصلت البروتستانية او « دين التدقيق الشخصي » عن دين البابا . وخلق مجمع الثلاثين الدين الكاثوليكي كما نراه اليوم . واخذ البابوات يخشون من نضائح الكرادلة ولم يكونوا يدعون الى مجمع الكرادلة إلا الحمقى ذوي المنبت الرفيع وقد تغير كل شيء للأفضل في الوقت الحاضر .

مشاوير في روما ٢٠ ت٢ ١٨٢٨

إن ادعاآت الجزويت غريبة حقاً فهم أعداء لصحيفتي « الجلوب » و« الكونستيتسيونيك »= « الكرة الأرضية » و« الدستوري . فهم يريدون تدمير الفلسفة وان يقنعوا الرأي العام بأن ينتحر وان يبدو غير موجود . (ويقوم الأب لامنيه بمساندة هذا الاتجاه فهو موهوب حقا إذا اكتسب مرتبة الكردينال بسبب ذلك) وهو يسعى لتحقيق هذا السخف وجعل صحيفة « المذكرات الكاثوليكية » مسلية حقا للباريسيين .

وقد نجحت صحيفة «الجلوب» على اظهار سخف السيد لامنيه الذي بدلا من ان يقلد البابا فيقول للشعب : ارتجفوا فانا اتكلم باسم الله . قال لهم بهدوء اقتربوا يا اصدقائي واتركوني ابرهن لكم بالمنطق بأنه من واجبكم بألا تطالبوا بالمنطق . وانتم يا إخوتي من « الدرجة الثالثة » واتركوني اقنعكم بأنه من صالحكم ان تهزموا بهدوء كما انهزم فولتير امام الشفالييه « دروهان » عام ١٧٢٥

مجلة لندن - باريس ١٨ شباط ١٨٢٥

لقد اصطحبوني الى كنيسة الجزويت بجانب قصر البندقية وإنني لأشعر بقليل من الاحترام الذي تفرضه السلطة مهما بلغ إثمها تقوم بأعمال عظيمة .

« روما - نابولي -فلورنسا » ٢٦ آب ١٨١٧ - روما

إن الجزويت اسيادنا في كل مكان عدا باريس ويجب أن نقوم بمجاباتهم إذا اردنا أن نتقي دسائسهم.

المجلة الشهرية الجديدة ـ باريس ١٨ ايلول ١٨٢٦

لقد حكم على العقيد « توكيه » الذي تحول الى كتبيٍّ بتسعة اشهر من السجن لأنه نشر كتابا عنوانه « القسم التاريخي من الانجيل بدون المعجزات » .

وهكذا انغمست فرنسا بكل بساطة في نقاش لاهوتي وفتحت السلطة المدنية السجون لتتلقى الفرنسيين الذين يجرؤون على الكتابة دون ان يقدموا قسطا من الإيمان . ولن يبدو غريبا بعد هذا الا يقوم احد بشراء كتاب « عبقرية المسيحية » الذي ظهرت طبعة جديدة منه . ولقد انقضت اربعة وعشرون سنة على الصورة المغالية التي اعطاها السيد شاتوبريان » عن عذوبة المسيحية والتي حكمت بالسجن تسعة اشهر على رجل لأنه شط او تجاوز عن المعجزات .

المجلة الشهرية الجديدة ـ باريس ١٨ ت٢ ١٨٢٦

إن لم يكن سياسيا من الدرجة الأولى وإن لم يكن قد جمع خلقا صلبا بالاضافة الى ضيائه فإن البابا لن يلحظ ضرورة الاصلاح في الدين الكاثوليكي وإذا لم يأخذ الدين شكلا جديدا

فإننا سنشهد حربا مميتة بين البابوية أو الأيمان والحكومة القائمة على الفحص والحذر .

مشاوير في روما ـ ١٤ آذار ١٨٢٨

إن دوق « فيذخام » هو شخصية على قدر من الحكمة في كل المواضيع إلا من حيث المولد فلديه احكام مسبقة على آل ستيوارت اجداده . وله من النباهة ما كفى لكنه قليل الصبر وميال الى النساء والشراب وذلك حتى يتسنى له قسط وافر وفعال في السياسة. وقد ارتكب حماقة عظمى فلقد سخر من «جمعية القلب المقدس ليسوع» وهي نوع من التغرير يستطيع الجزويت بواسطتها أن يلهبوا مخيلة النساء الريفيات فالصورة التي يُدعَين للسجود أمامها هي من طبيعة منفرة كريهة إنها صورة رجل ذي صدرمفتوح ويظهر قلباً دامياً ولا يوجد استعراض عام في أوروبافي الوقت الحاضر يفرض مشهداً بهذا القبح والنفور. ولن نجد له مماثلاً إلا في الشعوذات الهندية المخيفة لكن هؤلاء النسوة مسلوبات اللب فعلاً وإنني لا أعلم مقدار شاعرية أو تأثير كلمة قلب التي تلهب مخيلتهن بهذه السرعة. وبوجود هذه الصورة الدامية والمرعبة تنشأ معظم الصبايا ذوات المنبت الرفيع ويتربين في مؤسسة تقع إلى جانب «الانفاليد» ولقد شيدتها الدوقة «دجرامونت» وعندما لَمَّحَ الدوق «فيذجام» إلى أعمالها وسمح لنفسه ببعض النكات وشعر بخطئه عندما لاحقه الجزويت

ونشروا انتقاماً منه اسم الأديب الذي يموله الدوق كي يكتب له خطبة في مجلس اللوردات.

مجلة لندن ـ أول شباط ١٨٢٥

إنهم يتحدثون كثيراً عن نوع جديد من الورق مصنوع من سوق القنب ولا بد أنه سيكون الضربة القاضية للأرستقراطيين والجزويت وسيكون رخيصاً بحيث أننا يمكننا صنع كتاب من أربعماية وثمانين صفحة ولن يكلف أكثر من فرنك ونصف ولقد أصبح الاختراع جاهزاً ويفتش صاحبه عن شركاء له في باريس وسيعمل الجزويت ما بوسعهم لخنق هذا الابتكار الهائل وستفرض الأرستقراطية ضرائب باهظة على ورق القنب.

مجلة لندن ـ باريس ـ ١٨ ت٢ ١٨٢٥

إن كل أفكارنا عن النساء في فرنسا تأتينا من كتب التعليم المسيحي التي لا يزيد ثمن كل منها عن ثلاث دوانق والمضحك في الموضوع أن كثيراً من الأشخاص الذين لا يقبلون بسلطة هذه الكتب كي يسووا قضية بخمسين فرنكاً لكنهم يتبعونه حرفياً وبغباء وفي هذا الوضع من الابتذال التي وصل إليها القرن التاسع عشر فإنهم يتبعون فيما يختص بأهم عناصر السعادة في حياتهم.

ويجب ألا يكون هنالك طلاق لأنه «سر» وأي سر هذا ؟

إنه رمز اتحاد عيسى المسيح مع كنيسته. وكيف سيكون هذا الرسم لو كانت الكنيسة اسماً مذكراً ؟ ولنترك هذه الأحكام المسبقة التي لا بد متهاوية ولنلاحظ هذا المشهد الشاذ حيث جذر الشجرة وقد شُقَّ ببلطة السخف لكن الأغصان تكمل نموها حتى تزهر.

من الحب ـ الكتاب الثاني ـ الفصل السادس

لقد خاف الناس من الكوليرا في هذا البلد وأخذوا يقيمون الصلوات وقد اعتادت مدينة سيفينا فتيشيا في حوالي العشرين من آب أن نقيم سباقاً في تلقيح جدري البقر. ولقد وجد في السنين **الأخيرة ما يجب ان نطبقه على الكوليرا فنقوم بصلوات على الأرواح الموجودة في المطهر وهكذا ذهبت الأموال المخصصة للسباق وذلك في بلد ينقصه كل شي حتى ملح الكلورور.**

رسالة الى دوق دبرولي ـ سيفتيا فيتشيا ٢١ ـ ٣٠ آب ١٨٣٥

ان تعبد رب المسيحيين بشفاعة العذراء ذلك أن تعتادعلى غَزَل الاستبداد بواسطة الوزير امين الدولة

هامشية على مونتسكيو ـ ١٨٢٠

(كل البشر لهم نفس الحقوق)

ليست أراء النساء مبنية على الكتب فلحسن الحظ لا يقرأن كثيرا لكنهن يؤخذن بطبيعة الأمور وقد دخلت المساواة بين الجنسين كمية هائلة من الحس السليم في الرؤوس الايطالية وإنني لأعرف مائة مبدأ من التصرف التي تضطر الى البرهان عليها احيانا إلا في روما حيث تعتبر بديهيات وإن قبول النساء على قدم المساواة الكاملة تعتبر علامة اكيدة على المدنية . وستضاعف القوى الفكرية للجنس البشري وإمكانياته للسعادة .

« روما ـ نابولي ـ فلورنسا »

١٩ حزيران ١٨١٧ ـ نابولي

(النفس الانسانية قابلة للكمال)

إن التبجح « النرجسية) الصادق هو طريق لتصوير الفؤاد البشري الذي بمعرفته خطونا خطوات واسعة منذ عام ١٧٢١ « عصر الآداب الفارسية » للرجل العظيم الذي درسته مرارا ألا وهو مونتسكيو .

ويبدو التقدم مدهشا بحيث ان مونتسكيو يبدو من خلاله فظا .

ذكريات من النرجسية الفصل السادس.

حنان وبطولة .

يبدو لي انه منذ ايام راسين اكتمل الحنان الحق ويمكننا ان نضع في المشهد كآبة اكثر تأثيرا من كآبته .

وقد اكتملت البطولة أيضاً وإن شخصية «آلسست دفابر » هي اكثر عظمة من الناحية الأخلاقية من شخصية « آلسست* عند موليير »

وعند تشكيل شخصياتنا المؤثرة تتدخل معلوماتنا عن البطولة فمثلا في «راسين» نرى اكثر العواطف المستحبة عند الملوك والملكات المملوئين غرورا وهم يشكلون تقريبا الشخصيات الأقل استحباباً بالنسبة الينا بينما لو كان الامر بيدينا لوضعنا هذه العواطف البالغة التأثير في كائنات تبدو لنا كثيرة القرب من قلوبنا وذلك كيفما كانت عواطفهم .

(*) آلسست: ضحت بنفسها وقبلت الموت مكان زوجها. (المترجم).

(*) السست موليير شخصية مبغضة للبشر لكنها بالغة الصدق وعدو لدود القوانين المجتمع (المترجم).

وكذلك فإن الحنان قد حقق تقدما بيننا لأن المجتمع قد تحسن فرجل مثل « باسي » لم يكن غبيا او عبقريا لكنه يملك دخلا بمقدار ١٥ الف فرنك في نهاية عام واحد على ما يريد من الأصدقاء وهو لا يبحث معهم إلا عن المتع الحالية. ويفرض عليك المجتمع بعد ذلك باسم المعرف او طيبة القلب جرعة من التضحية لا بد من القيام بها لكل صديق وذلك بسبب المتع التي استمتعتم بها مجتمعين وخاصة بسبب الوقت الذي قضيتموه معاً ومتذوقين لها .

ولا تروي هذه الصداقة اطلاقاً عطش الحب بل يحل الفكر بسعادة مكان الدين فالحنان الذي كنا نستعمله في حب الله والخوف من الشيطان يتحولان الى حنان أحبه نحو « فكتورين » والخوف يرجع الى فقدانها وذلك إذا كانت تحبني .

وإذا طلبنا خدمة من تلك التي نحبها نراها تحسب معنا كيف لو طلبنا منها خدمة اكبر لأدتهالنا بينما لو كان الأمر مع رجل لكان علينا ان نتوقف عند حد معين لا نتجاوزه .

وإننا نبحث دوما عن كائن نستطيع ان نكون معه طبيعيين غير متكلفين دون ان نفكر ابدا بتقاليد المجتمع .

المفكرة ٢١ ك٢ ١٨٠٥ باريس

إنني أستعمل بشجاعة كافة الكلمات الموجودة في « مدام

د. سيڤنيه» وقد حصل تقدم محسوس منذ أيام لويس الرابع عشر في الحس السليم في فرنسا ولقد تحسنت لغة الأصحاب وتصفت اي أنه اصبح من العسير عليها ان تعبر عن اشياء هي غاية في الطبيعة . ومن هنا اتى هذا التراجع في لغة الصحبة الخيرة .

هامشية على لوسيان لدوين ـ روما ١٠ شباط ١٨٣٥

إن الرأس غير صالح في آلسست وذلك هو العيب الرئيسي فقد كان لا بد له أن يرى بأن كل الأوجاع التي يعانيها يعود سببها إلى الحكومة الملكية وإن يحول كرهه نحو الباغي الذي هو أصل الرذائل التي يعاني منها معاصروه. وبما أنه لم يقم بهذه الخطوة ولم تكن لديه القوة لذلك فقد كان لا بد من فكرة واضحة عن الفضيلة وحتى يضع ابعض المحسنات الجزئية (دون أن يجتث جذور الشر) وأن يبقى في العالم حتى يتحالف مع القلة من الشرفاء فيه وأن يعمل الخير ما استطاع إليه سبيلاً .

المفكرة ـ ١٠ فركتدور ـ ٢٨ آب ١٨٠٤ ـ باريس

تحيا الجمهورية

يبدو لي ان موت لويس السادس عشر في ٢٠ ك٢ ١٧٩٣ كان خلال طغيان « رايان »* . ومن الممتع ان الخلف

(*) مؤدب ستندال

(الاجيال القادمة) ستجد صعوبة في الاعتقاد بأنه عائلتي البرجوازية التي كانت تؤمن بأنها سائرة في طريق الحصول على لقب نبيل (وخاصة ابي الذي كان يوقن بأنه نبيل مفلس) وكان يقرأ الصحف ويتابع دعوى الملك وكأنها دعوى لصديق او لقريب .

وعندما وصل نبأ الحكم اصيبت عائلتي باليأس المطبق ولكنها قالت بأنهم لن يجرؤ وا على تنفيذ الحكم قطعا . فأجبت قائلا :

- ولم لا إنه كان قد خان حقا ؟

ولقد كنت في مكتب ابي شارع « شيوخ الجزويت » حوالي السابعة مساء وكنت اقرأ على ضوء مصباح وكان ابي يجلس مقابلي وتفصلني عنه طاولة كبيرة كنت اتظاهر بالعمل لكنني كنت اقرأ « ذكريات رجل مشهور » للأب بريفوست الذي وجدت نسخة منه بالية بتأثير الزمن ولقد اهتزت اركان البيت بسبب عربة البريد التي وصلت ليون قادمة من باريس .

- يجب ان اذهب لأرى ما فعل الوحوش . هكذا قال أبي وهو ينهض .

- إنني لأرجو ان يكون الحكم قد نفذ بالخائن . هكذا فكرت .

ـ لقد وقع المقدور واغتالوه . قال ابي ذلك بزفرة طويلة .

ولقد شعرت عندها بأكثر حركات الفرح عنفا وقوة في حياتي كلها .

حياة هنري برولارد ـ الفصل الحادي عشر .

ها قد شرح اخيرا السيد « بايول » كيف ولماذا كان عصر الارهاب(*) فلقد كانت المؤامرات جارية بلا انقطاع ضد الحكومة وفي كل مكان من فرنسا فقد كان البارون « دامبر » يسلم « طولون » للانكليز ولم يكن لدى السلطات المحلية وقتاً كافيا لتطلب أوامر باريس ولذلك كان لا بد من إعطاء صلاحيات واسعة للسلطة المحلية لكن ممن يجب ان تشكل هذه ؟

فكل الأغنياء وكل النبلاء كانوا ضد الجمهورية ويتآمرون عليها . ولذلك أضحى اضطراريا في فرنسا تشكيل هذه السلطات من المعماريين والحذائين والنجارين والعمال بصورة عامة وإذا تغاضينا عن بعض الاستثناءات كانت تلك هي الطبقة الوحيدة التي أحبت النظام الجمهوري . ولم يرتكب هؤلاء الأشخاص الحماقات فقط لكن حذرهم الشديد دفعهم الى الخوف ومن ثم انغمسوا في العنف الدموي .

رسالة الى ستريتش ـ باريس ٧ ايلول ١٨٢٢

(*) خلال الثورة الفرنسية

من مذكرات مؤرخ يقول بأنه ما من شعب عانى تغيرا اكثر سرعة وشدة في عاداته وفي متعه مثل الشعب الفرنسي في الفترة ما بين ١٧٨٠ - ١٨٢٣ . ولا يزالوا يصرون على إعطائنا نفس الأدب . فلينظر اعداؤ نا الصارمون حولهم : فأحمق عام ١٧٨٠ كان يعطي دعابات سخيفة لا طعم لها . فقد كان يضحك كثيرا . اما احمق عام ١٨٢٣ فأصبح يعطي افكارا او استدلالات فلسفية غامضة مبتذلة حتى لتجعلك تنام وأنت واقف ولا يزال هذا الأحمق ذا سحنة طويلة تلك هي ثورة ملحوظة ففي مجتمع يكون فيه عنصر بهذه الأهمية وهذا التكرار كما الأحمق وقد تغير فيه لهذه الدرجة لا يمكن لهذا المجتمع ان يتحمل نفس السخف ونفس المؤثر . لقد كان الناس يطمحون لإضحاك جيرانهم اما اليوم فهم يريدون ان يخدعوهم .

« راسين وشكسبير » الفصل الثالث .

إنني لأعتقد بأنه لو اراد ان يكون جادا وان يفكر لكان جمهوريا . ومع ذلك فإنه لا يتذوق كورني « طباع » - ٣

جرمينال السنة الثالثة عشر . ٢٤ آذار ١٨٠٥

تكفي الوقائع التالية لتبرهن فوائد المعرفة بالنسبة للشعب . ولا يعترف بذلك كل من له علاقات مهما كان نوعها مع رجال

الدين او النبلاء .

المجلة الشهرية الجديدة - باريس ١٨ ك[1] ١٨٢٧

في ذلك العهد من عام ١٨٣٢ الذي تجاوز القدم كانت الأفكار السياسية تؤثر على تصرف وطريقة حكم الحزب السمح او الشاعري للوطن . فقد كانت عينا « روازند » تمتلآن بدموع الغضب والنقمة عندما كان يقرأ بعض الوقائع في الصحف ولم يكن فيلسوفاً بل ربما كان طموحا فقط

ولقد كانت هذه الدموع مهراقة ولم يتحدث عنها لأحد . لكن الفرنسيين الذين باعوا أنفسهم بعلمهم يخشون الاحتقار خشية رهيبة ولكن بالصدفة ولمرة واحدة اكتشفوه وغالوا في ذلك ورأوه في كل مكان .

موقف اجتماعي ١٨٣٢

لقد غيرت الثورة كل شيء في فرنسا ومع ذلك لا نزال كما في اوروبا كلها لا نشعر بهذا التغيير .

مجلة لندن ت[2] ١٨٢٤

لقد استولت العادات المستهجنة المدروسة وكذلك حب القوانين على الشعوب وعندما تقوم الدساتير بجولتها في أوروبا فسترى عند قدميها الاتفاقات البالية وستحطمها بأجنحتها وعندها سيسقط المثل السائر الشهير « حرز معرفة العيش

الخاصة بأجدادنا» والتي تقول : يجب ان نكون كالآخرين . وعندها ستظهر ايضا عجز موليير وتداعيه .

« راسين وشكسبير» الفصل الثامن

في عام ١٨١١ وبنظري انا لا توجد الحيوية إلا في الطبقة التي تناضل في سبيل حاجاتها الحقيقية .

حياة هنري برولارد الفصل الثاني .

لقد رأينا في ثورتنا بأنه عندما تصبح الظروف السياسية صعبة وبما أن النفس سخيفة عند ذلك فإن شدة الطبع تقرر كل شيء .

مشاوير روما ـ ٢٠ ت٢ ١٨٢٨

لا بد ان نابوليون كان يخاف ان يوقظ عواطف الشعب إذا نادى بالوطنية بينما اعطى كارنو بصراحة وبكرم كل القيمة لحب الشعب للوطن وللرعب من الغزو .

ولقد كانت النتيجة المباشرة لذلك تدافع الناس العظيم لحمل السلاح وقد فعل كارنو ذلك بدون تبجح وبمساعدة اربعة امناء ومساعدين فقط

المجلة الشهرية الجديدة ـ اول ت ١٨٢٤

لم يكن جمهور عام ١٧٨٠ إلا جمعا من العاطلين عن العمل

اما اليوم فإنه لا يوجد فقط عشرون من هؤلاء في كل مجتمع باريس لكنه بالاضافة لذلك وبفضل الأحزاب التي يشتد ساعدها منذ اربعة اعوام أصبحنا على عتبة ان نصبح متحمسين هائمين : وهذا التغير سيبت في القضية

« حياة روسيني » الفصل السابع عشر .

لا تكون الأمة سعيدة إلا عندما لا تخفي في صدرها من اهتمامات متناقضة الا تلك التي لا بد منها لقيام الدستور ولا تصبح مستنيرة إلا عندما يتعلم ملايين الأشخاص العاديين حسب قواعد أريبه ولا تعلـو الى مرتبة الحرية الا بحزم خلقها وتقوم هذه الأنوار كلها باكسابها ذلك. وإن ايطاليا أقرب إلى الحرية لأنها أقل غفلة عن المكر وهي تعتقد بأن كل رجال السلطة ماكرون خبثاء وتقول لهم : برهنوا العكس . وهي تتجـه الى حيث تحاول اكتساب الأنوار ولذلك كان لا بد من معاناة الحقيقة . ومنذ عام ١٦٠٠ يمكننا ان نقلص عدد الكتب المطبوعة الى عشرة في هذا البلد الجميل التعيس .

« روما نابولي ـ فلورنسا » الملحق
١٨ تموز ١٨١٧ ـ بحيرة دكوم

في ١٥ أيار ١٧٩٦ لاحظ شعب بأكمله بأن كل ما احترمه حتى ذلك الحين لم يكن الا سخيفا وشنيعا . وقد حدد ذهـاب

آخر كتيبة نمساوية سقوط الأفكار القديمة واصبح عرض الحياة مودة . فلكي تكون سعيدا بعد عصور من الرياء والمشاعر المسئمة كان لا بد من حب اشياء بعاطفة حقيقية وان تنتهز الفرصة لعرض حياتنا . وقد انغمس اللومبـار ديون في ليل طويل عندما تابعوا الاستبداد المقيت « لشارل كنت » و « فيليب الثاني » فقبلوا تماثيلهم ووجدوا أنفسهم غارقين في النور.

فمنذ خمسين عاما وكلما انبثقت في فرنسا الموسوعة وفولتير كان الرهبان يصرخون في شعب ميلانو الطيب بأن تعلم القراءة او اي شيء في العالم هو جهد لا فائدة منه وانناعندما ندفع صدقاتنا الى الكنيسة ونعترف بخطايانا كلها فعندما نكون تقريبا متأكدين بحجز مكان جيد في الجنة . وحتى يكتمل إخماد جذوة هذا الشعب الذي كان هائلا باعت النمسا له وبثمن بخس فأعطته ميزة بألا يتجهز بأي متطوعين جدد .

في عام ١٧٩٦ كان الجيش الميلانوي من اربعة وعشرين تافها يرتدون اللباس الأحمر ويقومون بحراسة المدينة الموسيقية مع اربعة كتائب هنغارية عظيمة . وكان الفسق على اشده والعواطف نادرة .

بالإضافة إلى المضايقات بأن يحكي كل شي للخوارنة لم يكن الميلانويون ليعرفوا ما يرغبون بعنف . وكان شعب ميلانو

الطيب خاضعا لعقبات ملكية صغيرة تجبر الانسان على ان يكون نكرا . فمثلا كان الأرشيدوق الذي كان يقيم في ميلانو ويحكم باسم الامبراطور ابن عمه . هذا الحاكم لديه حب الربح فاستغل تجارة القمح فمنع الفلاحين ان يبيعوا حبوبهم حتى يملأ فخامته كافة مخازنه .

وفي نفس اليوم أعلنت ضريبة المساهمة في الحرب بمقدار ستة ملايين لنفقات الجيش الفرنسي الذي كان قد ربح ستة معارك واجتاح عشرين مقاطعة فأصبح في عجز بالأحذية والسراويل والملابس والقبعات .

ومهما كانت السعادة والمتعة اللتين حدثتا في لومبارديا مع هؤلاء الفرنسيين الفقراء وشعر بقسوة هذه الفريضة الكهنة والنبلاء ولكنها تواصلت بضرائب اخرى . وكان الجنود الفرنسيون يضحكون ويغنون طوال النهار فكانوا شبابا لم يبلغوا الخامسة والعشرين وكان رئيسهم العميد في السابعة والعشرين ويبدو اكبرهم عمرا في جيشه وكان المرح والطيش والشباب يتجاوبون جميعا مع التنبوءات الغاضبة للرهبان الذين كانوا منذ ستة اشهر يعلنون من منابرهم المقدسة بأن الفرنسيين وحوش ومضطرون خوفا من الحكم بالاعدام بأن يحرقوا كل شيء وان

يقطعوا رأس كل الناس ولهذا السبب كانت كل كتيبة تمشي والمقصلة في مقدمتها .

المنزل الريفي في بارم الجزء الأول ـ الفصل الأول .

الجمهورية والأداب

كان بلاط لويس الرابع عشر يمارس بشغف بصيرة الممالق . فكان لا بد من التنبوء عند كل صباح إن كانت الخطوة لا تزال باقية في عين السيد ام انها انخفضت . وبما أن كل حركة كانت لا بد حاسمة فإن كل تلميح لا بد من مراقبته .

وعلى العكس قامت الجمهورية ببعث فن النقاش والهجمات الجادة وفصاحة المجلس اللازمة لتحريك الجماهير . وبقي مكر الوزراء على حاله ولقد كان من الصعب ان تجعل ذلك ملموسا من قبل الشعب وان تجعله يغتاظ من ذلك . ولا بد من الصبر والحس السليم حتى نميز الاستعمال المضاعف من خلال دياجير الميزانية . وكان لا بد من اللطف وحرية النفس والذوق الناعم الخاضعين لكل تلميح وكانت البصيرة لازمة في المستبد الضجر أو الذي له ذوق متقلب لأنه كان خلال خمسين عاماً ممدوحاً من قبل كل رجالات أوروبا المحبوبين. وكان الممالق الذي يذهب

كل صباح ليقرأ حظه في عيني مليكه ثم ليعود بدوره فيفعل ذلك مع من كانوا يتملقونه فيتواصل معهم بنفس العادات من الالتحام. وقد أصبحت هذه العادة عامة منذ ذلك الحين عند كل الفرنسيين.

« راسين وشكسبير » الفصل الثاني عشر

في المدن الكبرى وللضرورة السياسية تولد الضرورة البائسة للشعوذة وهي الدين الواحد والوحيد للقرن التاسع عشر.

نعم وأسفاه إنها ضرورية ولا بد انكم تحبون ان تكون رؤوسكم مرفوعة وان تظهروا في الشارع بربطة عنق قائمة بوضوح وعند ذلك يتهمك الناس بالوقاحة.

ومن المستحيل ان نجتث هذه الحقيقة ولكن من الناحية السياسية ليست لحريتنا ضمانة الا الصحفية. وبصورة آلية قد تقتل الآداب والفنون. وهكذا نسقط في وهدة الفظاظة وإنني لأرى ثلاثة او اربعة اسباب لذلك. فهل ستدق أعناقنا؟

مذكرات سائح ـ الاحسان ١٣ نيسان ١٨٣٧

لواقع الأسلوب وكما في كل شيء لا يمكننا ان نوافق إلا على الطريق الذي نسلكه لأننا لو اعتقدنا بخطئه لاتبعنا طريقا اخرى. فإذا حكمنا في هذا المنحى فإننا نعطي شهادة بالمماثلة وليس اكثر. وانا مليء بالحذر ومع ذلك يبدو لي ان هنالك

اسلوب العشرة الطيبة والتي هي تقريبا مثل رسائل فولتير وهنالك اسلوب الديمقراطية وهو الذي يريد ان يترك اثرا على البقالين الذين اصبحوا من اصحاب الملايين . وهذا الأسلوب وليس غيره كان ليجلب انتباه ما يسمى بالبقالين.

فإذا كان ذلك صحيحا فلا بد من سؤال آخر هل يمكننا ان نكتب لطبقتين ، الناس الحقيقيين والبقالين الأثرياء؟ انا لا اعتقد ذلك . ولذلك فإن الرواية منذ الآن لا يمكنها ان تسلي إلا جمهور القراء .

مراسلة الى السيد ارنولد فريجي
باريس ٢٦ ت[١] ١٨٣٦

انه من الصعب ان تكون ديمقراطيا في عام ١٨٣٠

رغم آرائي الجمهورية العميقة والكاملة يجب ان اعترف بأن اهلي قد اكسبوني تماما اذواقهم الارستقراطية المتحفظة . وبقي هذا العيب ملازما لي ومنعني مثلاً منذ عشرة ايام ان اجمع ثروة كبرى . فأنا امقت الأوغاد (من حيث اجراء اتصال معهم) اما عندما يسمون بالشعب فإنني أرغب بسعادتهم بعنف وإنني لأعتقد بإنه لا يمكن تامين ذلك إلا إذا وجهنا اليه الأسئلة عن هذا الموضوع المهم اي ان ندعوه ان يعين نوابه .

وينطلق اصدقائي أو بالحري أصدقائي المزعـومين حتى

يشككوا بلبراليتي الصادقة وأنا بطبعي أخشى القذارة والشعب بنظري دائم القذارة. وهنالك استثناء لروما حيث القذارة مغطاة بالجمال.

حياة هنري برلارد الفصل السادس عشر .

لو كذبت اقل كذبة متعتي فلا استطيع الكتابة بعدها ابدا يا للخسارة !

وهل سينسحق مرحنا الطائش والمتهور وروحنا الفرنسية وهل ستنعدم نتيجة حاجتنا لتملق الحرفيين الأفظاظ المتعصبين كما هي الحال في فيلادلفيا ؟

وهل ستحصل الديمقراطية على هذا النصر وتتغلب على الطبيعي ؟ ولا يكون متفوقا على العشرة الطيبة إلا اثناء الحركات الكبرى للنفس وعندها يكون قادرا على العواطف العميقة . وكثيرا ما نرى الأشخاص من المتربين تربية عالية يشعرون بفخر كرامتهم عندما يتمثلون «بروبير ماكير»(*) ونراهم يقولون ماذا بقي لرجالات الثورة العظام الذين لم يعرفوا كيف يجمعون الثروة؟

مذكرات سائح - فونتينبلو ١٠ نيسان ١٨٣٧

(*) شخصية روائية تمثل اللص المدعي. أو رجل الأعمال النصاب.

يجب الا نمدح احدا حتى الشعب

مشاوير في روما ـ ٢٠ ت٢ ١٨٢٨

فيما يخصني فإنني أرغب أن تتمتع العامة بالسعادة. فالسعادة كالحرارة ترتفع من الأسفل إلى الأعلى ومهما كان السبب الداعي فإنني لا أرغب بمعاشرة عامة الشعب وكيف بالحري تملقه.

« الكوميديا مستحيلة » ـ ملاحظات

لقد تخلص روازند من الأمير الذي كان مزعجا حقا مثله ككل الكاربوناري فكانوا رجالا عاطفيين وخياليين

موقف اجتماعي ـ ١٨٣٢

منذ وصوله الى نانسي كانت مشاعر لوسيان مقطبة فاهتم بتلك الرسالة الشعرية الجمهورية لأنه لم يجد أفضل من ذلك: «يجب أن نبحر كلنا مع بعض إلى أمريكا. هل سأبحر معهم؟» وأخذ لوسيان يتنزه مع هذا السؤال وفي جو مشجون.

« كلا . هكذا قال لنفسه اخيرا . ولماذا التبجح ؟ إن ذلك من الحماقة وليست لدي بسالة نادرة حتى افكر مثل فندكس* . فسأضجر في امريكا في وسط اناس صادقين

(*) فندكس ـ جنرال روماني حاول مقاومة نيرون ففشل وانتحر.

ومعقولين وإن كانوا افظاظا لا يحلمون الا بالـدولارات . فسيحدثونني عن ابقارهم العشرة التي ستلد عشرة عجول في الربيع التالي وانا احب ان اتحدث عن فصاحة « السيد دلامني » او موهبة « السيدة ماليبران » ومقارنتها مع موهبة « السيدة باستا » . فلا استطيع العيش مع اناس عاجزين عن الأفكار الرقيقة مهما كانت درجة سموها . وإنني سأفضل دائما العادات الرشيقة لبلاط فاسد . وإن جورج واشنطن ليضجرني حتى الموت ولذلك فإنني أفضل العيش عند السيد «دبتاليران». فإذن ليس شعور التقدير هو كل شيء بالنسبة لي . إنني بحاجة ماسة لمتع تكسبني إياها مدنية قديمة .

لكن كحيوان قادر على تحمل الحكومات الفاسدة الناتجة من هذه المدنية العتيقة وليس إلا الولد والأحمق الذي يرضى بأن يحتفظ بمشاعر متعارضة . كما ان لدي خشية بالغة من ذلك الحس السليم والمضجر الموجود لدى الأمريكيين وتثيرني الى حد بعيد اقاصيص حياة الجنرال الفتي بونابرت المنتصر على « جسر اراكول » كما ان « هوميروس » و « لتـاس » هما افضل ايضا بمائة مرة .

وتبدو لي الأخلاقية الأمريكية شعبية حقيرة وعندما أقرأ اعمال رجالهم المميزين فإنني لا أشعر إلا برغبة واحدة تلك الا

اصادفهم ابدا في هذا العالم . ويبدو لي هذا البلد النموذجي وكأنه انتصار للكفاف الأحمق والأناني ويجب أن نتملقه خوفاً من الفناء. وإنني لو كنت فلاحاً وكان لدي أربعمائية دينار وخمسة أبناء لكنت اشتريت ثم زرعت مائتي فدان في ضواحي «سنسناتي»(*). لكن ما هي العلاقات المشتركة بيني وبين مثل ذلك الفلاح؟ فهل عرفت يوماً كيف أكسب ثمن سيجار؟ .

ولا يتمتع هؤلاء الملازمون الثانون بعزف « السيدة باستا » ولا يتذوقون حديث « السيد دتاليرار » لكن لديهم رغبة خالصة بالحصول على رتبة النقيب وهم يتصورون أن كل السعادة فيها .

وبالواقع فلو كان الأمر يتعلق بخدمة الوطن فإنهم سيستحقون هذه الرتب اكثر بمائة مرة ممن يحتلونها اليوم واكتسبوها كما فعلت انا وهم يعتقدون ان الجمهورية ستجعل منهم نقباء وهم يعتقدون انهم قادرون على تبرير هذه الترقية بأعمال عظيمة . فهل ارغب انا نفسي بالحصول على هذه الرتبة ؟ بالحقيقة كلا .

إذن فلست جمهوريا وإنني قرف من وضاعة « مالر » و « الماركينيون » فمن انا اذن ؟ فلست شيئا عظيما كما يبدو لي . وها هو « دفلروا » يعرف كيف يصرخ بي قائلا : إنك لا شك

(*) احدى ولايات الولايات المتحدة الأمريكية

رجل سعيد لأن اباك اعطاك رسالة توصيه الى الجابي الرئيسي في محافظة « المرثر » .

وحقيقة إنني من الناحية المادية في مرتبة اعلى من بقية خدمي . وإنني أتالم حقا منذ اصبحت اكسب تسعين فرنك بالشهر .

لكن ما الذي له قيمة في هذا العالم الذي لاقيته ؟ الرجل الذي جمع الملايين او ذلك الذي اشترى دارا صحفية فتوجته لمدة ثمان او عشر سنين (كما هو حال السيد د . شاتوبريان) .

وعندما نمتلك الثروة افلا تكون السعادة القصوى ان نبدو اذكياء عند النساء النبيهات ؟ هكذا يجب ان نغازل النساء وأنا الذي احتقر الحب وخاصة وانا ولهان .

اولم يبدأ السيد تاليران مهنته عندما عرف كيف يقارع بكلمة سعيدة التكبر المتعجرف للدوقة د. جرامونت؟

ولا أرى شيئاً له قيمة في هذا العالم إلا لهؤلاء الجمهوريين المساكين المهاجمين بجنون . ولقد اصابت الشعوذة كل القيم التي اعرفها وقد يكون مساكيني هؤلاء مجانيـن لكنهم ليسوا وضيعين» .

ولم تستطع محاكمة لوسيان تجاوز هذه النتيجة .

وقال له رجل حكيم : عندما تتقدم بك العمر سترى الأشياء بمنظار آخر . واكتف الآن بما تفعله العامة بألا تضر أحدا بخبث . والحقيقة انك لم تر إلا قليلا من الحياة حتى تحكم على هذه المسائل العظيمة . انتظر وارتو. ».

وقد كانت هذه النصيحة الحكيمة تنقص لوسيان فعلا ولولاها لضاع في اللجة .

« لوسيان لودين» الفصل السادس .

إن الحكومة الجمهورية التي تركت جمعا من الحقوق للمواطنين مضطرة كي تفرض عليهم مجموعة من الواجبات التي لا بد ان تزعجني . وحتى لا نقع في خيبة الأمل يجب ان نفهم جيدا بأن حقوق الجمهورية لا يمكن ان توجد إلا بعد قيود للحرية الفردية . ففي الولايات المتحدة الأمريكية يقوم المواطن بتسمية الرئيس وقائد الشرطة وكناس الشارع الذي يقيم فيه لكنه إذا مشي مسرعا يوم الاحد فإنه يفقد سمعته .

فالمفروض ان يمشي ذلك اليوم حتى يتمتع بالنزهة لا لكي يذهب للمعبد وبكلمة واحدة يجب قبل كل شيء ألا يسيء الى اي عامل في اي دكان من الشارع الذي يقطن فيه .

« مذكرات سائح » مارسيليا في ١٨٣٧

« عندما تكون السلطة بيد البرجوازية »

بينما تبدو الطبقات الرفيعة من المجتمع الباريسي وقـد أضاعت خاصية الشعور القوي والثبات نرى العواطف وقد تأججت في البرجوازية الصغيرة بين هؤلاء الفتية مثل السيد لافارج ، الذين تلقوا تربية جيدة ولكنهم لا يمتلكون المال ولذلك اضطروا للعمل وللصراع في سبيل حاجاتهم الحقيقية .

اما وقد انتقص منهم الف داع مفروض عليهم بالعشرة الطيبة وبسبب حاجتهم للعمل وطرقها لرؤ ية الأشياء والشعور بها وذلك ما يذبل الحياة فإنهم مع ذلك يحتفظون بقوة الإرادة لأنهم يحسون بقوة .

ولربما ستنتج هذه الطبقة التي ينتمي اليها « السيد لافارج » كل الرجال العظام . وقد جمع نابوليون في الماضي نفس الظروف : التربية الجيدة والمخيلة الملتهبة والفقر والمدقع .

« مشاوير في روما » . ٢٣ ت[٢] ١٨٢٨

كان رفقائي في الرحلة برجوازيين اثرياء او بالحري مغتنين ولم اكن قد وجدت في رفقة سيئة كهذه . فكانت مخيلتي سعيدة فجروها الى الوحل . وكم من مرة اسفت على عدم وجود عربتي ولم اكن قد رأيت الجنس البشري على هذا الشكل البشع

ابدا : فقد كان هؤلاء الأشخاص يفخرون بوضاعتهم فكانوا مثل خنزير يتشلشل في الوحل . فهل يتوجب علينا كي نصبح نوابا ان نتملق مثل اولئك ؟ او هؤلاء هم ملوك امريكا ؟

وحتى استنتج بعض الوقائع وأقلل من قرفي حاولت أن أتكلم في السياسة فأخذوا يمدحون الحرية بشكل اثار تقززي عندما أظهروها بحيث يمكنهم ان يجعلوا جيرانهم يفعلون ما لا يرغبون به . فقد كان بينهم في هذا النطاق نقاش يتصف بوضاعة لا تضاهى . حتى أنني أخشى من اعادة شرحه فيثير ذلك قرفي مرة أخرى.

ولكم كانت شيقة متعة الطريق لو كان لدي خمسة ملكيين بدلاً منهم ولم تكن مبادئهم لتبدو أكثر سخفاً أو عداوة للسعادة المشتركة ولما كنت جرحت في كل لحظة ولتذوقت روحي متع المحادثة المهذبة ها هو الشعب الذي أسعى لسعادته بكل ما أوتيت من قوة.

مذكرات سائح سان مالو في . .

في ايامنا هذه وفيها عدا انكلترا كيف يمكن ان ينال المغضوب عليهم من الحكومة العفو؟

« مشاوير في روما » ـ ٢٠ ت[1] ٨٢٨

بينما كان الرئيس يسوي ملخصه بلغ الليل منتصفه فاضط

الى الانقطاع عن العمل وملأ جرس الساعة القاعة برنينه في وسط القلق الشامل .

وفكر جوليان قائلا ها هو يبدأ آخر ايامي وشعر نفسه ملتهبا بفكرة الواجب وكان قد سيطر حتى ذلك الحين على حنانه ووفى بعهده بألا يتكلم ابدا . لكن عندما طلب منه رئيس محكمة الجنايات فيما إذا كان لديه ما يضيفه عند ذلك نهض . وكان يرى امامه عيني « السيدة درفيل» اللتان ظهرتا له لامعتين في الأنوار فقال في نفسه : صدفة هل ستبكي ؟

« سادتي القضاة

إن خوفي من الاحتقار الذي كنت اعتقد بنفسي قادرا على مجابهته هو الذي دفعني الى الكلام . سادتي ليس لي الشرف ابدا ان انتسب لطبقتكم فأنتم ترون فيّ فلاحا ثار على وضاعة ثروته وحظه .

إنني لا اطلب الرأفة منكم ـ قال ذلك وهو موطد صوته . ثم إنني لن اخدع نفسي فالموت بانتظاري : وسيكون عادلا . لقد اعتديت على حياة امرأة جديرة بكل الاحترام والولاء . لقد كانت « السيدة درينال » أما بالنسبة لي . فجريمتي بشعة ومسبقة التصميم . وانا استحق الموت يا سادتي القضاة لكنني وانا شاعر بالذنب لأرى رجالا لا يتوقفون على فترة شبابي الذي يستحق

الرحمة وهم يريدون بمعاقبتي ان يثبطوا طبقة الشباب الذين ولدوا في طبقة دنيا وقد سحقهم الفقر لكنهم حصلوا على تربية جيدة وكذلك الجرأة على ان يختلطوا بما يسمى اهل المجتمع بسبب غرور الأشخاص الأثرياء .

تلك هي جريمتي يا سادة وستعاقب بصرامة لا تتناسب بالواقع فيما لو كنت قد حوكمت من قبل اندادي . وإنني لا ارى في شرفات المحلفين اي فلاح مغتني لكنهم جميعا برجوازيون ناقمون »

وتكلم جوليان مدة عشرين دقيقة بهذه النبرة وقال كل ما في نفسه وكان المحامي العام الذي يطمح في عطف الارستقراطية يقفز على مقعده طوال الوقت لكن رغم الأسلوب المطلق الذي اكسبه جوليان للمناقشة ومذ ذلك انغمست النساء في البكاء . حتى السيدة درفيل وضعت منديلها على عينيها . وعاد جوليان قبل ان ينتهي من خطابه الى التأمل والندم والاحترام والوله البنوي بدون حدود الذي كان يتبعه حيال « السيدة درينال » في الأيام السعيدة . . . وقد صرخت مدام درفيل واغمي عليها . . . .

« الأحمر والأسود » الجزء الثاني الفصل الواحد والخمسون .

فبسبب شغفي بالوضوح ونبرة الحديث المفهومة والتي لا شك

ترسم جيدا وتتابع عن قرب ومضات الشعور فإنني اتبعت اسلوبا مضادا للأسلوب المنتفخ للروايات الحالية وذلك يتفق تماما مع :

١ ـ جهل تفاصيل الفؤاد الانساني الذي يُميز معظم المؤلفين اما الأسلوب الشائع فقد ابتكر من قبل الفقراء بالفكر .

٢ ـ ولحب الأسلوب « النبيل » والذي يبدو طبيعيا عند المغتنين الأدنياء مثل [السادة (د . كاتينا ولافيت وربي)] وارباب العائلات والصناع والتجار الخ فهل سأحاول التقرب من هذا التورم والتعجرف فأبذر هنا وهناك جملاً « نبيلة » ؟ كلا : بل سأصلح هنات اسلوبي الطبيعي .

هامشية على المنزل الريفي في بارم ـ سيفيتافيتشيا .
٤ ت٢ ١٨٤٠

لا يمكن لعصر الميزانيات والحرية ان يكون عصر الفنون الجميلة . فسكة حديد او مأوى للشحاذين لها قيمة اكبر بمائة مرة من كنيسة القديس بولص والحقيقة ان هـذه الأشياء المفيدة لا توحي بالجمال ولذلك استنتجت بأن الحرية عدوة للفنون الجميلة . فليس لدى مواطن نيويورك الوقت للشعور بالجمال رغم انه يدعي ذلك . او ليس كل ادعاء سببا في الغضب والتعاسة ؟ فإذا حل عمل شاق ومضن محل عمل فني فإن ذلك

لن يمنع الحرية ان تكون اكبر قيمة من كل كنائس العالم الجميلة . علما بأنني لا أريد ان امدح احدا .

« مشاوير في روما » ٤ تموز ١٨٢٨

عندما اعطت الثورة عام ١٧٨٩ ـ ١٨٣٥ فكرة الذهاب الى المسرح والمال اللازم للإنفاق على بابه لعدد كبير من الفرنسيين فيتمتعوا بالأشياء الحساسة كل ذلك اوجد النوع الفظ والمبالغ للسادة فكتور هوجو « وآلكس » و « دوماس » الخ .

إن المؤلف الهزلي مثله كمواطن نيويورك إذ يتوجب عليه ان يعد الأصوات لا ان يزنها ولقد تغيرت الأغلبية التي تحكم على التمثيليات وكان هذا التغيـر نحو الأسوأ وبسبب الثورة التي اكسبت الحس السليم لفرنسا .

وربما كان ذلك الأثر السيء الوحيد للثورة . ولقد كان مجتمع « السيدة د سيفيني » يحبذ الحماقات التي كان يقولها «لابروير» عن الحكومة والدين لكن اي قاض عظيم لمشهد من نوع مدام درينال مع زوجها

وكان مجتمع « مدام د . دفان » اكثر ذبولا من مجتمع « مدام د سيفيني » واقل اعتيادا على الأشياء العظيمة واكثر خضوعا الى الطريقة السائدة « المودة) وأخيراً أي حكم إذا قارناه بالفظاظة

الحالية لمجتمع المشاهدين الذين يدفعون مائتي الف فرنك للسيد . . .

لذلك كانت الكوميديا مستحيلة منذ الثورة لأن هنالك تضارب في الوقائع ولا بد ان نُمتع في نفس الوقت :

١ ـ الفنانين الذين لديهم مهارة في المشاهد الدقيقة كما يرسمها « السيد دكوستين » في مسرحية « العالم كما هو » (والتي لم اقرأها) .

٢ ـ البورجوازيين الذين هم سبب نجاح السادة « فكتور هوجو » و « انسلو » و « الكس » و « دوماس »
« الكوميديا مستحيلة » ملاحظات .

ـ واخيرا لا تختلط مع هؤلاء الأشخاص . هكذا قالت مدام درينال وهي متخذة ذلك الطابع الجليدي والذي تبع فجأة اكثر التعابير حنانا وحيوية .

وكان تقطيب الحاجبين او بالحري تأنيب تهوره كان ذلك هو التأنيب الأول الذي انصب على الوهم الذي احاط بجوليان فقال في نفسه : إنها طيبة وعذبة وميلها شديد نحوي وقد نشأت في المعسكر المعادي .

ولا بد انهم يخشون هذه الطبقة من رجال الفؤاد الذين بعد

أن تلقوا تربية جيدة لم يجدوا الثروة الكافية حتى يتخذوا مهنة ما .

ما الذي سيحل بهؤلاء النبلاء ؟ لو كانت لدينا وسائل العراك المماثلة . فأنا مثلا كمحافظ لـ « فريير » حسن النية وشريف مثل «السيد د. رينال» كيف سأنتزع منصب الوكيل الذي يحتله السيد فالنو مع كل وسائله للنصب وكيف ستنتصر العدالة في « فريير » . ولن تشكل مواهبهم عقبة في سبيلي ولا بد انهم سيحاولون ذلك بلا انقطاع ,

وفي ذلك اليوم بدت سعادة جوليان اقرب ما تكون الى الدوام لكن نقص بطلنا ان يجرؤ فيكون صادقا . فقد كان لا بد من الشجاعة لشن المعركة فوراً ولقد انشدهت«السيدة د. رنيال» من كلمة جوليان لأن رجال مجتمعها كانوا يرددون باستمرار بأن عودة روبسبيير محتملة بسبب هؤلاء الشباب من الطبقات المتواضعة والذين انشئوا تنشئة حسنة . وقد ساد الطابع البارد الخاص بمدام درينال على الجو مدة لا بأس بها واثر ذلك على جوليان . ذلك ان خوفه من ان يسبب لها شيئا مقيتا تبع قرفه من المناسبة السيئة . وكانت هذه التعاسة تنعكس على ملامحه الصافية والساذجة عندما تكون السيدة د. رنيال سعيدة وبعيدة عن الناس المضجرين.

« الاسود والأحمر » الجزء الأول الفصل السابع عشر

الارستقراطية مدانة .

لا تستطيع مجموعة من الحراب والمقاصل ان توقف فكرة كما لا تستطيع مجموعة من الدنانير ان تمنع السكتة القلبية .

رسالة الى بارون دمارست . الى باريس
ميلانو في ٢١ ك[1] ١٨١٩

مهما قال « النبيل » فإنه لا يستطيع ان يكون ليبراليا فهنالك حرب ضروس ضد الامتيازات وهل يمكننا ان نتوقع من اكثر الافئدة برودا او من اي بشر كان ان يتصرف ضد مصالحه .

هامشية على « روما ـ نابولي وفلورنسا » ١٨١٨

حتى وان لم يكن النبلاء يمسكون بزمام الحكومة التي هم بها كثيرو الجهل والكسل ومع ذلك يمكن أن نقول بأن لديهم ممارسة السلطة لأن تنفيذها بكليته بين أيديهم (ما عدا المحاكم) .

مجلة لندن ـ اول شباط ١٨٢٥

إن الارستقراطية بلا حمية وبلا امانة على وعودها ومليئة بالأخطاء التي تسميها نعومة كما في عام ١٧٩١ .

إن اخاك مثل لويس السادس عشر وللأسف فيما عدا

اصدقائنا إن الـوزراء ضعفاء ! ويكرهون الحقيقة والنشاط .

وكيف تريد من مائتي الف جوليان سوريل(*) يقطنون في فرنسا ويتخذون مثلا من طبل « الدوق دبلون » ومن « الملازم اوجرنو » ومن رجال الدين الجباه الذين اصبحوا شيوخا (في المجلس) وامراء في الامبراطورية كيف لا تريد منهم ان يقبلوا الحمقى ذوي الألقاب ؟ فليس لدى اصحاب المبادىء فضيلة الجيرونديين وقد قرأ كل هؤلاء الـ « جوليان سوريل » كتاب السيد « دتراسي » حول مونتسكيو ! فها هما نقطتا خلاف كبيرتان . وقد يكون الإرهاب اقل دموية لكن هل تتذكر ٣ ايلول ؟ عندما تقدم الشعب نحو عدوه فلم يرغب ان يترك وراءه رجال دين ليخنقوا نساءه .

إنها موجة رعب لا بد ان نخشاها عشية بدء الحرب وتتشابه حركات الشطرنج في حوادثها العامة لأن دوري الملكة والبرج متشابهان في إمكانياتها .

رسالة الى بارون دمارست الى باريس
تريستا في ١٧ آذار ١٨٣١

لقد اعلن في يوم ما عن شنق ثمانيـة مساكين . وبنظري

(*) شخصية روائية لستندال في رواية الأسود والأحمر.

يشنق سارق او قاتل في انكلترا فإن الارستقراطية تقدم قربانا لسلامتها لأنها هي التي جعلته اثيما مجرما . وقد تبـدو هذه الحقيقة متضاربة اليوم لكنها قد تكون غدا متفق عليها عندما تقرأ ثرثرتي .

ذكريات نرجسية ـ الفصـل الحـادي عشر .

في وسط اقطاعيين كبار ومتآمرين معظمهـم من ذوي العاهات لكنهم يتمتعون جميعا بالنباهة وفي صالون « السيد دلامول » (المرشح للوزارة) كلهم اخذوا يتناولون بالتتالي موضوع الصغير « تانبو » الذي لم يكد يبدأ . ولم تكن لديه دقة المحنكين فاستعاض عنها بحيوية كلماته كما سنرى:

ـ لماذا لا نحكم على هذا الرجل بعشر سنين من السجن ؟ قال ذلك عندما كان جوليان يقترب من جماعته . ففي حفرة عميقة يجب ان ندفن الزواحف ويجب أن نميتهم في الظلام وإلا فإن سمهم سينشط ويصبح أكبر خطراً .

وما هي الفائدة ان نغرمه ألف دينار ؟ إنه فقير . فليكن وذلك افضل . لكن حزبه سيدفع عنه ولذا لا بد من خمسمائة فرنك وعشر سنين من السجن العميق .

يا الهي عن اي وحش يتحدثون ؟ هكذا فكر جوليان وهو يتعجب من النبرة الممتدة والحركات المتتالية لزميله . وعند ذلك

كان وجه النسيب المفضل لدى الأكاديمي صغيرا شاحبا مشدودا فاصطبغ بالشناعة . وعند ذلك علم جوليان ان الموضوع متعلق بأكبر شاعر في العصر .

ـ آه . وحش . هتف جوليان بصوت خفيض وكرت دموع غزيرة وابتلت عيونه . ثم فكر في نفسه وقال سأحفظ لك هذه ايها الحقير .

ومع ذلك هؤلاء هم الأبناء الضائعين للحزب الذي يترأسه المركيز مع آخرين . اما هذا الرجل الشهيرالذي يستغيبونه فكم جمع من الصلبان ومن الوظائف العاطلة لو باع نفسه ليس إلى الوزير « دنرفال » بل لأولئك الوزراء الذين لا بأس بشرفهم والذين رأيناهم يتوالون على هذه المناصب ؟

« الأحمر والأسود » الجزء الثاني الفصل الرابع

(الحديث عن الكاتب والترسكوت) اية خسارة اصابتنا إذ لم يتحدث ويرسم المؤلف إيطاليا الجميلة في القرون الوسطى فلكان وجد عندها الخطوات الأولى للانسانية نحو الحرية . فبدلا من البطولة الأنانية للإقطاعية الحمقى كان لا بد ان يجد بين يديه الرسم الذي قدمته الروح الانسانية عندها الى سعادة الجميع .

لقد كانت الأفكار عندها متغيرة غامضة لكن كانت النفوس

(١٤٠٠) ذات حمية ولم يحدث ذلك للأفكار مرة أخرى .

رسالة الى سيروالتر سكون . في ادمبروغ
الابوريتا ـ ١٨ شباط ١٨٢١

« لم تنعطب العاطفة هنا بأي شيء كريه . اية ندرة . لا بل اية سعادة لي بأن ارى دوقة موهلة »

لقد ايقظه هذا التجمع من الكلمات بشعبيته .

« لكن هل تحدثت دوقة مرة دون ان يكون لها هدف سري يتعلق بكرامتها ؟ وان تتحدث لرجل من الحزب المعادي كما هو حالي ولرجل قد يسبب السخرية في مناسبة غير مرضية . لا بد أنني اعتبرت مغفلاً » هكذا قال روازند لنفسه وتغيرت تعابير وجهه بشكل ظاهر واصطبغت ملامحه بالاهتمام العميق وببداية من الرأفة الحنونة .

« او لم يكن رجل من ضاحية سان جرمان ليؤخذ ميتها . لا بد أنني وقعت في لحظة من الغفلة التامة » .

ومن ثم عاد الى سكونه واخذ يسخر من الحظات انفعاله .

« فلنر قليلا فيها إذا كنت استطيع ان أجعلها تقول اكثر مما

تريد » وعندها أخذ يحاول ان يوجه مخيلة الدوقة بأنصاف كلمات ماهرة .

موقف اجتماعي - ١٨٣٢

وطرأت لديه فكرة ان يعبر عن مشاعره الحقيقية بكلمات يُوجهها ظاهريا الى السيدات الجالسات على مقربة منه . ولذلك كان لا بد من كثير من الكلام . وقد نجح دون ان يقـوم بكثير من الشطط . وسيطر بسرعة على الحوار ولقد امتع فعلا السيدات القائمات على جانبي «السيدة ستاستللر» وتجرأ فقال من بعيد اشياء يمكن ان تكون لها تطبيقات غاية في النعومة وذلك ما لم يكن يفكر به قبل ذلك . والصحيح ان السيدة ستاستللر بإمكانها أن تتظاهر بعدم فهم هذه الكلمات غير المباشرة وقد توصل لوسيان حتى الى تسلية الرجال القائمين على مقربة من تلك السيدات والذين لم يكونوا ينظرون اليه نظرة حسد بعد .

وكان الجميع يتكلمون لكن الضحك كان يظهر واضحا على مقربة من الطاولة التي كانت تجلس عليها السيدة «ستاستللر» وسكت الأشخاص على الطاولات الأخرى حتى يحاولوا فهم ما يجري على الطاولة الضاحكة وكانت السيدة ستاستللر مشغولة جدا بما تسمعه والذي كان يضحكها احيانا وكانت ارتكاساتها

شديدة الجدية وتتناقض تماما مع الجو المرح لتلك السهرة .
« ذلك هو اذن الرجل الوجل الذي كنت أظنه بلا فكر ؟ اي كائن مفزع . »

لربما كانت تلك هي المرة الأولى في حياته فبدا جوليان نبيها متألقا . وعندما انتهى العشاء رأى ان النجاح قد فاق احلامه . فكان سعيدا وغاية في الحيوية ومع ذلك ولحسن الحظ لم يقل شيئا غير ملائم . وبين هؤلاء اللورينيون الفخورون كان يجد نفسه مع عدة احكام مسبقة قاسية بينما نحن في باريس لا نجد منها الا الصورة الباهتةوهي : هنري الرابع ، النبلاء ، الغش والحماقة إجرام البشرية نحو الشعب الضعيف . ولم تستطع واحدة من هذه الحقائق الكبرى اسس الايمان في ضاحية سان جرمان ان تنال بخدش من مرح لوسيان .

ذبك لأن اعماق نفسه النبيلة فيها احترام لا متناه للواقع التعيس لهؤلاء الفتية المساكين الذين يحيطون به . فسابقا ولمدة أربع سنين وبسبب امانتهم لمعتقداتهم السياسية ولمشاعر حياتهم كلها وعلى حساب قوتهم . ولقد اضاعوا اكثر من ذلك ايضا : العمل الوحيد في العالم الذي كان قادرا على انقاذهم من الضجر ولم يكونوا ليعتقدوا بأنهم سينقضونه .

ولقد قررت النسوة بأن لوسيان كامل الجودة . وكانت

السيدة « كومرسي » هي التي لفظت الكلمة السرية المقدسة في الجزء من الصالة الخاص بأرقى النبلاء . ولقد كانت هنالك فئة صغيرة من سبع أو ثماني سيدات تحتقر ذلك المجتمع كما تحتقر كل البلدة فمثلها مثل حرس نابوليون الامبراطوري كان يثير الفزع عند الثورة في جيش عام ١٨١٠ والذي كان بدوره يخيف كل أوروبا .

لوسيان لودين ـ الفصل السابع عشر .

(تحليق النسر)

من نابوليون اليعقوبي

لقد كانت غيرة نابوليون من « دافون امير ايكمول) سببا في ترسيخ الفكرة لدى الجنرالات الآخرين بأن الامبراطور لا يريد ان يرى فيهم موهبة اعظم من موهبته فاتخذوا جانب الحذر وتصرفوا كأناس اليين بدلاً من أن يُعملوا فكرهم عندما تستدعي الأمور ذلك . وكم كانت الأفكار مختلفة في عام ١٧٩٦ اثناء حملة ايطاليا الخالدة عندما كان الجميع يلتهبون حماسا جمهوريا ويطيعون بحماس ولكن عندما لم تكن هنالك اوامر من الجنرال الأعلى فمن الذي كان يجرؤ على الابتكار ولقد كانت النتائج الكارثوية للاستبداد العنيد لنابوليون ظاهرة للعيان لأبسط المراقبين.

مجلة لندن شباط ١٨٢٥

لقد كانت حروب نابوليون شديدة الجمال وفيها بعض الفائدة. ومن هنا كانت شهرتها التي ستدوم آلاف السنين ولن تكون شيخوخة هؤلاء من بيننا الذين رأوا انسحاب نابوليون من موسكو لن تكون سخيفة: بل ستحميها تلك الذكرى العظيمة والتي ستصبح منذ عام ١٨٥٠ بطولية.

مشاوير في ـ روما ـ ٣ تموز ١٨٢٨

إلى بيونابرت(*) المستبد:

لقد توصل قيصر إلى تسلية كتائبه وجعلها تخاف منه وبكلمة واحدة عرف كيف يوحي لها بالحماس. ومن هنا يجب أن نلاحظ بأنه كان سبب الحمية التي افادته بينما استفاد نابوليون عند البداية من الحماس الذي خلقته الثورة. وكانت احدى مشاغل حياته بأن يحل محلها حماسا له شخصيا وكان ذلك جهدا ضائعا.

مذكرات سائح » اوتن اول أيار ١٨٣٧

لا شك ان البونابرتية تنحسر في بلادنا. فالوهم الذي جعلنا نعتبر بونابرت النموذج الكامل للبطل المفيد لفرنسا هذا الوهم قد اندثر ولم يتبق الا في نفوس اصحاب الدكاكين والضباط الريفيين الصغار المحالين الى المعاش.

(*) الاسم الايطالي الكورسيكي لبونابرت.

وما كان شعورا عاما مشتركا بين كل النفوس الكريمة القوية في فرنسا عام ١٨١٨ لم يعد الآن إلا في حدود العادي ومدانا من قبل العشرة الطيبة .

مجلة لندن ـ باريس ١١ تموز ١٨٢٥

واخيرا حتى نعود الى « حب نابوليون »

لا يمكن ان نحب جنرالا آخر بعد ان رأينا نابوليون كيف يتصرف . فنرى في تصرفات الآخرين شيئا من الرياء ، من التهافت ، من المبالغة ، مم يقتل الميل الوليد . فحب نابوليون هو العاطفة الوحيدة التي بقيت معي ولم يمنعني ذلك من رؤية اخطاء روحه ونقاط الضعف البائسة التي نلومه عليها

« المقدمة ـ حياة نابوليون » نيسان ١٨٣٧

لقد كان نابوليون يحب ان يلصق التفاهات بالجمهورية . لقد كان ملحوقا متضايقا ليس من انتصاره الحالي الذي حسده العالم عليه بل من انتصاره المقبل الذي سيكسب مظهر البريق الخداع لانتصار الامبراطورية .

وعاجلا ام آجلا وبسبب النصر العسكري لا بد من العودة الى تقدير الأعمال العظيمة التي حدثت بوسائل بسيطة .

« حياة نابوليون » الفصل الثالث .

(مسيرة الجيش العظيم .) .

احتفظ بهذه الثرثرة فيجب ان اسحب هذا الجزء على الأقل من هذه الصحائف العوارض المتألمة وان أتذكر كيف سيكون ذلك . وإنني ما زلت ضجرا من رفقائي في السلاح . ووداعا واكتب لي وحاول ان تتسلى فالحياة قصيرة .

رسالة الى فليكس فور في جرنيوبل

موسكو في ٤ ت[١] ١٨١٢

الأمنية العامة

نور من القمر عظيم ـ وشارع عريض مليء بالبشر وجمع من الغفلة المعدمين الفرنسيين يتهافتون على بذتي الرسمية ، طلقة بندقية ، وعشرين شخصا منبطحين حولي وتسارع الآخرون نحو الجوران . وبقيت وحدي واقفا وكانت رأس فتاة جميلة في الثامنة عشرة من عمرها على مقربة من قدمي وانني اعتقد انها جريحة فكانت ترتجف بعنف ولم يكن ذلك بسبب يدي التي كانت تتحسس ببراءة تامة ذراعاً جميلة رخصةٍ وأنهضتها برفق لأرى إن كانت ساقها مكسورة ونشبت المعركة من جديد وظهرت طلقات أخرى من البنادق فحملتها إلى

جانب الجدار وفكرت في «سجاناريل» (*) حاملاً «كليلي» ثم مددتها على الأرض فنظرت إلي نظرة إكبار ومن ثم هربت.

ومع ذلك هرع الجنود . وهنا اصبح اسلوبي اكثر بساطة لأن البطل يذهب . فوجد نفسه وسط الشعب الثائر على الفرنسيين حيث قتل أحدهم أحد المدنيين فهاجم الثوار إحدى المستشفيات التي لجأ القاتل اليها وكان مائة وخمسون من الجنود البواسل يطلقون النار على ما يسمى بالأوباش وإنني لأتذكر هذه الحادثة بسبب الألوان الرائعة التي كانت تضيء المشهد . فلقد كان النور صافيا مثل عيني الآنسة ب . . . تلك هي مقارنة من شاتوبريان عندما يصف حملة روما حسب حملة بابل .

والآنسة ب . . هي فتاة طويلة القامة ولها من العمر سبعة عشر ربيعا وتشبه ملامحها اجدادها فعيناها زرقاوتان داكنتان ولونها ذو بياض ناصع فعينان بهذا البريق وذلك الصفاء ينفذان الى اعماق النفس إنه شيء من اللامادي في تلك العيون انها روح عارية تماما .

كفى اجيبيني .

رسالة الى بولين ـ ١٢ ايلول ١٨٠٨

(*) شخصيتين مسرحيتين لموليير ـ المترجم.

وفجأة انطلق خببا . ورأى فابريس بعد لحظات وعلى عشرين خطوة امامه ارضا محروثة وقد انقلبت بشكل فريد فكان بطن الخطوط مليئا بالماء أما التراب الرطب الذي كان يشكل رأس الخطوط فكان يتطاير الى قطع صغيرة سوداء تتناثر الى ارتفاع ثلاثة او اربعة اقدام ولاحظ فابريس ذلك الحدث الفريد ومن ثم انطلق فكره الى نصر الماريشال وسمع ضجة جافة على مقربة منه !

وكان ذلك بسبب خيّالين سقطا بسبب القنابل وعندما رآهما كانا على بعد عشرين خطوة من الرهط والذي ارهبه كان ذلك الجواد الدامي الذي أخذ يتمرغ في الأرض المحروثة وقد غرس قدميه في احشائه فكأنه يريد اللحاق بالآخرين فجرى دمه في الوحل .

آه هكذا تراني في المعركة هكذا قال في نفسه ولقد رأيت النار وردد ذلك برضى . وها انا عسكري حقيقي . وكان الرهط عندها يزحف على بطنه وفهم بطلنا بأن القنابل هي التي كانت تطير الوحل . وكان يرى الدخان الأبيض للبطاريات من بعيد وذلك في وسط الزئير المتساوي والمستمر الناتج عن طلقات المدافع فبدا له وكأنه يسمع انفجارات اكثر قربا : ولم يعد يفهم شيئا .

المنزل الريفي في بارم . الفصل الثالث .

ذلك التأمل عما اخاف ذلك الرجل السعيد القادر والذي لساعة مضت كان جوليان يموج بالغضب عليه انتهى بأن نقى له نفسه . فظهر حساسا الى جمال الغابة الرائع التي كان يمشي في وسطها . وقد سقطت احمال عاتية من الصخور العارية من الجبال المجاورة للغابة . وكانت ترتفع اشجار من الزان عاليه بمقدار ارتفاع الصخور التي كان ظلها يعطي طراوة ناعمة على بعد ثلاث خطوات من الأمكنة التي كانت حرارة اشعة الشمس جعلت التوقف فيها مستحيلا .

واستعاد جوليان أنفاسه في ظل هذه الصخور ومن ثم عاد إلى الصعود فوجد نفسه بعد أن سلك طريقاً ضيقاً لا يستعمله إلا رعاة الماعز فوصل إلى صخرة عظيمة وقد افترق تماماً عن كل الرجال .

وقد جعله ذلك الوضع مبتسما فلقد فصل له موقعه الذي كان يحترق للوصول اليه أخلاقيا . ولقد أكسبه هواء الجبال العالية الصفاء وحتى الفرح إلى نفسه . وقد كان محافظ « فريير » في نظره ما زال ممثلاً لكل الأثرياء والوقحين في العالم . لكن جوليان كان يشعر بأن حقده الذي كان يثيره رغم عنف حركاته لم يكن فيه شيء شخصي . فلو انقطع عن رؤ ية السيد د . رينال ثمانية أيام لكان قد نسيه هو وقصره وكلابه وأولاده وكل عائلته . ولقد اجبرته ولا أعلم كيف كان ذلك أن يقوم بأكبر

تضحية . وذلك بمقدار خمسين دينار في السنة . ومنذ هنيهة نجوت من خطر محيق دهاهما نصران في يوم واحد . ولقد كان الثاني بلا استحقاق فلا بد أن نعرف كيف . وغداً سيجري البحث الشاق .

وكان جوليان واقفاً على صخرة عظيمة ينظر إلى السماء وقد تلظت بشمس آب وزيز الحصاد يئز في الحقل الموجود تحت الصخرة . ويعود الصمت شاملًا عندما تتوقف الأزياز . وكان يرى كل الأماكن حوله على بعد عشرين فرسخا وانطلق صقر من الصخور الكبرى التي كانت موجودة فوق رأسه فكان يرى ذهابها من وقت لآخر وهي تقوم بدوراتها الواسعة بسكون تام وعين جوليان تتابع آليا الطير المطارد وصدمته حركاته الهادئة والقوية فحسده على قوته وعزلته .

لقد كان ذلك قدر نابوليون فهل سيكون ذلك يوماً قدره ؟ .

الأحمر والأسود . الجزء الأول الفصل العاشر .

وتوفي ستندال قبل ستة اعوام من عام ١٨٤٨(*)

إن رابطة (فورييه) تقوم بخطوات واسعة لكن بما أنه عديم الأناقة ولا يذهب إلى الصالونات فلن يكتسب إلا بعد عشرين

(*) عام الثورة الفرنسية الثانية. (المعرب).

عاماً مكانه كحالم سام قد لفظ كلمة « رابطة » وبما أن فوربيه يعيش في عزلة ويعود ذلك إلى نفس المعنى عندما يعيش مع تلامذة لا يجرؤ ون على الأعتراض (علمًا بأنه لا يجاوب على الأعتراض) فلم يرَ في كل قرية نصابا نشيطاً ومتكلمًا لبقا مثل (روبير ماكير) ليقوم على رأس الرابطة فيفسد كل نتائجها الجميلة . والحقيقة أن التنافس الموجود بين شخص وآخر لا بد أن ينتهي فيكون بين شركة كبرى وأخرى مثلها . وهذه الصفة المستقبلية لصناعتنا تبدو منذ الآن ظاهرة للعيان .

« مذكرات سائح » ـ بيزييه ـ ١٢ أيلول ١٨٣٧

بمناسبة الانتخابات تنتشر الرشوة بالصلبان والوظائف لكن لا يمكن شراء الجماهير : تلك كانت حيلة الأباطرة الرومان . إنها الآن غالية فليس بالأمكان اغراء الجماهير بواسطة راهب فصيح منذ أن وجدت الغوغاء وأصبحت الجماهير تتحرك وفق مصالحها وتعمل بإصرار على اسماع اصواتها .

« مذكرات سائح » ـ بوردو ـ ١٨٣٧

ليست الغرامات عقوبة إلا للمساكين فالأثرياء يسخرون منها .

فإذا كان لرجل ما دخل بمقدار ستة وثلاثين ألف فرنك أي

ما يعادل مائة باليوم وآخر عنده دخل مقدار أربعة آلاف ليرة أي أحدى عشر فرنك باليوم فهل يمكننا أن نجرؤ فنقول أن غرامة بمقدار خمسمائة فرنك ستكون نفس الشيء بالنسبة لهما ؟ لذلك كان لا بد من اعادة النظر في كل قوانيننا الخاصة بالعقوبات المالية . إن مرسوم القدر يمكن أن يصاغ بهذه العبارات : لا بد للأغنياء أن يبحثوا عن سلامتهم بسبب غياب اليأس عند الفقراء .

فعندما يتهم العامل يوضع في السجن وقد يدوم هذا التوقيف الوقائي شهراً أو شهرين : وخلال ذلك يموت أولاده وزوجه من الجوع أو يسرقون . وعندما يوضع رجل ميسور في السجن فإنه لا يفقد إلا حريته .

« مذكرات سائح » من التورين - ٢٣ حزيران ١٨٣٧

بينها كان بوليفار يحرر أمريكا وبينها كان « باري » يقترب من القطب كان جاري يكسب الملايين من صناعة قماش الخام (كليكوت) فليهنأ هو وأبناؤ ه . لكنه منذ فترة اشترى داراً صحفية فنراها تخرج كل سبت وتقول لي بأنه يجب أن اعجب به باعتباره محسناً للإنسانية . فتراني استخف بذلك .

« من المؤ امرة الجديدة » ١٧ ك[١] ١٨٢٥

عندما يقرض الصناعيون الحكومة المال بعد أن يتخذوا ما

يكفيهم من الإجراءات الوقائية فإنهم مرحلياً يزيدون من قوة الحكومة وهم لا يهتمون كثيراً بإتجاه تلك القوة . فلنفرض أن عبقرية سيئة ما ارسلت إلى الولايات المتحدة رئيساً طموحاً مثل نابوليون أو كرمويل فسيستفيد هذا الرجل من الاعتمادات الممنوحة عندما يصل إلى كرسي الرئاسة فيستطيع أن يقترض أربعمائة مليون يمكنه بواسطتها أن يرشو « الرأي العام » وقد يصبح رئيساً مدى الحياة . فإذا كانت ضريبة الدخل تجبى بشكل جيد فإن التاريخ المعاصر يمكن أن يخبرنا بأن الصناعيين سوف يستمرون بالإقراض يعني أن يزيدوا من القوة دون أن يتضايقوا من الإتجاه الذي تمارس فيه .

« من المؤامرة الجديدة » ١٧ كـ[١] ١٨٢٥

كم يبدو صناعيونا الكبار سخيفين عندما يعلنون كل سبت بأنهم أعلى من كل طبقات المجتمع لأنهم يعجلون بسعادة فرنسا . ألا فليعلم هؤلاء بأنه في حياة كل أمة لا بد لكل طبقة أن تقوم بدورها .

« من المؤامرة الجديدة » ١٧ كـ[١] ١٨٢٥

في ثورات الدولة لم يكن هنالك طيش ولا خفة عند الفرنسيين وبقي الثبات على فائدة المال. أما في الآداب فلقد

بقي الثبات على فائدة الباطل.

« حياة روسيني » الفصل الرابع والعشرين .

ماذا سيحل برؤ وس الأموال الموظفة في السكك الحديدية إذا وجدت وسيلة لتسيير العربات على الطرق العادية ؟ .

ومن جهة أخرى إن السكك الحديدية تجعل الحروب مستحيلة فهي تتضارب مع كثير من مصالح الأمم المتجاورة . لكن المعلم قد يجد مصلحة ما في الحرب .

« مذكرات سائح » فينا ـ ٩ حزيران ١٨٣٧

ها هو سبب تعاسة مدينة ليون : إن الزواج بلا ترو . فالزواج في القرن التاسع عشر فخفخة لا بل فخفخة عظيمة فيجب أن يكون الإنسان واسع الثراء حتى يُقدم عليه .

مذكرات سائح ـ ليون ٤ حزيران ١٨٣٧

عن انكلترا .

لقد شاهدت انكلترا ذلك البلد الذي غمرت فيه بالطيبة لكنه احزنني بسبب تعاسة سكانه . فالدين المقوت هنا نراه هناك يعتبر خطيئة أن تدنس حرمة السبت أي أن تتسلى قليلاً يوم الأحد . فإذا تنزهت على قدميك فأنت تنتهك حرمة السبت . وهناك أثنان وخمسون أحداً أي « سدس » الحياة . أما

العدالة فهي نزيهة ورائعة . لكنها لا توجد إلا للأثرياء فالرجل الذي يرتدي لباسا رقيقا ويحمل في جيبه ثلاثين دينارا حتى يقيم دعواه هو أكثر البشر حرية في العالم . أما التعيس الذي يعيش ليومه فهو أشد عبودية مما لو كان في المغرب . ففي العام الماضي كان في سجون انكلترا أربعة الآف وخمسمائة سجين منهم ألف وخمسمائة بسبب جنح الصيد . فإذا وجد فلاح لوحده في حرج بعد مغيب الشمس فإنه يمكن أن يلقى في السجن لعام واحد لأنه يخيف بذلك الأرانب البرية .

وأخيراً أيها المحبوب « جول » ففي المنازل الريفية التي دعيت لأمضي فيها بضعة أيام شاهدت الأنكليزيات وهن يعاملن ككائنات دنيا . وفضيلتهن الكبرى هي التضحية تلك هي فضيلة العبيد .

رسالة إلى مدام جول جولتيه في ايبرني ـ لندن ١٥ أيلول ١٨٢٦

ثلاثة عشر مليوناً من الناس في انكلترا يشتغلون فوق طاقة البشر . فهناك ستة إلى سبعمائة ألف عائلة يتمتعون برخاء ليست لدينا عنه فكرة في القارة الأوروبية فهم يشابهون بذلك كهنة مصر القديمة أو ايتروريا(*) وقد توصلوا إلى أن يصبحوا

ايتروريا: مملكة كانت في توسكانيا (ايطاليا) في بداية القرن التاسع عشر (المعرب).

محترمين لا بل أن يكونوا محبوبين تقريباً حتى من أولئك البسطاء الذين يقومون بالعمل الدؤوب . فالشعب الأنكليزي حكيم ومتدين ويجل القانون بشكل يدهش الرجال الشرفاء والنشيطين الذين يريدون أن يحسنوا من موقفه .

رسالة إلى السيد دكوستيه ـ « الوقت » ـ ٣ شباط ١٨٣٠

عن أمريكا .

إن الحكومة الحرة هي تلك التي لا تسيء إلى المواطنين بل على العكس فإنها توفر لهم الطمأنينة والهدوء . ولا يزال هنالك بون واسع للسعادة إذ يجب على الإنسان أن يصنع سعادته ولا بد أنها ستكون نفس فطنة تلك التي تكتفي بالطمأنينة والهدوء . وإننا نخلط بين هذه الأشياء في أوروبا وخاصة في ايطاليا . فلقد اعتدنا على الحكومات التي تسبب لنا السوء حتى ليبدو لنا أنه لو تركنا وشأننا لكانت تلك قمة السعادة . فنحن بذلك نشبه المرضى المصابين بالألم الشديد أما المثل الأمريكي فهو يرينا العكس تماماً . فالحكومة هناك تقوم تماماً بواجبها فلا تسيء إلى أحد . ولكن كما لو أن القدر يريد أن يشوش أو يكذب كل فلسفتنا أو بالأحرى أن يتهمها بعدم معرفة كل عناصر الإنسان فنحن وقد أبتعدنا منذ قرون عن الحالة البائسة لأوروبا فإننا نرى أن التعاسة الآتية من الحكومات لا نجدها في

امريكا ونراها وكأنها تنقصهم حتى ليقال أن منبع الشعور قد نضب لدى هؤلاء الأشخاص . إنهم صادقون وحكيمون ولكنهم ليسوا سعداء قط .

« من الحب » الكتاب الثاني الفصل المائة .

لقد وصل السيد كلينكر وهو امريكي غني إلى ميناء ليفورن منذ ثمانية أيام مع زوجه وأبنه وقد كان يقطن « سافاناه » وأتى ليشاهد أوروبا لمدة عام وهو في الخامسة والأربعين من عمره وذو رقة واضحة ولا تنقصه النباهة في الأشياء الجدية . وقد تعرفت عليه منذ ثلاثة أيام لم يسألني عن شيء إلا فيما يخص المال .

وقد جرت هذه المحادثة على مقربة من اعظم امكنة روما التاريخية فقد فحص هذا الأمريكي كل شيء بإنتباه كما لو كان يفحص كمبيالة مستحقة الدفع وكأنه لم يشاهد قط جمال أي شيء . وعندما كنا في كنيسة القديس بطرس وبينما كانت أمرأته الفتية الشاحبة المتألمة والخاضعة تشاهد ملائكة قبر آل ستيوارت كان يشرح لي الطريقة السريعة لإنشاء القنوات في أمريكا ، حيث كل مجاور للقناة يتعهد بالقسم الذي يخترق ملكيته ثم قال أخيراً وبلهجة المنتصر : غالباً ما تكون النفقات النهائية أقل من قيمة الكشف الأولي .

وأخيراً يجب أن أقول لم تخرج محادثة هذا الثري الأمريكي

عن جملتين من المشاعر هما : ما أغلى ! وما أرخص ! والحقيقة أن للسيد كلينكر روح ثاقبة فنراه يعطي أحكاماً فلكأنه رجل تعوَّد أن يُصغى إليه وهو جمهوري وعنده كثير من العبيد .

إن الحرية حسب رأيي تستطيع أن تدمر خلال مائة عام الشعور بالفن وهذا الشعور غير اخلاقي لأنه يهيء لإغواآت الحب والكسل والمبالغة . فإذا نصبنا على رأس مشروع لفتح القنوات رجل لديه شعور بالفن فنراه بدلاً من أن يلاحق تنفيذ قناته بهدوء وتعقل فإنه يصبح مجنوناً بها ويصنع الترهات .

مشاوير في روما ٦ ك٢ ١٨٢٩

فلنرجو أن تكون أوروبا دستورية عام ١٩١٧ فتلك هي الطريقة الوحيدة لمقاومة أمريكا .

هامشية على واحد « مونتسكيو»

(النتيجة الحتمية لتخمر ما)

لدينا من المشاغل ما يكفي لذلك لا بد أن نترك الرجل الذي يفكر بغموض في الفنون فنتركه هادئاً . فالحمقى يأخذون على ميكل انجلو بأن الدين كان سبب القسوة والبشاعة في اعماله . فأهمل ما استطعت هذا الدافع السري وضع نقاطا عندما تحذفها. وبكلمة واحدة ياسيدي الكيميائي إن هذا

النوع من الزبد الذي يسمونه الفنون الجميلة ليس إلا النتيجة الحتمية لتخمر ما وحتى نتعرف على الزبد لا بد من معرفة طبيعة التخمر .

مراسلة إلى لويس كروزي - ليفورن ١٥ ت٢ ١٨١٦

يقرع الاستبداد اسلوب الحماقة

هامشية على مشاوير في روما شباط ١٨٣٠

مهما كانت ريش الرسامين صامتة فالحكومة الملكية حتى لو كان الملك فيها ملاكا فإنها ستقاوم روائعهم ليس بمنع مواضيع اللوحات لكن بتحطيمها لنفوس الفنانين .

ومهما كانت فضائل الملك فإنه لا يستطيع أن يمنع الأمة أن تأخذ أو تحافظ على العادات الملكية وإلا فإن حكومته تسقط ولا تستطيع كل طبقة من الرعايا أن تهتم بمتعة وزير أو مساعد وزير قد يكون رئيسها المباشر

وإنني افرض دائما أن هؤلاء الوزراء هم أكثر الناس شرفاً في العالم . فالعادات الرقّية الناشئة عن التطلع إلى الأمتاع هو طبع يؤسف له من الوضاعة ويمنع كل طرافة لأنه في الحكم الملكي فإن الذي لا يكون كالآخرين يقوم بشتمهم فينتقم بالسخرية وعندها لا يوجد الفنانون الحقيقيون فلن يعود

هنالك « ميكل انجلو » أو « جيد »(*) أو « جيورجيوني »(*) ويكفي أن نرى التحركات في مدينة فرنسية صغيرة عندما يمر فيها أمير من العائلة المالكة واللهفة التي نراها في نفس فتى تعيس حتى يكون بين حرس الشرف للجواد الملكي . ومن ثم عندما يعين ليس بسبب مواهبه بل لعدم بشاعة شكله أو لأن سيدة هرمة ما دعمته عند محافظ المدينة لأنها تعرف مُعَرِّفه وكان قد ساندها في لعبة ورق ومنذ ذلك الحين يعتبر هذا الشعب ضائعاً .

وإنني لا أدعي بأنه لن يكون بعد اليوم رجلاً شريفاً أو محترماً أو محبوباً ولكنه سيكون بلا شك رجلاً سطحياً .

« تاريخ الفن » ـ المقدمة ـ بييمونت .

لن يكون لايطاليا آداب إلا بعد أن يصبح لها مجلسيها . فكل ما يعمل فيها حتى ذلك الحين لن يكون إلا من الثقافة الخاطئة من الآداب الأكاديمية . وقد يبرز رجل عبقري في وسط هذه السطحية العامة . ويعمل الغييري بلا تبصر وهو لا يأمل بجمهور حقيقي . فكل من يكره الظلم يرفعه إلى الغمام وكل من يعيش على الأستبداد يستغيبه ويمقته .

(*) رساما ن ايطاليان عاشا في القرن السادس عشر وأواخر الخامس عشر.

ولقد بلغ الجهل والكسل والشهوة عند الشباب الطليان قدراً بحيث لا بد أن ينقضي زمن طويل قبل أن تصبح ايطاليا بمستوى الحصول على مجلسين .

وقد قادها نابوليون نحو ذلك ربما دون أن يشعر .

« روما ـ نابولي ـ فلورنسا » ـ ميلانو ١ ت[١] ١٨١٦

أولا إن اللذة لا تنتج نصف مشاعر الألم وعدا عن هذا الأجحاف في مقدار الإنفعال فإن الرد والائتناس الذي يستطيع الرسم أن يجسده هو أقل من نصف ما يمكن تجسيده عن المصائب . لذلك لن يستطيع الشعراء أن يرسموا التعاسة بكثير من القوة فهناك عقبات لا بد من خشيتها إنها المواضيع التي تثير القرف . وهنا أيضاً نرى أن نسبة المشاعر تتوقف على الملكية أو الجمهورية . فلويس رابع عشر واحد يستطيع أن يضاعف خمس مرات عدد المواضيع المقززة (قصائد كراب)(*) .

وبسبب وجود الملكية لوحده على طريقة لويس الرابع عشر محاطا بنبلائه يصبح فظاً كل ما هو بسيط في الفنون . ونرى الشخصية النبيلة التي تعرض عليها هذه الفنون وقد اهينت .

(*) شاعر انكليزي وصف آلام المساكين بدقة فائقة

وذلك شعور صادق ومحترم .

ولنر الجزاء الذي تلقاه « راسين » الناعم من الصداقة البطولية والتي كانت مقدسة عند القدماء من اورست إلى بـلاد. « فاورست » يخاطب « بيلاد » بالمفرد وبيلاد يبجل اورست . أو تريدون منا بأن يكون راسين ملامسا لشغاف قلوبنا . وإذا لم يكن ذلك هو المثل الشافي فلا بد إذن من أن نتحدث عن شيء آخر .

« من الحب » مقطوعات مختلفة الفصل السابع والثلاثون

ما من شك بأن موليير لم يكن ليستحق من لويس الرابع عشر عندما قال للنساء على لسان « بيليز » : انتبهن بألا تكتسبن افكارا ؟ .

ولست ألوم قط لويس الرابع عشر فلقد كان ملكاً وقام بدوره . فمتى نقوم به نحن الذين ولدنا مع ستة الآف فرنك من الدخل ؟

والبرهان على ذلك بأن لويس الرابع عشر قد رأى الأمور بعدل . فالصبية الباريسية البرجوازية بنت النقّاش البسيط والتي قد لا يسمح لها فقرها بأن تذهب للمسرح والتي لم تكن قد رأت بعد مسرحية « النساء المتحذلقات » ولقد اجهضت

مدام رولان عدة مشاريع كبرى اقامها مساعدو لويس السادس عشر السريون . ولا شك أنها قد اخطأت عندما كانت تقرأ كثيراً في صباها .

ولا شك أن « النساء المتحذلقات » كوميديا رائعة لكنها رائعة لا اخلاقية ولا تتماثل مع شيء . فالأديب في المجتمع ليس بمهرج مُطعمٍ من قبل عظام السادة إنه رجل يتسلى بالتفكير بدلاً من العمل وهو بالتالي قليل المال . أو أنه رجل من الشرطة تدفع له الخزانة ما يكفيه حتى يهجو . أو لم تكن تلك حالة ترسوتان أو فاديوس(*)؟ .

« راسين وشكسبير » الفصل الثامن .

إن الرمانتيسية هي الفن الذي يقدم للشعوب الأعمال الأدبية التي في الحالة الحالية من عاداتها ومعتقداتها هي قادرة أن تعطيهم أكبر قدر ممكن من المتعة .

أما الا تباعية (الكلاسيكية) فهي على العكس تقدم الأدب الذي يعطي أكبر قدر من المتعة إلى اسلافهم .

فحتى تكون رومانتيكيا لا بد من الشجاعة بل من المغامرة .

(*) شخصيتان مسرحيتان لموليير ترسوتان (مدعي) وفاديوس (علامة) .

ويبدو لي أن حاجة الكاتب إلى الشجاعة كحاجة المحارب لها فلا يجب أن يفكر الأول بالصحف إلا بمقدار ما يفكر الثاني بالمستشفى .

« راسين وشكسبير » الفصل الثالث

المأساة « التراجيديا » هي السياسة

لقد أصاب الفشل ميله إلى الشعر بسبب الثورة وبدونها كان من المحتمل أن يبقى النقيب « كارنو » مجهولاً من قبل نفسه ومن الآخرين .

وإن اعظم مديح يمكن أن نقدمه للثورة هو أنها انتزعت من المهن التافهة وعديمة الجدوى والأسوأ من ذلك أيضاً مئات من الرجال ذوي مواهب سامية وقدمت لهم الحقل الواسع للنشاطات العامة وفرصاً لا حصر لها حتى يظهروا نشاطهم الذي كان سيبقى مكبوتاً أو مستعملاً في سفاسف متعبة .

فبجهود مثل أولئك الرجال في مختلف محافظات الدولة استطاعت فرنسا أن تصل إلى ازدهارها الحالي .

المجلة الشهرية الجديدة ١ ت٢ ١٨٢٤

عندما يبلغ اليوم رجل عبقري السابعة عشر من عمره فإنه

يعطينا مزيجاً من الأفكار السامية والمشاعر العميقة التي تكوّن العبقرية فيكون ذلك على شكل خطب وطنية كخطب السيد الجنرال « فوا » وليس على شكل معالجات فلسفية على طريقة « روسو » و « باسكال » و « مونتسكيو » .

وإنني لأوقن حتى لو أن موليير ولد اليوم لفضل أن يكون نائباً من أن يكون شاعراً هزلياً فلكل عصر عبقرياته وقد يذهبون دون أن تتفتح امجادهم كما الذين ولدوا في القرن التاسع أو العاشر . فلكل عصر فرع من المعارف الإنسانية يتركز حولها الإنتباه فتوجد عندها الحياة . ففي زمن بترارك(*) كان المهم اكتشاف ونشر المخطوطات القديمة أما اليوم فوا أسفاه إن السياسة تسرق الأدب وذلك هو المنفذ الوحيد .

رسالة إلى مينيه باريس الخميس ٣١ أذار ١٨٢٥

(*) شاعر إيطالي عاش بين ١٣٠٤ - ١٣٧٤ المترجم

(فن القصة)

أين ندرس الأدب ؟ هل في هلفسيوس ، « هوبر » وقليلاً في « برك » ونرى التطبيق في شكسبير وسرفانتس وموليير .

وتتضمن الآداب خمسة مباديء هي للعلم :

١ ـ موضوع هذه الفقرة ـ لا يمكننا أن نرسم ما لم نـره ولا أن نحكم على اللوحات المصنوعة من قبل الآخرين .

٢ ـ السمو ـ وهو الود مع القوة التي نراها هائلة .

٣ ـ الضحك (هوبز)

٤ ـ الإبتسامة المرئية من قبل السعادة .

٥ ـ أن ندرس العاطفة في كتب الطب (بينل). أو في الطبيعة (رسائل الآنسة دلسبنياس) أو في الفنون (جولي ، هيلونر الخ)

فإذا كنا يقظين على هذه المبادىء الخمسة فلا بد أن نبحث عن البرهان أو الدحض في شكسبير أو «سيرفانتس» أو «لوتاس» أو «آريوست» أو موليير.

المفكرة ـ ت[1] ١٨١٠ ـ باريس

رسالة الى بلزاك

لقد فوجئت حقا يا سيدي بالمقال الذي خصصتموه الى « المنزل الريفي » وإنني اشكركم على آرائكم اكثر مما افعل ذلك بالنسبة لمديحكم . فلقد شعرتم بالشفقة المفرطة على يتيم القي على قارعة الطريق وقد كنت افكر بأنني لن اكون مقروءا قبل عام ١٨٨٠ . فلكي تكون شيئا ما كان لا بد ان تحظى بيد الآنسة برتان (لأنها لحنت كلمات السيد فكتور هوجو) .

وقد تلقيت المجلة البارحة مساء وتوصلت هذا الصباح فقط الى اختصار الأربعة والخمسين صفحة الأولى من الجزء الأول من « المنزل الريفي » الى أربع أو خمسٍ صفحات.

وكنت قد وجدت متعة قصوى في كتابة هذه الصفحات

الأربعة والخمسين وتحدثت فيها عن اشياء اعبدها ولم اكن افكر في فن صناعة القصة ولقد صغت في شبابي مشاريع روايات عديدة وكنت اتجمعد عند كتابتها.

فإذا كتبت عشرين او ثلاثين صفحة شعرت بحاجتي للتسلية او لقليل من الحب والى قليل من العربـدة عندما استطيع وفي صباح اليوم التالي كنت انسى كل شيء فإذا قرأت الصفحات الثلاث أو الأربـع الأخيرة مما كتبته في الأمسية الفائتة كنت استعيد كل شيء. ولقد أمليت الكتاب الذي ترعونه في ستين أو سبعين يوماً وكنت مدفوعاً بالأفكار.

ولم اكن لأتوهم بالقواعد وإنني احتقر « لاهارب »* لمستوى الحقد وكنت استنتج الأحكام الملقاة على الكتاب بمقدار ما اتقدم به من « تاريخ الرسم » وإنني لأقارن « السيد دلاهارب » والمتشيعيين له من الأحياء الى الرسامين الباردين الذين عاشوا بعد عام ١٦٠٠ .

وباستثناء اولئك الذين تحبونهم والذين لن يشك بهم احد عام ١٩٥٠ ومن هؤلاء الذين رأيناهم لا ارى فرصة افضل من فرصة « برودن » و « مأوى يافا » ومن « دجرو » .

لاهارب: ناقد كلاسيكي فرنسي وعضو في الأكاديمية

وسأقدم عما قريب في مقر « اوبرا راسي » « بوربون » الخ . فهؤلاء السادة المرسلين الى باريس من قبل اميربارم بصفة جواسيس .

وستكـون اللهجة الميلانوية المتراصة محل انتباه « فابريس » اوليست تلك وسيلة لإظهار الشخصيات « المسرحية » ؟

واخيرا لا شك انني سأستفيد من مديحكم المستحب والذي اعتبره في حساب الشفقة على عمل مجهول فإنني اوافق على كل شيء ما عدا الاسلوب ولا تغالي في الاعتقاد بأن ذلك من الكبرياء . فإنني لا التزم الا قاعدة فلا يمكن للأسلوب ان يكون كثير الوضوح وكثير البساطة . فالأفكار على الـ . . . غير معروفة من قبل محدثي الثروة والمغرورين الخ . . الخ . فلا يمكن ان نكتب لهم بوضوح عظيم .

ولقد بدا لي اسلوب السيد دشاتوبريان سخيفا منذ عام ١٨٠٢ فلقد كان يبدو وكأنه يقول لي كثيرا من البهتان

وقد تعتقد فيّ وحشا من الكبرياء إذا جرؤت محدثتك عن الأسلوب يا سيدي فها هو مؤلف يكاد ان يكون معروفا وارفعه الى السحاب والذي يريد ان يمدح حتى على اسلوبه ومن جهة اخرى يجب ألا نخفي شيئا عن طبيبه .

فسأصلح الأسلوب وإنني اعترف لك بأن كثيرا من مقاطع السرد بقيت كما امليتها دون اي تنقيح .

وحتى لا تأنف من نفسي فإنني مضطر الى الدخول في بعض التفاصيل . فأنا اقرأ قليلا وعندما اقرأ للمتعة فإنني اتناول مذكرات المارشال « جوفيون سان سير » فهـو بالنسبـة لي هوميروس . كما اقرأ غالبا لآريوست . وإنني اشعر فقط بجودة كتابة كتابين فقط : وهما : حوار الموتى لـ « فينلون » وكذلك مونتسكيو .

فمثلا إنني آنف من اسلوب « السيد فيلمان » الذي لا يبدو لي صالحا إلا للسباب المهذب .

اما حقيقة مرضي فهي : اسلوب جان جاك روسو ، او فيلمان او مدام صاند فإنها تقول لي مجموعة من الأشياء التي لا تقال وكثير منها بهتان واضح . وأخيرا أفصحت عما في نفسي .

وغالباً ما أفكر ربع ساعة كيف أضع صفة قبل الموصوف أو بعده وافتش كي اقص :

١) الحقيقة

٢ (وبالوضوح كما يجري في القلوب .

وإنني افكر منذ سنة بأنه يجب في بعض الأحيان ان نسلي

القارىء وذلك بوصف المناظر الطبيعية او الملابس الخ . اما انسجام الجمل وجمالها وعددها (كما في التأبين في قصة « جاك المشؤوم»(*)) فإنني أرى في ذلك عيباً نقصاً.

ففي الرسم لا بد ستبدو سخيفة لوحات ١٨٤٠ في عام ١٨٨٠ وإنني لآمن بأن الأسلوب المهذب والسلس والذي لا يتحدث بشيء عن عام ١٨٤٠ سيكون قد شاخ تماما عام ١٨٨٠ وسيكون مثله مثل ادب فواتور* بالنسبة الينا

اما بالنسبة للنجاح المعاصر فقد قلت في نفسي منذ ايام « تاريخ الرسم » بأنني سأكون مرشحا لعضوية الأكاديمية لو استطعت الحصول على يد الآنسة « برتان » (مؤلفة الموسيقى لكلمات السيد فكتور هوجو) .

وإنني اعتقد بأنه خلال خمسين عاما لا بد ان يأتي ناشر ادبي بسيط فينشر مقطوعات من كتبي قد تمتع دون تكلف وتبدو حقيقية .

وعندما كنت أملي « المنزل الريفي » كنت افكر انه عندما انشر الطبعة الأولى كنت اكثر حقيقية وطبيعية واكثر امكانية

(*) جاك المشؤوم إحدى قصص ديدرو ـ (المترجم).

(*) كاتب وشاعر فرنسي عاش في القرن السابع عشر. وكان عضواً في الأكاديمية

للامتاع في عام ١٨٨٠ وعندما لا يكون المجتمع مؤلفاً من مغتنين أفظاظ يقيمون مدعي النبالة فقط لأنهم خسيسون.

رسالة إلى السيد د. بلزاك

سيفيتا فيتشيا ١٦ ت[١] ١٨٤٠

بصراحة اقول لك يا سيدي انه حتى تعمل كتابا وتجد من يقرأه بحدود اربعة آلاف شخص لا بد من :

١) دراسة الفرنسية في الكتب المؤلفة قبل عام ١٧٠٠ لمدة سنتين

٢) دراسة حقيقة الأفكار في « بنتام » او في كتاب « الروح » لهلفسيوس او في مائة جزء وجزء من « المذكرات » لـ : « جورفيل » و « مدام دموتفيل » و « اوبنين » الخ

ففي القصة واعتبارا من الصفحة الثانية لا بد ان تأتي بجديد او على الأقل بشيء ما فردي على المكان الذي يجري فيه الحدث .

واعتبارا من الصفحة السادسة وعلى الأكثر الثامنة لا بد من المغامرات . فالمغتنين يبعثون النشاط في العشرة الطيبة كما فعل البرابرة فيما بقي من روما في القرن الحادي عشر . اما وقد بَعُد بنا الدهر عن تفاهة حكم لويس السادس عشر فكان لا بد ان تتغلب طريقة القصص على العمق واليوم يحدث عكس ذلك .

اقرؤوا دعوى « جيل دلافال » مارشال « رى » في المكتبة الملكية وابتكروا مغامرات ناشطة مثلها والف تحية يا سيدي

كومارتان ـ رسالة للسيد ج . س في باريس

باريس في ١٩ شباط ١٨٣٨

(رسم الفؤاد الانساني)

إني لن احتفظ إلا بما هو رسم للفؤاد الانساني ففيما عدا ذلك إنني لا شيء . فهنالك قصص كما في التاريخ . وقد يعطيني ذلك موهبة في جزء ما في فترة ما ويترك مكانا كافيا في رأسي لكن ذلك فريد ويجعلني غير صالح لنقاش لا بد له من وقائع . إنني نسيت ما فعلت انا نفسي مثلاً في الجمع . وانسى الإملاء ـ وعندما اركز انتباهي كله على الفكر فإنني عندها انسى اسم الفاعل أو شيئاً ما أبسط من ذلك .

المفكرة ـ ١٠ آب ١٨١١ باريس

لقد كان هلفسيوس على حق تماما عندما اثبت ان مبدأ الانتفاع او المصلحة هو الدليل الوحيد لكل تصرفات

الانسان . لكن بما أنه كان ذا نفس باردة فلم يعرف الحب أو الصداقة او العواطف الحية الأخرى التي تبدع المصالح الجديدة والفريدة .

وربما لم يتنبأ هلفسيوس بهذه المصالح فقد مضى زمن عليّ طويل منذ ان قرأت مؤلفه حتى استطيع ان اؤكد ذلك . وبسبب مراعاة السهولة التي يبديها الجمهور الطيب وحتى لا ينقاد للضياع كان باستطاعته ألا يستعمل كلمة « مصلحة » وان يضع مكانها متعة او مبدأ الانتفاع .

وبدون شك كان بإمكانه بدء كتابه بهذه الكلمات : عندما كان « ريجولوس » عائدا الى قرطاجة حتى يستسلم للعذاب المرير لقد كان يطيع رغبة المتعة اي الى صوت المصلحة »

وعندما مشى « السيد د . لوازرول» إلى الموت حتى ينقذ ابنه فقد كان ينصاع الى مبدأ المصلحة . ان تفعل غير ذلك بالنسبة لتلك النفس البطولية فيكون نذير جبن لا يغتفر ابدا . اما عندما تكون لك تلك الفكرة السامية فإنها تخلق مباشرة الشعور بالواجب .

ولم يكن لوازرول ليندم فقد كان هادئا عاقلا فلم يستجب لنداء الجلاد عندما نادى ابنه . ففي هذا المنحى لا بد من

النباهة حتى تحب حقا . وذلك هو الفرق بين النفس العاطفية والنفس المبتذلة .

رسالة الى بارون دمارست ـ ميلانو ١٣ ت٢ ١٨٢٠

ما يحتقره اولئك الحمقى فيسمونه ثرثرة هي في هذا العصر من التكلف العكس تماما فهي القصة الوحيدة التي توضح جيدا هذا البلد .

« مذكرات شائح »ليون ٢٤ يّار ١٨٣٧

٢٦ شباط ١٨٠٦ ـ ان تتدخل في الحركات السرية لعاطفة وأن تراها لأنك تشعر بمماثلتها لعاطفة أخرى فإنه يبدو لي بأننا لا نتعرف بذلك إلّا على حالات العاطفة. فالاضطراب الذي يلازم الحقد يجعلك تتعرف على مثيله الذي يلازم الطموح أو الحب أو العكس.

وبما أن الغرور هو العاطفة المسيطرة التي تفهم العواطف الأخرى وان تنطلق من حركاتها

المفكرة ـ مرسيليا

كانت فانينا مطروحة على الأرض ولم تلمع عينا بترو عندما حدثها إلا عندما سمى «الوطن».

واخيرا هرع الغرور والزهو الى مساعدة الأميرة الفتية فتجهزت بالألماس وبمبارد صغيرة وبدون أن تجيب على « ماسيريلي » قدمتها له .

إنني لأقبلها بسبب الواجب لأنني يجب علي محاولة الهرب لكنني لن اراك ابدا وإنني لأقسم على ذلك بوجود حسن صنيعك . وداعا يا فانينا . وعديني بألا تكتبي لي ابدا والا تحاولي رؤيتي . اتركيني بكليتي للوطن وإنني مائت في سبيلك : وداعا .

ـ كلا ـ عادت فانينا تقول غاضبة : إنني أريد أن تعرف بأن ما فعلته كان موجها بالحب الذي اكنه لك

ثم قصت عليه كل خطواتها منذ اللحظة التي ترك فيها ماسيريللي قصر « سان نيكولو » كي يذهب الى القاصد الرسولي وعندما انتهت القصة قالت فانينا: لم يكن ذلك شيئا ولقد فعلت كثيرا بسبب حبي لك .

ومن ثم قصت عليه خيانتها .

ـ آه ـ « يا وحش » هكذا صرخ بيترو غاضبا وارتمى عليها محاولا قتلها بسلاسله .

ولكان قد توصل الى ذلك لولا السجان الذي هرع عند سماع الصرخات الأولى فمسك ماسيريللي

ـ خذي ايتها الوحش فإنني لا اريد ان ادين لك بشيء هكذا قال ماسيريللي الى فانينا ورمى اليها بمقدار ما سمحت له سلاسله المبارد والماسات وابتعد مسرعا .

وعادت فانينا منهكة الى روما واعلنت الجريدة بأنها تزوجت من السيد « ليفيو سافللي »

«فانينا فانيني »

وشد على ذراعها بقوة وهو يستأذنها بالذهاب :

ـ ستتلقين مني رسالة هذا المساء . قال لها ذلك بصوت مشوه بحيث لا يمكنه التعرف على صاحبه

ولقد مست هذه الحادثة جوليان على الفوروأكملت قائلة :

ـ ان ابي يقدر الخدمات التي تقدمها له . ويجب الا تذهب غدا . وقد تجد عذرا وابتعدت راكضة .

لقد كانت قامتها رشيقة ومن المستحيل ان تكون هنالك أقدام اكثر جمالا فكانت تركض برقة فتنت جوليان . وهل يمكننا ان نتنبأ بما فكر فيه جوليان بعد أن غابت عن ناظريه ؟ فلقد شعر بالإهانة بسبب اللهجة الآمرة التي استعملتها عندما قالت « يجب » . وعندما كان لويس الخامس عشر يموت كذلك فإنه لُسع من كلمة « يجب » عندما استعملها طبيبه برعونة مع أن هذا الملك لم يأن حديث نعمة .

وبعد ذلك بساعة تلقى جوليان رسالة حملها له غلام تابع وكانت بكل بساطة رسالة غرام .

ليس في الأسلوب كثيرا من التصنع هكذا قال جوليان في نفسه وهو يحاول بملاحظاته الأدبية ان يسيطر على الفرح الذي قلص خديه واجبره على الضحك رغم أنفه.

واخيرا ها أنا الفلاح الفقير حصلت على تصريح بالحب من سيدة عظيمة الشأن . هكذا صرخ فجأة بعد ان فشل بالسيطرة على عواطفه واضاف قائلا بعد ان سيطر على فرحه ما أمكنه : بالنسبة لي لم يكن ذلك بالقليل . فلقد استطعت الحفاظ على كرامة طبعي ولم اقل ابدا بأنني مغرم .

واخذ يدرس شكل الحروف . « فللآنسة دلامول » كتابة انكليزية دقيقة جميلة . وكان بحاجة لأن يشغل نفسه عضليا حتى يلهو عن الفرح الذي استحوذ على كيانه لدرجة الهذيان .

إن ذهابك يجبرني على الكلام . الا أراك ذلك فوق طاقتي » ولقد طرأت فكرة على جوليان فكانت بمثابة اكتشاف فقطعت البحث الذي كان يجريه على رسالة « ماتيلد » وضاعفت فرحه . لقد خطفتها من الماكيز « دكروازنوا » انا الذي لا اقول إلا الأشياء الجدية.

وهو الجميل . سواء بشاربيه او ببزته الرسمية وهو الذي يجد دائما الكلمة المناسبة الروحانية والدقيقة .

وشعر جوليان بلحظة لذيذة وهام على وجهه في الحديقة وهو مليء بالسعادة .

« الأحمر والأسود »

الجزء الثاني ـ الفصل الثالث عشر

لم يكن جوليان ليسيطر على فرحه واضطر للنزول الى الحديقة ولقد بدت الغرفة التي حجز نفسه فيها بالمفتاح ضيقة جدا كي يستطيع التنفس فيها .

ـ انا الفلاح الفقير من جبـال « الجورا » . كان يكرر لنفسه باستمرار انا المضطر الى ارتداء هذا اللباس الأسود المقيت . واسفاه فمنذ عشرين عاماً كنت استطيع ارتداء الزي الرسمي مثلهم فرجل مثلي كان سيقتل أو كنت سأصبح جنرالاً في السادسة والثلاثين من العمر. وكانت الرسالة التي يمسكها بين يديه تعطيه هيئة البطل ووضعيته. وحقاً الآن ومع هذا الرداء الأسود وفي الأربعين من العمر تراني وقد حصلت على أربعين ألـف فرنك من المعاش والشريط الأزرق مثل السيد «اسقف بوفيه» .

ـ ومع ذلك قال وهو يضحك مثل « مفيستو فيلس »* إنني اكثر نباهة منهم واستطيع اختيار لباس العصر وشعر بتضاعف

(*) مجسد الشيطان في مسرحية فوست لجوته.

طموحه وتعلقه باللباس الكنسي كم من كرادلة حكموا وكانت نشأتهم اكثر وضاعة مني مثلا ابن بلدي « جرافينل » وشيئا فشيئا هدأ انفعال جوليان . وخيم الحذر وقال لنفسه كمعلمه « تارتوف » الذي كان يعرف دوره عن ظهر قلب :

- قد اؤمن بهذه الكلمات وكأنها خدعة شريفة .

. . . .

- وانا لا اثق مطلقا بمثل هذه المناسبات الحلوة .

- وقليل من هذه النعم التي التقط أنفاسي بعدها

- لا بد ان تأتي فتؤكد لي ما استطاعت قوله لي.

تارتوف - الفصل الرابع - المشهد الخامس

ولقد ضاع تارتوف بسبب امرأة فقد كان يستحق جزاء آخر ويمكن البرهنة على جوابي هذا فلماذا نجد هذا العلاج . هكذا اضاف قائلا وهو يلفظ ذلك الهدوء وبنبرة القسوة التي تنطوي عليها وسنفتتحها بأكثر الجمل حيوية مما احتوته الرسالة السامية لماتيلد.

نعم ولكن اربعة من غلمان « السيد دكروازنوا » سيتسابقون نحوي ويأخذون مني الرسالة الأصلية.

كلا فأنا مسلح وانا معتاد كما هو معروف بأنني أطلق النار على هؤلاء التابعين .

فإذا واتت الشجاعة احدهم فلا بد أنه سينقض علي إذا كانوا قد وعدوه بألف دينار فاقتله أو أجرحه وهذا هو مطلبهم . عندها يرمونني في السجن بعد ان استحق ذلك شرعيا وأحال الى الشرطة الجنائية ومن ثم يرسلونني الى سجن « بواسي » وبكل العدالة اللازمة لأرافق السادة « فونتان و « ماجالون » . وعندها سأنام مع اربعماية تعيس لا على التعيين . وسأشعر بالرأفة نحوهم . هكذا صرخ واقفا بعنف . او هل سينالون مأربهم من رجال الطبقة الثالثة ؟ عندها يمسكون بهم ؟ وكانت تلك آخر زفرة من العرفان بالجميل نحو السيد «دلامول» الذي كان يعذبه حتى ذلك الحين.

« الأحمر والأسود » الجزء الثاني الفصل الثالث عشر

من يستطع وصف سعادة جوليان الفائقة ؟ ولقد كانت سعادة ماتيلد بمقدارها تقريبا .

فقد كانت تحدثه رغما عنها وكأنها تشي بنفسها له :

- عاقبني على عجرفتي الشنيعة - قالت ذلك وهي تضمه بذراعيها حتى لكادت تخنقه. فأنت سيدي وانا جاريتك ويجب

ان اطلب منك العفو وانا راكعة لأنني اردت العصيان . وتركت ذراعيه لتسقط عند قدميه

ـ نعم انك سيدي قالت له ايضا وهي منتشية بالسعادة والحب .

تحكم في الى الأبد وعاقبني بقسوة كجارية اخذت تتمرد .

وفي لحظة اخرى تخلصت من ذراعيه واشعلت الشمعة وقد وجد جوليان صعوبة فائقة عندما منعها من قص خصلة من شعرها .

ـ إنني احب أن أتذكر بأنني خادمتك : حتى إذا اصابني زهو مقيت فضللني عندها أرني هذه الخصلة وقل لي : ليست القضية قضية حب ولا يتعلق ذلك بالعاطفة التي تشعر بها نفسك في هذه اللحظة فلقد أقسمتِ بأن تنصاعي . فأطيعي كلمة الشرف .

لكنه من الحكمة ان نحذف الوصف لهذه الدرجة من الضياع والبهجة .

ولقد كانت بسالة جوليان معادلة لسعادته وقال لماتيلد : يجب ان انزل من السلم ؛ وذلك عندما راى خيوط الفجر تظهر على المداخن البعيدة من جهة الشرق بعيد البساتين فالتضحية

التي اقوم بها جديرة بك وإنني لأحرم نفسي من بضع ساعات مليئة بالسعادة المدهشـة التي لم تحس بها نفس بشرية إنها تضحية اقوم بها في سبيل سمعتك ! فلو علمت ما في فؤادي لعرفت الجهد الذي ابذله في سبيل ذلك . اوهل ستكونين بالنسبة لي دائما ما أنت فيه الآن؟ ولنترك الشرف يتكلم فذلك يكفي . ولتعلمي بأنه خلال لقائنا الأول لم تتوجه الشكوك كلها نحو اللصوص ولقد أقام « السيد دلامول » حرسا حول الحديقة واصبح « السيد دكروازنوا » محاطا بالجواسيس فأصبح معروفا ما يفعله كل ليلة .

وقهقهت ماتيلد ضاحكة لهذه الفكرة واستيقظت امهـا واحدى الخدم وفجأة وجه الكلام اليها عبر الباب . فنظر اليها جوليان عندما شحب لونها وهي تقرِّع الوصيفة ولم تتجرأ بتوجيه الكلام الى امها .

ـ إذا خطر لهم فتح النافذة لا بد ان يروا السلـم . هكذا قال لها جوليان وضمها مرة اخرى بين ذراعيه ومن ثم انزلق على السلم انزلاقاً ووصل في لحظة إلى الأرض.

وبعد ثلاث ثوان كانت السلم تحت ممشى الزيزفون وأنقذ شرف ماتيلد . وعاد جوليان الى نفسه وكان عاريا تقريبا وجسمه داميا فقد انجرح وهو ينزلق بلا حذر .

ولقد اعاد فرط السعادة له كل نشاط طبعه : فلو تقدم عشرون شخصا لمهاجمته لوحده في تلك اللحظة لكانت له متعة اخرى . ولحسن الحظ لم تتعرض بسالته العسكرية للتجربة فأنام السلم الى وضعها العادي واعاد السلسلة التي كانت تمسكها ولم ينسَ قط الأثر الذي تركته السلم على مسكبه الأزهار الاستوائية الموجودة تحت شباك ماتيلد .

وكما نفعل عادة في الظلام فقد مرر يده على التربة الرخوة حتى يتأكد من ذهاب الأثر فشعر بسقوط شيء بين يديه وكانت تلك خصلة شعر ماتيلد التي كانت قد قصتها ومن ثم رمتها اليه وكانت واقفة على نافذتها .

ـ ها هو ما ارسلته لك خادمتك ـ قالت له ذلك بصوت ليس بالخفيض انه رمز الطاعة الأبدية وإنني لأتنازل عن ممارسة الفكر ولتكن انت سيدي .

وغلب جوليان على امره وكاد يأخذ السلم ليصعد اليها ثانية . ومن ثم تغلب العقل .
الأحمر والأسود ـ الجزء الثاني ـ الفصل التاسع عشر .

لقد وجدها شاحبة وهادئة جالسة على ديوان وقد بدا عليها انها غير قادرة على القيام بأية حركة ومدت له يدها :

ـ ايها الصديق لقد اهنتك حقا ولا بد انك غاضب علي ؟

ولم يكن جوليان يتوقع هذه اللهجة البسيطة وشعر بنفسه تخونه .

ـ اوهل تريد ضمانات أيها الصديق . أضافت ذلك بعد صمت كانت تتوقع منه ان يقطعه . فمن الحق لا شك بذلك فعليك ان تخطفني ولنذهب الى لندن . وهكذا سأضيع الى الأبد وافقد شرفي . ولقد واتتها الشجاعة لتسحب يدها من جوليان لتغطي عينيها . وعادت كل مشاعر الخفر والفضيلة النسائية الى روحها . والآن . خذني . قالت ذلك بزفرة . إن ذلك ضمانة أكيدة .

لقد كنت البارحة سعيدا لأن الشجاعة واتتني كي اكون صارما نحو نفسي هكذا قال جوليان لنفسه . وبعد لحظة من الصمت عادت له سيطرته على مشاعره فقال لها بصوت بارد :

ـ عندما نكون في طريقنا الى لندن ، وبعد أن انالك إذا أردنا أن نستعمل تعبيرك فما الذي يؤكد حبك لي ؟ اولا يبدو لك انتظاري على مقعد في البريد أكثر إزعاجاً ؟ إنني لست وحشا . ان تفقدين اعتبارك فلن يكون ذلك إلا تعاسة أخرى بالنسبة لي . فلم يكن موقفك بين الناس هو العائق بل لسوء الحظ كان ذلك هو طبعك . هل تستطيعين ان تحبيني ثمانية ايام ؟ اطرحي السؤال على نفسك وأجيبي عليه لنفسك؟ .

(آه لو أحبتني ثمانية أيام . ثمانية فقط فلكنت سأموت من السعادة . هكذا قال جوليان لنفسه بصوت منخفض . فماذا يهمني المستقبل؟ وما تهمني الحياة ؟ ويمكن لهذه السعادة الربانية ان تبدأ حالا اذا أردت ولا يتوقف ذلك إلا علي)

ورأته ماتيلد وقد إنغمس في لجة أفكاره.

- إنني لست جديـرة بك تماما . هكذا قالت له وهي تحاول اخذ يده .

فقبلها جوليان وشعر بصرامة اليد الحديدية للواجب وهي تمسك بفؤاده إذا عرفت كم اعبدها لا شك أنني سأفقدها . وقبل ان يترك ذراعيها كان قد استعاد كرامته كرجل .

وقد عرف كيف يخفي وله ذلك اليوم وما تلاه وقد أتت لحظات كان يرفض فيها حتى ان يضمها بين ذراعيه .

وفي هنيهات اخرى كان هذيان السعادة يسيطر على كل نصائح الحذر .

ولقد اعتاد ان يقف قريبا من مهد شجيرة زهرة العسل القائمة كي تخفي السلم وذلك كي يشاهد من بعيد شباك (شعرية) ماتيلد ويبكي فراغ صبره وعدم ثباته . وذلك على

مقربة من شجرة سنديـان كان يخفيـه جذعهـا عن اعين الفضوليين .

وكم من مرة مشى في هذا المكان مع ماتيلد فذكره ذلك بتعاسته الزائدة ومفارقة وتضاد يأسه السابق وولهه الحالي والذي اصبح شديد القوة بالنسبة لطبعه . وفاضت الدموع من عينيه وحمل يد صديقته الى شفتيه ؛ هنا كنت انظر الى تلك الشعرية وانتظر ساعات كاملة اللحظة السحرية التي تفتح فيها هذه اليد تلك النافذة .

ولقد كان ضعفه كاملا وبدت عليه كل مظاهره على شكل يأس مطلق وكانت حروف التعجب القصيرة تشهد على سعادته الحالية وهي التي جعلت الألم الهائل يتوقف .
ماذا فعلت يا الهي ؟ قال جوليان عندما عاد الى نفسه فجأة ـ لقد ضعت.
« الأحمر والأسود » الجزء الثاني الفصل الحادي والثلاثون .

ان تعرف كيف تموت

منذ ان تتلاشى فكرة الجحيم الأبدي يصبح الموت شيئا بسيطا وتعود كما كانت قبل حكم قسطنطين(*) وتساوي هذه الفكرة الملايين لمن يهمهم الأمر وروائع في الفنون الجميلة وعمقاً في النفس الانسانية.

« مذكرات سائح » سان مالو في . . .

يا سيدتي

اسمحي لي ان اقول لك بأنني اعبد شجاعتك . فلقد

(*) قسطنطين الأول هو الذي تبنى المسيحية.

عرفت ذلك بمتعة وقد لا يكون ذلك مناسبا ان اقوله لك لكنه اثارني فعلا .

وتأكدي يا سيدتي بأنه عندما تحدث التعاسة فلا توجد وسيلة لقهر شوكتها إلا بمواجهتها بأقصى درجات الشجاعة . وتتمتع النفس بقوتها وتشاهدها بدلا من ان تنظر الى التعاسة وتشعر بكل تفاصيلها .

إنه لمن الممتع في هذا العصر الكوميدي ان نتصف بالميزة الوحيدة التي لا يمكن محاكاتها بالرياء .

الى السيدة الكونتيسة د . تاشر في باريس
باريس في . . . تموز ١٨٣٨

إن الموت يا سيدتي الدوقة كلمة تقريبا خالية من المعنى بالنسبة لمعظم البشر . فهو ليس إلا هنيهة وبصورة عامة لا نشعر بها . فقد نتألم وقد تؤاتينا مشاعر غريبة لكن فجأة لا نعود نشعر بشيء وتمر اللحظة فنكون امواتا . او هل عبرت بالباخرة تحت جسر « سانت اسيري » حيث يخترق نهر الرون مدينة افينون ؟ فكثيراً ما يتحدثون عنه قبل ان يصلوا اليه فيخافونه ومن ثم ترينه امامك على مسافة معينة وفجأة نرى الباخرة وقد اعترتها هزة من التيار ومن ثم وفي لمحة عين نرى أنفسنا خلف الجسر

ـ آه يـا سيدي إنها تلك اللحظة من الموت التي لا استطيع تحملها .

ـ لكن يا سيدتي إن تلك اللحظة مرهونة ببعض الألم احيانا . فنشعر به فنرى اننا لسنا امواتا بعد بل اننا مرضى حقاً. ومن ثم فجأة لا نشعر بشيء أبداً وعندها نكون أمواتاً . إذن فالموت ليس بشيء. إنه باب مفتوح أو مغلق ولا بد أن يكون في أحد الوضعين ولا يمكن أن يكون هنالك وضع آخر.

موقف اجتماعي . ١٨٣٢

لوحة
وبعض الآراء

هنري بايل ـ بقلم ميريميه.

لقد كان بايل فريدا في كل شيء وتلك هي ميزة حقيقة في هذا العصر الخالي من القيم . لقد كان يدعي الليبرالية لكنه كان ارستقراطيا كاملا . ولم يكن يتحمل الحمقى وكان يكره الأشخاص الذين يزعجونه كراهية عمياء ولم يتعلم قط كيف يميز بين خبيث وغاضب . فلقد أبدى احتقارا عميقا للطبع الفرنسي وكان فصيحا باظهار النقائص التي يتهم بها وطننا العظيم ولا شك أنه كان مخطئاً: عندما اتهمه بالخفة والطيش وعدم الثبات في الأفعال والأقوال . وبالواقع لقد كان يتصف بهذه الصفات الى درجة عالية وحتى لا نتكلم إلا عن

الطيش فلقد كتب يوما من س . الى م . . رسالة بالشيفرة ثم وضع الشيفرة تحت نفس الغلاف .

ولقد سيطرت عليه مخيلته كل حياته ولم يفعل شيئا إلا فجأة وبحماس . ومع ذلك فإنه كان يدعي بأنه لا يتصرف إلا حسب المنطق فقد كتب يقول : في كل شيء يجب ان يكون المنـ . . طق دليلنا هكذا كتب فوضع فاصلا بين المقطع الأول والثاني من الكلمة لكنه يتألم فعلا لأنه لم يكن ينسجم مع منطق الآخرين .

علما بأنه لم يكن يناقش مطلقا . ولقد عزا الذين لا يعرفونه ذلك الى فرط كبريائه ولم يكن ذلك إلا احتراما لقناعة الآخرين ولقد كان يقول حتى ينهي اية مناقشة : إنني جرذ وانت هر .

ولم تكن لديه اية فكرة دينية وحتى إن وجدت لديه فلقد كان يحمل شعورا بالغضب والحقد على العناية الالهية : فلقد كتب قائلا :

إن عذر الله هو انه ليس موجوداً .

وعندما كنا مرة عند السيدة پ قدم لنا النظرية التالية عن نشوء الكون :

« لقد كان الله ميكانيكيا شديد المهارة فكان يعمل في شغله

ليلاً ونهاراً يتكلم القليل ويبتكر الكثير مرة شمساً وأخرى نجماً فقيل له :

ـ لا بد ان تكتب اختراعاتك . فيجب الا تضيع . فأجاب بالنفي

ـ إذ لم يصل شيء الى مرحلة الكمال الذي اريده . واتركوني لأتقن كل اكتشافاتي . وعندها لكل حادث حديث وفي يوم توفي فجأة . فأخذوا يبحثون عن ولده الوحيد الذي كان يدرس عند الجزويت . وكان شابا ظريفا مجتهدا ولم يكن ليفقه كلمتين في الميكانيك واخذوه الى المصنع الناري لأبيه وقالوا له :

ـ هيا الى العمل فلا بد ان تحكم العالم

فوجد نفسه مرتبكا فسأل قائلا : وكيف كان يفعل ابي ؟ فقيل له : لقد كان يدير هذا الدولاب فكان يعمل هذا الشيء او ذاك .

وعند ذلك اخذ الولد يدير الدولاب فأخذ كل يسير على غير منحاه . »

ومن الصعب ان تعرف كيف كان ينظر الى نابوليون . فلقد كان دائما معارضا للفكرة التي يعرضونها حول هذا الموضوع .

فكان يتحدث احيانا كحديث نعمة قد بهره بريق الصفر(*) وكان حديثه بعيدا عن المنـ. . . طق واحيانا أخرى كان يبدو وكأنه فلتة عصره وهكذا كان إما معارضا مثل « كوربيه » او كعبد رقيق مثل « لاس كاس » وكان يصف رجالات الامبراطورية كما كان يصف امبراطورهم وسيدهم .

وكان يعترف بالسحر الذي كان يمارسه الامبراطور على كل من احاطوا به « وانا ايضا كانت لي ناري المقدسة فلقد ارسلت الى « برنسويك » لأجبي الضرائب الباهظة والبالغة خمسة ملايين . ولقد جبيت سبعة لكن كاد السوقة ان يقتلوني فلقد ثاروا بعد ان اغتاظوا من كثرة اندفاعي . ولقد تساءل الامبراطور عمن كان مراقبا للحسابات تلك وقال : « إنه لشيء جيد » هكذا كان يتحدث عن نفسه .

وكنا نحب ان نسمعه وهو يتحدث عن الحملات التي اشترك بها مع الأمبراطور ولم يكن سرده متماثلا مع الروايات الرسمية .

واثناء الانسحاب (تراجع نابوليون) لم يقاسِ الجوع كثيرا ولكنه لم يكن ليتذكر قط كيف كان يأكل او ماذا أكل الم تكن

(*) الصفر = خليط من النحاس والقصدير شديدة اللمعان والبريق.

قطعة الورك من (شحم الخنزير) بعد ان دفع ثمنها عشرين فرنكا وكان ما زال يتذكر طعمها الجيد

وكان قد حمل معه من موسكو جزءا من كتاب فولتير « الدعابات » المجلد بجلد الماعز الأحمر حيث كان قد انتشله من بيت يحترق . وكان رفاقه يجدون ذلك العمل طائشا : كأن يدون لدينا جزء من طبعة مدهشة وكان هو نفسه يشعر ببعض الندم .

وفي ضواحي « بيريزينا » تقدم الى السيد « دارو » بعد ان لبس ثيابه وحلق ذقنه فقال له الكونت دارو : لقد حلقت ذقنك وإنك رجل شهم .

ولم اتعرف على رجل مثله يتقبل النقد على اعماله بهذا القدر من الصدر الرحب . وكان اصدقاؤه يتحدثون اليه عن ذلك بدون كلفة وقد ارسل لي مرات عديدة مخطوطات كان قد ارسلها الى « فكتور جاكنوا » فكتب عليها هذا هامشيات مثل : إنها بغيضة . إن لها اسلوب العتالين الخ » وعندما ظهر كتابه « من الحب » بلغ السيل الزُبى من حيث السخرية (ولقد كان يستحق ذلك) . ولم يفسد النقد ابدا علاقاته مع اصدقائه .

لقد كان يشتغل كثيراً ويجهد نفسه في تحسين كتبه لكنه بدلاً

من أن يصلح التنفيذ كان يشكل مخططا آخر لها . فإذا استطاع أن يزيل أخطاء الكتابة الأولية فلم يكن إلا ليقع في اخطاء الكتابة الثانية فلم اعلم أنه استطاع أبداً أن يصلح من أسلوبه منهما كان درجة المحي في مخطوطاته فإننا يجب أن نكون على ثقة بأنها الكتابة الأولى لها .

وكانت رسائله بديعة وكذلك كان حديثه. فيهما كثير من اللياقة وقابلية التأثر . ولقد كان ذا نبرة سيئة لكنه كان دوماً فريداً وروحانيا . ولم يكن يولي بكثير من المراعاة لكنه كثيراً ما انجرح بكلمات لم تكن موجهة بنية سيئة . فلقد كان يقول لي : إنني جَروَ كلبٍ يلعب ولا بد أن أنال العض » ولقد كان ينسى أنه كان يعض نفسه وبقسوة احيانا . وذلك لأنه لم يكن يفهم قط بأنه قد ينظر إلى الناس والأشياء بمنظار يختلف عن نظرتهم إليها. فمثلاً لم يكن يعتقد بأن هنالك اتقياء حقيقيون . ولقد كان يرى الكاهن والمؤ من بالملكية على نفس الدرجة من المراآة.

وعندما أظهر آراءه حول الآداب والفنون بدت وكأنها هرطقة متهورة . أما اليوم فتبدو آراؤ ه على نفس الدرجة من الحقيقة التي تظهر بها آراء السيد « دلاباليس » وعندما كان يضع مرتبة

(*) كاتب فرنسي عاش في القرن السادس عشر.

« موزارت » « وسيماروزا » « وروسيني » فوق مرتبة مؤلفي الأوبرا المعاصرين لأيام شبابنا كان يثير العواصف وعندها كانوا يتهمونه بأنه خال من المشاعر الفرنسية .

ولقد كان شديدَ الفرنسية في آرائه عن الرسم رغم أنه كان يدعي بأنه يقيِّمها على الطريقة الايطالية أي أنه كان يقدر الأساتذة المعلمين بأفكار فرنسية بمعنى أنه كان يراهم من وجهة النظر الأدبية . فكان يفحص لوحات المدارس الايطالية وكأنها مآسي (دراما). ولم يكن الحس بالشكل أو الذوق الفطري للألوان هو وسيلة الحكم في فرنسا . ولا بد من حساسية خاصة ومراس طويل حتى نحب ونفهم الشكل واللون . وكان يولي « عذراء رافائيل » عواطف مأساوية . وكنت أشك دوماً بحبه للرسامين العظام التابعين للمدارس اللومباردية والفلورنسية لأن اعمالهم كانت تجعله يفكر بأشياء لم يفكر المعلمون بها قط .

إنها ميزة فرنسية أن تحكم على كل شيء بالروح . ولا شك أنه يجب أن نضيف بأنه ليست هنالك لغة تستطيع أن تعبر عن دقائق الشكل واختلاف تأثيرات اللون . وبسبب ذلك النقصان من القدرة على التعبير بما نشعر فإننا نصف مشاعَر اخرى صالحةً لكي تُفهَم من قبل الناس الآخرين .

وقد كان بايل يبدو لي قليل الأهتمام بالهندسة المعمارية ولم

يكن لديه نحو ذلك الفن إلا أفكاراً مستعارة . وأعتقد أنني علمته كيف يميز بين كنيسة رومانية وأخرى قوطية بالإضافة إلى كيفية النظر لكل منها . وكان يعيب على كنائسنا مظهرها الحزين .

وكان يحس بأمتياز نحت « كانوفا »(*) حتى على النحت اليوناني وربما كان ذلك لأن كانوفا عمل كثيراً من التماثيل لرجال الأدب . ولقد اهتم كثيراً بالأفكار التي يثيرها في النفس المثقفة أكثر مما اهتم بالتأثير المنطبع على العين التي تحب أو التي تعرف الشكل .

أما الشعر فقد كان بالنسبة له رسالة مغلقة . فكثيراً ما كان يشوه أبيات الشعر الفرنسي عندما يتلوها . فلم يكن يعرف بحور الشعر أو تشكيل أبيات الشعر الانكليزي أو الايطالي ومع ذلك فلقد كان حقاً حساساً لبعض روائع شكسبير ودانتي هذه الروائع التي كانت ملتحمة بشكل الأبيات . ولقد قال كلمته الأخيرة عن الشعر في كتابه « من الحب » : لقد اخترعت أبيات الشعر لتساعد الذاكرة أن نحتفظ بالشعر في الفن الدراماتيكي ذلك من بقايا البربرية » .

(*) كانوفا . نحات ايطالي من الكلاسيكيين الجدد ومعاصر لستندال .

وكان يمقت راسين لدرجة كبيرة وكنا نلوم راسين عام ١٨٢٠ لأنه كان ينتقص من الأخلاق وكنا نقول ذلك برطانتنا الرومانتيكية فنقول أنه ينتقص من اللون المحلي . وكنا نضع أمامه شكسبير علمًا بأنه (شكسبير) فعل ذلك بفظاظة أكثر منه بمائة مرة . لكنه بايل كان يقول : لقد عرف شكسبير الفؤاد الإنساني بشكل أفضل فلقد وصف كل العواطف والمشاعر بصورة كاملة الحقيقة فحياة شخصياتها ومميزاتها تضعه فوق كل المؤلفين المأساويين وماذا عن موليير؟ قل لي . لم يكن موليير إلا نذلاً فلم يقدم «الممالق» « جليس الأمراء » لأن لويس الرابع عشر وجد هذه المسرحية قليلة القيمة » .

أما في ممارسة الحياة فلقد كان لبايل مجموعة من المثل العليا التي يجب اتباعها تماماً دون مناقشة وذلك عندما نجدها ملائمة فلم يكن يدقق لحظة في أي حدث عندما يدخل في نطاق هذه المثل .

ومثل الآخرين فلقد تألم كثيراً من الخجل في شبابه . إنه من الصعب على فتى أن ينخرط في الصالونات فهو يتصور أن الجميع ينظرون إليه وكان يخشى ألا يكون مضبوطاً دائمًا . فلقد كان يقول : إنني انصحك أن تدخل كما أنت إلى غرفة الإنتظار سواء كنت مناسباً أم لا فذلك لا يهم وكن مثل تمثال الفارس ولا تغير من هيئتك إلا عندما تزول عنك رهبة الدخول ».

وكان له موقف آخر بالنسبة للمبارزة : عندما يُصوب عليك انظر إلى شجرة وعد اوراقها ».

وكان يحب الطعام الفاخر : لكنه كان يرى بأنه يجب الا نضيع الوقت في تناول الطعام وكان يتمنى لو أن لقمة في الصباح تكفي الإنسان طوال اليوم ونحن اليوم شرهون ونتشدق بذلك . وفي أيام بايل كان الجميع يدعون النشاط والشجاعة وكيف يكون الإنسان كذلك إذا كان شرهاً ؟.

وكانت شرطة الامبراطورية تدعي معرفة كل شيء وكان «فوشيه»(*) يعرف ما يقال في كل صالونات باريس . أما بايل فلقد كان مقتنعاً بأن هذه الجاسوسية القديرة حفظت له سلطته الخفية . فلذلك لم يكن ضرباً من الحذر أن تحتاط للأفعال اللا متحيزة .

ولم يكتب رسالة دون أن يوقعها بأسم مستعار « قيصر بومبي » أو « كوتونيه » أو الخ . . . وكان يَدْفَع رسالته بإشارة نحلة بدلاً من أن يكتب سفيتا فيتشيا وكان يبدأ رسالته بجملة مثل : لقد وصلني حريركم الخام ولقد خزنته بانتظار الشحن ». وكان لكل اصدقائه أسماء حركية (من أيام الحرب) ولم يكن يدعوهم إلا بها ولم يكن أحد ليعرف تماماً

(*) فوشيه: وزير الشرطة آنذاك.

الأشخاص الذين يراهم أو الكتب التي ألفها أو الرحلات التي قام بها .

وإنني لأتصور أنه لا بد من ناقد في القرن العشرين ، لا بد مكتشف كتبا لبايل بين ركام الكتب الأدبية المخطوطة في القرن التاسع عشر فيعيد إليها منزلتها التي لم تجدها بين معاصريها . فهكذا انتشرت شهرة ديدرو في القرن التاسع عشر وكذلك كان الحال لشكسبير الذي نسي أيام « سان ايفرموند » ثم أكتشف من قبل « جاريك ». وإنه لمن المستحب أن تنشر يوماً رسائل بايل ولا بد أنها تُعَرِّف وتُقرِّب رجلا كانت له نباهته وصفاته الممتازة التي بقيت في ذاكرة عدد قليل من الأصدقاء .

نيتشه .

هنري بايل هذا الرائد هذا المتنبىء المدهش ذو المسلك المماثل لنابوليون والذي جاب عالمه الأوروبي عدة قرون بروح اوروبية مفصلاً ومكتشفاً لتلك الروح وقد كان لا بد من جيلين للّحاق به والتنبوء بالألغاز التي كانت تزعجه وتلح عليه وتمتعه ولقد كان ذواقة للحياة وسؤ ولي فضولي فكان آخر عالم نفسي في فرنسا .

« فيما بعد الخير والشر » الفصل الثامن

ليون بلوم

لقد انصب جهد ستندال الفنان حتى يبرهن القوة العارية للعاطفة فقد اتجه كل مبدأ ستندال الأخلاقي نحو فكرة السعادة وحيث لا يوجد للعقل أي نشاط .

ولقد كان مَثَلُهُ مثل هلفسيوس وكوندياك تجريبياً عقلانياً حِسّوياً(*) فقد وضع الحس مثلهما باعتباره قاعدة لكل المعرفة . وكذلك شكّل فكرة المشاعر المراقبة والمعمّمة ومثلهما أيضاً قلص دور العقل إلى الدور المنطقي للتجربة لكنه آمن بقدرته المطلقة على الطبيعة . وهكذا اظهر الكون وكأنه وحدة آلية تضمنت كل حالات الاحساس والحوادث الخارجية والتي تخضع مشاكل الفؤ اد للقواعد الطبيعية في الطريقة التجريبية . وإذا أردنا أن نظهر براهين هذا الإتجاه المنطقي والمنطقي بصورة عامة فلا بد من ذكر نصف اعماله تقريباً . ولكن هذا الإتجاه نراه واضحاً سيما في عاداته التي كان ربما أكثرها ثباتا هي عادة التحديد والفهرسة . ما هو الباطل ؟ ما هو الضحك ؟ ما هي العبقريات العشرة للبشرية ؟ وربما كانت أكثر البراهين تجاوباً هي قناعته بأن المعرفة الدقيقة للأفعال في التطبيق الصارم للطرق المنطقية يمكن أن تؤ دي إلى كل شيء حتى للسعادة وإنها يمكن أن تنوب عن كل شيء حتى عن العبقرية فمثلاً إن موهبة

(*) الحسوية = مذهب يقول بأن الأفكار تنبع من الإحساس.

الكتابة تتضمن مجموعة من الوصفات المتمثلة والمعروفة كما أن الفن ليس إلا مظهراً من مظاهر العلم الكوني .

ولقد كتب إلى أخته بولين بأن التربية وحدها (أي الطريقة السليمة لخدمة الإرادة) تصنع الرجال العظام وبالنتيجة كي نتميز يكفي أن نريد ذلك ونطبقه حتى نصبح عباقرة . ولقد كتب إلى « ادوارد مونييه » : بأنه لم يعد يجرؤ على التفكير بالفخر الأدبي لأنه ليس عالماً بالقدر الكافي » . وتعود هذه النصوص إلى شبابه لكن ستندال لم يكن ليتغير في ايمانه المبدئي بما تعنيه ومما لا شك فيه أن جده الطبيب والموسوعي « جانيون » كان الباعث المعلم .

فالصفة المباشرة « للبايليه » هي الإيمان بشمولية الطريقة والتأكيد الضمني بأنها تتحكم في الحالات الإنفعالية والوقائع الاخلاقية كما الحوادث الأخرى للطبيعة وبالنتيجة فإن الحصول على السعادة يمكن الوصول إليه بنفس قواعد البحث عن الحقيقة .

« ستندال والبايلية » بول الندورف

باريس ـ الصفحات ٣١٤ ثم ١٦٠ ـ ١٦٢

آلان ـ

إنه مناسبة في هذه الأيام أن نتحدث عن ستندال ولأكثر من

مرة واحدة . فإنني أرى أنهم يهاجمونه بقسوة حتى يسببوا انهياره وقالوا عنه : أنه كاتب قليل الذكاء والقيمة » وتلك حجة سياسية فالمستبدون صغارهم وكبارهم يخشـون هذا المثـل الفاضح لرجل ذي أسلوب عظيم والذي لا يخدم أحدا . ولم يعد ستندال مواطنا . وهو لا يأخذ على محمل الجد هؤ لاء الآلهة في السياسة عندما يسمون الوطن أو الدولة . كما أنه يسخر من السلطات ويضحك من المسؤ ولين . وقد اتخذ آلهـة هي الشجاعة والشرف والحب والصداقة . ولا ينقصنا المـراؤون ذوو النية الحسنة وهم غارقون في ذلك الآن ويتعلق ذلك بـ « موسكا »: فلقد تشاجر مع مزارعي الأمير النصابين وأحل محلهم نصابين آخرين كانوا قد اعطوه ثمانمائة ألف فرنك ولو لم تحصل هذه السرقة لكان محتقرا من كافة الأشخاص الشرفاء » ذلك يبدو وكأنه لموليير أو فوليتر . وهذا النثر الجميل يمزق :

لقد توقعت اخلاقيات فأنت تتكون : هكذا قال الكونت دلامول إلى جوليان وتضع هذه الخطوط القاريء في متاهة من الأفكار لأن قفا السياسة (أي وجهها الآخر) والدوافع الخفية لمظهرها المحترم تصبح معروضة بلاستار . فينكشف كل شيء كما في ميكيافيلي هكذا يقول بلزاك. لكنني أنا أقول : أفضل مما في ميكيافيلي . وقد كان ستندال جمهوريا من أكثر الأنواع خطراً

ومن التعاسة حقاً أنه لم يمتع حتى الجمهوريين . فمن امتع أذن ؟ .

لا شك أنه يمتعني وقد يفهم هنا أنني أفكر بروايتيه الرئيسيتين وإنني لأرى فيهما صيغتين من الجمال : وأنا لا انتقص شيئاً . فالصفحات الأولى من « المنزل الريفي في بارم » تنقلني عبر الأجواء كأعظم اغنية لهوميروس إنها قصيدة الجيش الايطالي . ففيها البساطة والشباب والشعر فالكل يتساوى في تلك اللحظة العظيمة . ذلك هو يأس الكتاب .

ولم يكن هوجو ليتحمل نثر ستندال وإنني قد اعرف السبب . إذ أن هوجو كان حركة وإيقاع وفصاحة . أما ستندال فقد كان مثل فولتير وقبله موليير فقد كانت الجملة فيه تنقطع بتأن وعزم . ففي اللحظة التي تمر الفكرة فيها وعندما يجيء النصر لا نعد نسمع نفير المجد وخطوات الجماهير بل تتلاشى الخطوط حاملة كثيراً من المعاني في قليل من الكلمات . وإنني لأرى في ذلك خفراً وانتباها بألا نجبر القاريء على الرضا والقبول .

ويبغي هذا النوع من الأسلوب إلى التوقف ومن ثم التفكير فيما يجري وذلك مما لا يفهمه الشاعر أو الخطيب أبداً .

ولقد كان ستندال صارما وطيبا في كل شيء . فلقد كان

مزيجاً مرا لكنه مُقوٍّ . ولم يكن ليصدمه شيء من الباطل أو الحماقة أو السماجة فكل ذلك قرقعة . وقد كان هو نفسه في منتهى اللطف أو السماجة حسب المناسبات وحسب ما يروى . إنها طريقة للصدق مع النفس . ورجل مثل هذا لا بد أن يمتع فلا يريد أحد أن يبقى في لباس البلاط (أن يكون مجاملاً بإستمرار) ويعلم كل منا عما يفتش في كتاب يقرؤ ه . لكن مثل هذا الرجل يسبب المقت فعلاً لمن يريد أن يبقى في لباس البلاط سواء كان سيداً أو فلاحاً . وعندها يخشى وجوده والجميع يخشى مثل هذا القاضي إلا ميتا أو أن يكون من الغاز الكتاب المقروء . لهذا فإن الزبد يذهب جفاء ولا يحرق النقد إلا الدغيلات .

اندريه جيد

لم يكن ستندال أبداً غذاء لي لكنني اعود إليه دوماً إنه سندي فعليه أسِنُّ منقاري .

(المفكرة ٨ ك[1] ١٩٠٧)

إن سر ستندال العظيم يكمن في مكره البالغ وانغماسه المباشرة في الكتابة من هنا كان ذلـك الشيء من اليقظة والاستطراد من المقام الأول والجحود والمفاجيء والعاري ذلك هو الذي يدهشنا بالجديد دوماً في أسلوبه حتى ليقال بأن فكره

لا يحتذي (لا يضع حذاء) عندما يريد الركض .

المفكرة ٣ أيلول ١٩٣٧

إن الذي يشيد حيوية اسلوب ستندال أنه لا ينتظر حتى تكتمل الجملة في رأسه حتى يكتبها .

المفكرة ٢٧ ت٢ ١٩٤١

إن هنالك عدة طرق للتعبير عن شيء ما : لكن الشيء الأفضل يكون غالباً هو ذلك الذي يتداعى في النفس مباشرة . إنه تلك الهيئة من الإستطراد ذي المقام الأول هو الذي يبهجنا عند ستندال . إنك تبدو وكأنك تفاجيء فكره وهو يقفز في سريره قبل الزينة الصباحية .

(التواليت)

فاليري

حتى ذلك الحين لم أكن قد قرأت شيئاً عن الحب إلا أثار في نفسي منتهى الضجر وبدا لي غير معقول أو مفيد .

وكنت في شبابي أضع الحب إما في مكان رفيع أو في مكان خفيض ولم أكن أجد ما يكفي من القوة والحقيقة والصلابة والنعومة في أكثر الكتب شهرة لكنني عندما قرأت « لوسيان لودين» فوجدت تلك النعومة الفائقة في وصف وجه « مدام

شاسنلر » وذلك النوع من النبل العميق في المشاعر عند الأبطال وذلك التدرج في التعلق الذي نراه يتقدم بقوة في ضرب من الصمت : ذلك الفن المتطرف في احتواء التعلق والنظر إليه في حالته غير الواثقة من نفسها كل ذلك فتنني وجعلني اعيد قراءته . وربما كانت لي أسبابي بأن أتحسس بما يكفي من التعاطف بهذه الصفات التي يصعب تحديدها وعلى كل كنت أنا نفسي مندهشا من وضعيتي هذه . فلم أكن أقاسي ولا زلت غير مُعان من أن أكون منخدعاً بعمل كتابي لدرجة لا أميز فيها بين مشاعري الخاصة وبما أكتسبته من صنعة المؤلف وحيلته . فإنني أرى الريشة ومن يحملها . فليس لي همٌّ ولست بحاجة إلى مثل هذه العواطف وإنني لا أطلب إلا أن يعلمني عن وسائله .

لكن « لوسيان لودين» خلق في نفسي معجزة الإرتباك الذي ابغضه .

« الصنف الثاني » ستندال الصفحات ٧٧ ـ ٨٨ .

لقد أكتسب بايل ولحسن الحظ من العصر الذي ولد فيه هبة الحيوية ولم يكن للسيطرة الثقيلة والضجر عدواً أكثر فجائية . وقد لمع ونبغ بين الكلاسيكيين والرومانتيكيين فأثاروا قريحته الدقيقة .

ولو استطاع استشفاف مستقبله العلمي في بـلّورة سحرية لضحك من ذلك ولأطري في اعماقه . فلكان رأى في دياجير البلّـورة صِيَغَه وقد اصبحت نظريات وعاداته المستهجنة وقد اصبحت وصايا أما مزحاته فقد تحولت بعد أن استقامت إلى نظريات واندلعت من عندياته مباديء كما انطلقت تعليقات مستنتجة من أمثاله القصيرة . أما موضوعاته المفضلة نابوليون والحب والحمية والسعادة فلقد أصبحت موضوعاً لمجموعات من التفسيرات بعد أن انكب عليها الفلاسفة . وترك التنقيب آثاره على عينيه المتضخمتين على دقائق حياته على خربشته على فواتير الذين يتعامل معهم . ونشأ نوع من عبادة الأوثان الساذجة فأضحت تمجد أسمه وآثاره ذلك المحطم لمثل هذه العبادات . وكالعادة لقد أثار التقليد ذلك الذي كانت لديه الغرابات . فلقد نشأ منه كل ما كان يتعارض ومع وجهة نظره من حيث الحرية والنزعة وحبه للمعارضة . فهناك كثير مما لا نتوقف في عملية الإنتصار . فالنصر كان دوماً صوفيا حتى نصر الملحدين .

فليذهب هذا الستندال إلى الجحيم هكذا كانت لتقول روح ستندال لو ظهرت في قاريء غير أمتثالي(*) .

(*) الامتثالية : هي نزعة للتقيد بالأعراف المتبعة (المعرب).

ولقد كان فكر بايل مسرحا وكان به كثير من الممثلين وقد كانت اعماله مليئة بالكلمات الموجهة إلى قاعة المسرح . وكأن مقدماته تتحدَّث إلى الجمهور أمام الستار وكانت طرفات العيون تلمح للقاريء بإشارات الذكاء وتريد منه أن يقتنع بأنه الأقل حمقاً بين المستعمين وأنه حقاً سر الدعابة وأنه وحده الذي يشعر بالدقة في الدقة. فمقدماته تقول اذن : لا يوجد أحد إلا أنتم وأنا .

(ستندال الصفحات ٨٥ ـ ٨٦)

والذي يصدمك في صفحة من ستندال وذلك مما يشي به أو يلصق الروح به أو يغضبها إنما هو النبرة . إنه يتملك النبرة الأكثر فردية في الأدب لا بل يؤ ثر بها ويتكلفها .

فمم صنعت هذه النبرة ؟ ولربما قلت ذلك سابقاً : أن تكون حيوياً رغم المخاطر : وأن تكتب كما تتحدث باعتبارك رجلاً نبيها ربما بتلميحات بها قدر من الاقتتام وانقطاعات مستمرة وقفزات ومعترضات أن تكتب كما تتحدث وأن تسلك طريق المحادثة الحرة والمرحة وحتى تندفع فتصل إلى مرحلة المونولوج العاري . وأن تهرب وأبداً من الأسلوب الشاعري وأن تُشعر الآخرين بأنك تهرب منه فعلاً وأن تفسد تعبير « لأن » الذي

بإيقاعه واتساعه يبدو كثير الصفاء والجمال وتصل إلى مرحلة الإنشاء الرفيع الذي يكرهه ستندال ويسخر منه لأنه يرى فيه تكلفاً ووضعية وأفكاراً مسبقة غير نزيهة وإنه لقانون طبيعي بأننا لا ندفع تكلفاً إلا بتكلفٍ آخر .

وإنني لا أكره النبرة التي صنعها لا بل إنها تبهجني أحياناً ولكنها تسليني دوماً وعلى العكس مما يبغيه المؤلف فإن تأثير الكوميديا وعمق صدقها وحيويتها تنعكس في نفسي بشكل لا يمكن دفعه . وإنني لأتهم نفسي بأن اجد في هذا الأداء كثيراً من الصدق فأتبين الهدف فأراه حقيقياً لدرجة الباطل . فالحقيقي الذي تفضله ينقلب هناك لا شعورياً تحت ريشته في الواقع الذي صنع حتى يبدو حقيقياً. فالحقيقة وارادة الحقيقة يشكلان معاً مزيجاً متغيراً يتخمر فيه التضاد وحيث لن ينقصه بأن يخرج إنتاجاً مزيفاً . وكيف لانختار الأفضل في الحقيقي الذي نعمل عليه ؟ ولماذا لا نلاحظ ونقوِّم ونلون ونبحث كي نجعل امتن وأوضح وأكثر إثارة وَوَدًّا وأكثر عنفا من الأسوة (النموذج)؟ ففي الأدب يبقى الحقيقي بعيداً عن التصور .

فكثيراً ما تكون البساطة أو الغرابة أو الدقة اللامتناهية أو الأهمال أو التصريح بالأشياء التي كثيراً ما تخجل ولكنها مختارة بشكل ما ودائماً وبكل الوسائل سواء كان الأمر يتعلق بباسكال

أو ديدرو أو روسو أو بايل والعري الذي يعرض علينا سواء كان لخاطىء أو كلبي(*) أو أخلاقي أو فاسق فإنه لا بد موضح ملون مزخرف حسب كل قواعد المسرح العقلي . وإننا لنعلم بأننا لا نكشف الحجاب إلا لكي نحدث أثراً ما .

((ستندال صفحة ١٠٩ ـ ١١٣)

وبصورة عامة إن كل الصدق الإرادي بدون استثناء ومن جملته صدق ستندال الخاص ينسجم ويختلط مع كوميديا الصدق التي كان يتلاعب بها .

(ستندال صفحة ١١٧)

إن ذلاقة وأراء ووقاحة هذا الرجل النبيه تجعلنا نفكر في بعض اللحظات في واحد من أولئك المتجولين التجاريين الذين عاشوا ما قبل التاريخ والذين كانوا يبهـرون ويتجاوزون حدود رقعة المكان المخصص لهم في زمن أصبحت فيه العربات المطهمة في طريق الاندثار وظهرت فيه أول القاطرات .

لكن جوديسار(**) هذا الذي نزل في « الفندق الكبير لأوربا

(*) المذهب الكلبي = مذهب يقول باحتقار العادات والتقاليد الخ . . (المعرب).

(**) جوديسار شخصية روائية لبلزاك فهو تاجر متشدق.

والحب » هو فريد من الطراز الأول فما عرضه يعيش وسيعيش وسيكسب الحياة . وستُحَمِّس بضاعته البراقة والفريدة كثيراً من الرؤوس الفلسفية . وسيجهد كثير من الناس والمتصفين بالرزانة أنفسهم كي يكونوا نشيطين وواضحين مثله.

وإن بايل كما أراه ضرب من الروح أكثر منه رجل أدب إنه كائن لوحده فريد في نوعه حتى لا يمكننا وضعه بين الكتاب ومع ذلك فهو إن أبهج أو أمقت فهو يبهجني .

وستندال كما هو وكيفما كان لكنه أصبح رغم « مجلة الموز »(*٢) ورغم قلمه ورغم نفسه إنه نصف إله من كتابنا فهو معلم في أدبنا المجرد والملتهب وربما كان هذا الأدب أكثر جفافاً أو طيشاً من غيره لكنه مميِّز لفرنسا .

إنه نوع لا يمكن تعداده أو حسابه إلا بالأفعال والأفكار التي تحتقر الديكور (الزخرف) وتسخر من الإيقاع وتوازن الشكل وكل شيء موجود في الخط العام والنبرة والصيغة والمنحى وهو يعظم المختصرات والارتكاسات الحية للنفس . وهذا النوع سريع دوماً ووقح بشكل ارادي . ويبدو وكأنه لا عمر له وبشكل ما خال من المادة وهو شخصي لدرجة بعيدة ومركز

(*) الموز مجلة فرنسية رومانتيكية معاصرة لستندال.

مباشرة على المؤلف وهو مخيب للظن مشوش كإحدى الألعاب المليئة بالردود لكنه بعيد عن الشاعرية والعقيدية(*) (دوغماتي) واللتان يمقتهما بشكل متساوٍ .

وإن الحديث عن ستندال لا ينتهي .

وإنني لا أرى تقريظا أفضل.

(ستندال صفحة ١٣٧ - ١٣٩)

(*) نسبة إلى العقيدة.

الفهرست

سلسلة الفكر العالمي

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

[redacted]